٨٣

الاول من شرح العالم العلامة والبحر الفهامة وحيد دهره
فريد عصره محمد بن ابراهيم المعروف بابن عباد النفزى
الرندى على متن الحكم للامام المحقق أبى الفضل
أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله
السكندرى تغمدهما الله
بالرحمة والرضوان
وأسكنهما أعلى
الجنان

ولاجل تمام النفع وضع على هامش هذا الشرح شرح المحقق شيخ الاسلام
الشيخ عبد الله الشرقاوى تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين

(طبع بالمطبعة الكاستلية)
بمصر المحميه
ادارة جرنال الكوكب المصرى
(سنة ١٢٩٧ هجريه)

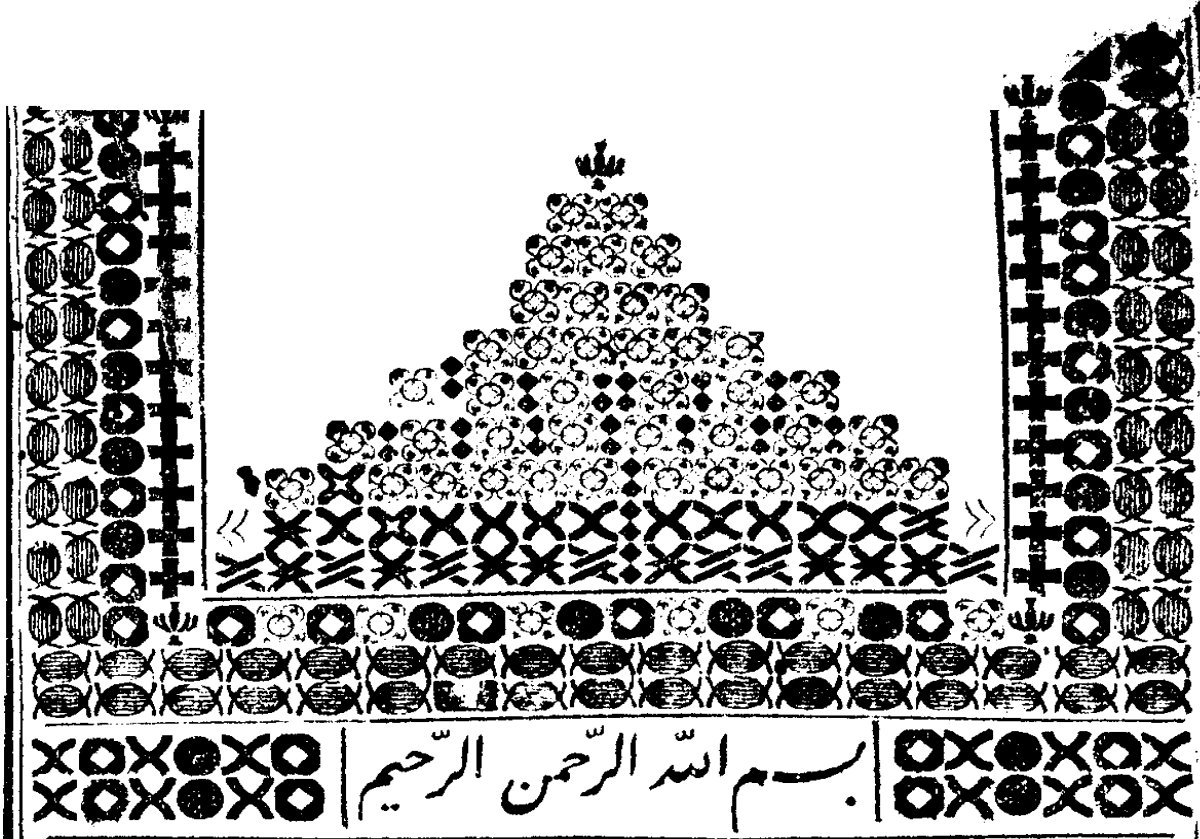

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير الى الله تعالى المعتمد فى غفران ذنوبه على الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم بن عباد النفزى الرندى لطف الله به الحمد لله المنفرد بالعظمة والجلال المتوحد باستحقاق نعوت الكمال المنزه عن الشركاء والنظراء والامثال المقدس عن سمات الحدوث من التغير والانتقال والاتصال والانفصال عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادى من الضلال وعلى آله وأصحابه الذين خلصت لهم الاعمال وصفت منهم الاحوال وعلى جميع من اتبعهم فيما لهم من محامد الصفات ومحاسن الخلال (أما بعد) فانا لما راينا كتاب الحكم المنسوب الى الشيخ الامام المحقق العارف المكاشف الولى الربانى أبى الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه ونفعنا به من أفضل ما صنف فى علم التوحيد وأجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد لكونه صغير الجرم عظيم العلم ذا عبارات رائقة ومعان حسنة فائقة قصدا فيه الى ايضاح طريق العارفين والموحدين وابانة مناهج السالكين والمتجردين أخذنا فى وضع تنبيه يكون كالشرح لبعض معانيه الظاهرة وكالكشف للمعة يسيرة من أنواره الباهرة ولا قدرة لنا على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب وما تضمنه من لباب اللباب لان كلام الاولياء والعلماء بالله منطو على أسرار مصونة وجواهر حكم مكنونة لا يكشفها الا هم ولا تتبين حقائقها الا بالتلقى عنهم ونحن فى هذه الكلمات التى نوردها والمناحى التى نعتمدها غير مدعين لشرح كلام المؤلف

ولا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (أما بعد) فيقول المرتجى غفر المساوى عبد الله بن حجازى الخلوتى المشهور بالشرقاوى هذه تقييدات لطيفة على حكم العارف بالله سيدى أحمد ابن عطاء الله قدس سره وقصده بها فى الغالب خطاب المريدين الصادقين وترقيهم الى مقام العرفان فينبغى ان نقتصر على بيان مقصوده بحسب الامكان * قال رضى الله عنه

ولا أن ما نذكره فيه هو حقيقة مذاهبهم حسبما يفعله كل مصنف فانا ان ادعينا ذلك كان منا اساءة آداب تؤل بنا والعياذ بالله الى العطب وكنا قد تعرضنا للخطر والضرر وقد تعاطينا مالا يليق بنا من شرح كلام السادة من أهل الله تعالى من غير خوف ولا حذر وانما نورد ذلك على حسب ما فهمناه من كلامهم وما انتهى الينا علمه من مذاهبهم فان وافقنا فيه حقيقة الامر وعثرنا على مكنون السر كان ذلك من النعم التى لا تحصى لها شكرا ولا نقدر لها قدرا وان خالفنا ذلك ولم نهتد الى تلك المسالك أحلناه على نقصنا وجهلنا واتفق عنا التعزير بقولنا وفعلنا واقتصر الامر فى ذلك علينا وكانوا هم مبرئين مما قلنا ونوينا فلاجرم اذ كان هذا مقصدنا لوجود السلامة التى جعلناها معتمدنا فينبغى لنا أن نقدم أولا كلام المؤلف رحمه الله تعالى مستوفى ثم نتبعه كلامنا بصيغة الخبر والدعوى ونأتى فيه بعبارة أبسط من عبارته واشارة أجلى من أشارته ليفهم بذلك ما عندنا فى تفسير ما ذكره لا أنه تفسيره حقيقة مقررة ونذكر فى أثناء ذلك كثيرا مما ناسب عندى من الكلام المنبه عليه لتتم بذلك الفائدة فى الغرض المتوجه اليه وما ظهر لنا فى كلامه من تكرار معان وتداخل فروع ومبان رأينا التنبيه عليه كالفرض وأحلنا بعضه على بعض وعلى الناسخ لهذا المجموع أن يتبع فيه ما رسمناه ويكتب نص كلام المؤلف بصبغ يخالف لونه لون ما يكتب به سواه أو يكتبهما بقلمين مختلفين فى الغلظ والرقة ويوفى من ذلك كلا منهما حقه ليكون ذلك أقرب الى حصول المرام فى استخراج فائدة ترتيب الكلام والله الموفق لارب غيره ولا خير الا خيره والذى حملنى على وضعه وتكلف تصنيفه وجمعه بعد تقدم ارادة الله تعالى التى لا تغلب وتقديره الذى ليس للعبد منه منجى ولا مهرب ثم الرأى الذى رأيناه من المطالب والمقاصد المعظمة ونبهنا عليه فى صدر هذه المقدمة الحاح بعض الاصحاب فى ذلك على وترددهم بالمسئلة الى لكونهم على اعتقاد صحيح فى هذه الطريقة ومحبة خالصة لاهل الحقيقة فأسعفتهم بما طلبوه وحققت لهم الامل فيما رغبوه كما شاء الله تعالى وحكم وقضى به علينا وحتم نفعنا الله واياهم بما يجرى منه على يدينا ولا جعله حجة عليهم ولا علينا ونحن نستغفر الله تعالى مما تعاطيناه من الامر العظيم واقتحمناه من الخطر الجسيم ونستعيذ به من الوقوع فى حبائل العدو الرجيم ونسأله توفيقا يقف بنا على جادة الاستقامة ويصرفنا عن العمل بما يعقب ملامة أو ندامة ونرجوه مع هذا اذ من علينا بالانتماء الى مذاهبهم والانتساب الى كريم مناسبهم والتعلق بأذيالهم ومحاولة النسج على منوالهم ورزقنا شيأ من تعظيمهم وحبهم وقسطا من تكريمهم وبرهم أن لا يحرمنا من شفاعتهم ولا يخرجنا من كنف ولايتهم ولا يطردنا عن

(من علامة الاعتماد على العمل) أي عمل الجوارح من صلوات وأوراد وأذكار وغيرها والمعتمد
على ذلك العباد والمريدون فالاولون يعتمدون عليها في دخول الجنة والتنعم فيها والنجاة من عذاب
الله تعالى والآخرون يعتمدون عليها في الوصول الى الله تعالى وكشف الاستار عن القلوب وحصول
الاحوال القائمة بها والمكاشفات والاسرار وكلاهما مذموم وناشئ من رؤية النفس ونسبة الاعمال
اليها حتى ينتج ما ذكره أما العارفون فلا يرون لانفسهم شيأ حتى يعتمدوا عليه بل يشاهدون أن
الفاعل الحقيقي هو الله تعالى وأنهم محل لظهور ذلك فقط وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى علامة
يعرف بها العبد نفسه فى علامة كونه من القسمين الاولين (نقصان الرجاء) أي رجائه في الله تعالى
أن يدخله الجنة وينجيه من العذاب ان كان من العباد وأن يوصله الى مطلوبه

للتقدم ان كان من المريدين (عند وجود الزلل) بان تصدر منه معصية كزنا وغفلة عن الله تعالى وترك أوراد ومن علامة كونه من العارفين فناؤه عن نفسه فاذا وقع في زلة أو أصابه غفلة شهد تصريف الحق فيه وجريان قضائه عليه كما انه اذا صدر منه طاعة أولاح له مشاهدة قلبية لم ير في ذلك حوله وقوته ولا فرق عنده بين الحالين لانه غارق في بحار
التوحيد قد استوى خوفه ورجاؤه فلا ينقص العصيان خوفه ولا يزيد الاحسان الشدة
رجاءه فمن لم يجد هذه العلامة فيه فليجاهد نفسه بالرياضات والاذكار حتى يصل الى مقام العرفان
ومراد المصنف بهذه الحكمة تنشيط السالك ورفع همته عن الاعتماد على شئ سوى مولاه لا التزهيد
في الاعمال لانها سبب عادي في الوصول الى الله تعالى ولا تحقير ما تنتجه من الاحوال وغيرها لان ذلك
منة من الله تعالى لا ينبغي رده

بابهم الكريم ولا يصرفنا عن منهجهم القويم فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم

لي سادة من عزهم ＊ أقدامهم فوق الجباه
ان لم أكن منهم فلي ＊ في حبهم عز وجاه

اللهم انا نتوسل اليك بحبهم فانهم أحبوك ولم يحبوك حتى أحببتهم فبحبك اياهم
وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك الا بعطائك منك فتمم لنا ذلك حتى
نلقاك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وعلى آله
الطيبين الطاهرين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وسلم عليهم تسليما كثيرا
وهذا حين أبتدئ وبالله التوفيق ومنه الهداية الى سواء الطريق قال المؤلف

قدس الله سره ＊(من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل)
أقول الاعتماد على الله تعالى نعت العارفين الموحدين والاعتماد على غيره وصف
الجاهلين الغافلين كائنا ما كان ذلك الغير حتى علومهم وأعمالهم وأحوالهم
اما العارفون الموحدون فانهم على بساط القرب والمشاهدة ناظرون الى ربهم
فانون عن أنفسهم فاذا وقعوا في زلة أو أصابتهم غفلة شهدوا تصريف الحق
تعالى لهم وجريان قضائه عليهم كما أنهم اذا صدرت عنهم طاعة أو لاح عليهم لائح
من يقظة لم يشهدوا في ذلك أنفسهم ولم يروا فيها حولهم ولا قوتهم لان السابق الى
قلوبهم ذكر ربهم فانفسهم مطمئنة تحت جريان أقداره وقلوبهم ساكنة بما لاح
لها من أنواره ولا فرق عندهم بين الحالين لانهم غرقى في بحار التوحيد قد
استوى خوفهم ورجاؤهم فلا ينقص من خوفهم ما يجتنبونه من العصيان
ولا يزيد في رجائهم ما يأتون به من الاحسان ＊ قال شارح المجالس العارفون قائمون
بالله قد تولى الله أمرهم فاذا ظهرت منهم طاعة لم يرجوا عليها ثوابا الا انهم لم يروا
أنفسهم عمالا لها وان ظهرت منهم زلة فالدية على القاتل لم يشاهدوا غيره في

التجريد بمقر

خروجك عنها او عدم معاناتها (مع اقامة الله اياك فى الاسباب) وعلامة ذلك ان [illegible]
السلامه فى دينك عند معاناتها ❊(ه)❊ وينقطع به طمعك عما بأيدى الناس ولا يشغلك
عما انت فيه من
وظائف العبادات
الظاهرة والاحوال
الباطنة (من
الشهوة) اى من
شهوات النفوس
التى تدعو اليها
(الخفية) وكانت
شهوة لعدم وقوفك
على مراد سيدك
وموافقتك مراد
نفسك وخفية
لان ظاهر ذلك ان
مرادك بالتجرد
الانقطاع الى الله
تعالى والقرب اليه
وباطنه ان رادك
الشهوة بالولاية
لتقصدك الناس
بالاعتقاد والتقرب
اليك فتنقطع عما
أنت بصدده فقد قال
العارفون اقبال
الناس على المريد
قبل كمالهم قاتل
وربما انقطعت
بذلك عن وظائفك
واورادك وسرت
تتطلع لما بايدى الناس (وارادتك الاسباب) اى التسبب والاكتساب (مع اقامة الله اياك فى التجريد)
اى بان يسر لك القوت من حيث لا تحتسب وجعل نفسك مطمئنة عند تعذره متعلقة بمولاها ودمت على
الاشتغال بوظائف العبادات

الشدة والرخاء قيامهم بالله ونظرهم اليه وخوفهم هيبته ورجاؤهم الانس اه
واما غيرهم فبقوا مع نفوسهم فى نسبة الاعمال والافعال اليها وطلبوا الحظ لها
وعليها فاعتمدوا على أعمالهم وسكنوا الى احوالهم فاذا وقعوا فى زلة نقص بذلك
رجاؤهم كما انهم اذا عملوا طاعة جعلوها من اعظم عددهم واقوى معتمدهم
فتعلقوا بالاسباب وحجبوا بتفرقهم بها عن رب الارباب فمن وجد هذه العلامة فى
نفسه فليعرف منزلته وقدره ولا يتعد طوره فيدعى مقامات الخاصة من المقربين
وانما هو من عامة أصحاب اليمين وستأتى اشارات الى هذا المعنى فى مواضع من كلام
المؤلف قدس الله سره * وقد ذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى والحافظ ابو نعيم
الاصفهانى عن يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنهم قال عارضنى بعض الناس
فى كلام وقال لى لا تستدرك مرادك من عملك الان تتوب فقلت مجيبا لوان التوبة
تطرق بابى ما أذنت لها على انى أنجو بها من ربى ولوان الصدق والاخلاص كانا
عبدين لى لبعتهما زهدا منى فيهما لانى ان كنت عند الله فى علم الغيب سعيدا
مقبولا لم تخلف باقتراف الذنوب والمآثم وان كنت عنده شقيا مخذولا لم تسعدنى
توبتى واخلاصى وصدقى وان الله خلقنى انسانا بلا عمل ولا شفيع كان لى اليه
وهدانى لدينه الذى ارتضاه لنفسه فقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن
يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين فاعتمادى على فضله وكرمه اولى بى ان
كنت حراعاقلا من اعتمادى على افعالى المدخولة وصفاتى المعلولة لان مقابلة
فضله وكرمه بافعالنا من قلة معرفتنا بالكريم المتفضل * قلت وهذه الحكاية
وامثالها مما تقرع سمع من لا حقيقة عنده من طريق القوم فينكر معناها
ولا يعتقده او يسلمه ويدعيه مقاما لنفسه وكلتا الحالتين مؤدية بصاحبها الى
ضرر وخطر فليتق الله تعالى عبد ليس له بصر فى هذه الطريقة ان ينكر ما ذكرناه
فيقع فى الاعتراض على السادة والاولياء وفى ذلك بعده من الله تعالى او يدعيه
مقاما لنفسه من غير ان يستظهر عليها ويتوثق منها ويزنها بالمعيار الذى نبهنا عليه
ومحال وجود ذلك ممن لم يصحح مقام الفناء عن النفس فيرتكب حينئذ مساخط
الله تعالى ويتعدى حدوده ويجعل ذلك حجة لنفسه غلطا وجهلا وهذا باب من
الزندقة والعياذ بالله سبحانه وتعالى * (ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى
فى الاسباب من الشهوة الخفية وارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك فى التجريد

انحطاط عن الهمة العلية) الاسباب هيهنا عبارة عما يتوصل به الى غرض ما ينال في الدنيا والتجريد عبارة عن عدم تشاغله بتلك الاسباب لاجل ذلك فمن اقامه الحق تعالى في الاسباب وأراد هو الخروج منها فذلك من شهوته الخفية وانما كانت من الشهوة لعدم وقوفه مع مراد الله تعالى به وارادته هو خلاف ذلك وانما كانت خفية لانه لم يقصد بذلك نيل حظ عاجل وانما قصد بذلك التقرب الى الله تعالى بكونه على حال هي أعلى بزعمه لكن فاته الادب بعدم وقوفه مع مراد الله تعالى من اقامته اياه فيما أقامه فيه وتطلعه الى مقام رفيع لا يليق به في الوقت وعلامة اقامته اياه في الاسباب أن يدوم له ذلك وان تحصل له ثمرته ونتيجته وذلك بان يجد عند تشاغله بالاسباب سلامة في دينه وقطع المطمعه عن غيره وحسن نيته في صلة رحم أو اعانة فقير معدم الى غير ذلك من فوائد المال المتعلقة بالدين ومن اقامه الحق تعالى في التجريد وأراد الخروج منه الى الاسباب فذلك من انحطاط همته وسوء ادبه وكان واقفا مع شهوته الجلية لان التجريد مقام رفيع أقام الحق تعالى فيه خواص عباده من الموحدين والعارفين فاذا أقامه الحق تعالى في مقام الخواص فلم ينحط عن رتبتهم الى منازل أهل الانتقاص * قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه من لم يأنف من مشاركة الاضداد في الاسباب فهو خسيس الهمة وعلامة اقامته اياه في التجريد ما ذكرناه من الدوام ووجدان الثمرة ومن ثمرات ذلك طيب وقت المتجرد وصفاء قلبه ووجدان راحته من ملابسة الخلق ومخالطتهم والهمة حالة للقلب وهي قوة ارادة وغلبة انبعاث الى نيل مقصود ما وتكون عالية ان تعلقت بمعالي الامور وسافلة ان تعلقت بادانيها قال الشاعر واجاد

وقائلة لم علتك الهموم * وأمرك ممتثل في الامم
فقلت ذريني على حالتي * فان الهموم بقدر الهمم

وقال الآخر

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى * وهامة همته في الثريا
فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وما ذكرته من معاني الاقامة في نوعي الاسباب والتجريد هو شئ فهمته مما يقوله بعد هذا من علامة اقامة الحق لك في الشئ ادامته اياك فيه مع حصول النتائج والله أعلم وقد ذكر في التنوير هذه المسئلة بنصها حاكيا عن هذا الكتاب وقال بأثره وافهم رحمك الله ان من شأن العدو ان يأتيك فيما أنت فيه مما اقامك الله فيه فيحقره عندك لتطلب غير ما أقامك الله فيه فيشوش عليك قلبك ويكدر وقتك وذلك انه يأتي للمتسببين فيقول لهم لو تركتم الاسباب وتجردتم لاشرقت لكم الانوار

(انحطاط عن الهمة العلية) لارادتك الرجوع الى الخلق بعد التعلق بالحق ولو لم يكن الاخلاطه ابناء الدنيا فيما هم فيه لكان كافيا في دناءة الهمة فالواجب على السالك ان يمكث في ما اقامه الحق فيه ويرضى به حتى يتولى الله اخراجه منه ولا يخرج بنفسه وارادته وتسويل الشيطان فيقع في بحر القطيعة والعياذ بالله تعالى

واصفت منكم القلوب والاسرار قائلا وكذلك سمع فلان وفلان ويكون هذا العبد ليس مقصودا بالتجريد ولا طاقة له به انما صلاحه فى الاسباب فيتركها فيتزلزل ايمانه ويذهب ايقانه ويتوجه الى الطلب من الخلق والى الاهتمام بأمر الرزق فيرمى فى بحر القطيعة وذلك قصد العدو منه لانه انما يأتيك فى صورة ناصح كما أتى أبوبك فيما أخبر الله تعالى عنه بقوله تعالى وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين كما تقدم بيانه وكذلك يأتى المتجردين ويقول لهم الى متى تتركون الاسباب ألم تعلموا أن ترك الاسباب تتطلع معه القلوب الى ما فى أيدى الناس ويفتح باب الطمع ولا يمكنكم الاسعاف والايثار ولا القيام بالحقوق وعوض ما تكون منتظرا لما يفتح به عليك من الخلق فلو دخلت فى الاسباب بقى غيرك منتظرا ما يفتح به عليه منك الى غير ذلك ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق فلا يزال به حتى يعود الى الاسباب فتصيبه كدورتها وتغشاه ظلمتها ويعود الدائم فى سببه أحسن حالا منه لان ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه فافهم واعتصم بالله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم وانما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد الرضا عن الله تعالى فيما هم فيه وأن يخرجهم عن مختار الله لهم الى مختارهم لانفسهم وما أدخلك الله فيه تولى اعانتك عليه وما دخلت فيه بنفسك وكلك اليه وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا فالمدخل الصدق أن تدخل فيه لا بنفسك والمخرج الصدق أيضا كذلك فافهم والذى يقتضيه الحق منك أن تمسك حيث أقامك حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى اخراجك كما تولى ادخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتركك السبب * قال بعضهم تركت السبب كذا كذا مرة فعدت اليه ثم تركنى السبب فلم أعد اليه ودخلت على الشيخ رضى الله عنه وفى نفسى العزم على التجريد قائلا فى نفسى ان الوصول الى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلوم الظاهرة ووجود الخاصة للناس فقال لى من غير أن أسأله صحبنى انسان مشتغل بالعلوم الظاهرة ومقتصد فيها فذاق من هذه الطريق شيأ فجاء الى فقال ياسيدى أخرج عما أنا فيه وأتجرد لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدينا فهو اليك واصل ثم قال الشيخ ونظر الى وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شئ حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى اخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ووجدت الراحة بالتسليم الى الله تعالى ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم القوم لا يشقى بهم جليسهم اه كلامه فى التنوير فى هذا

(سوابق الهمم لاتخرق اسوار الاقدار) هذه الحكمة كالتعليل لما قبلها وتصلح أيضا لما بعدها كأنه قال ارادتك أيها المريد خلاف ما أراده مولاك لاتجدى نفعا لانه اذا كان سوابق الهمم أى الهمم السوابق أى سريعة التأثير فى الاشياء وهى قوى النفس التى تنفعل عنها الاشياء وتكون للولى كرامة يقال فعل كذا بهمته اذا وجهها اليه فوجد ولغيره كالساحر والعائن اهانة لاتنفعل عنها الاشياء الا بتقدير الله تعالى أى باذنه سبحانه فالهمم غير السوابق كهمتك أيها المريد لا أثر لها من باب أولى ففى هذا تبريد نار الحرص المشتعلة فى قلبه حتى يخيل له أن ذلك الشئ طوع يده وأنه يدركه لامحالة والاضافة فى قوله سوابق الهمم من اضافة الصفة الى الموصوف كما تقرر وفى قوله أسوار الاقدار من اضافة المشبه به للمشبه ثم قال (أرح نفسك) أيها المريد ❊(٨)❊ (من التدبير) لامر دنياك وهو أن يقدر الشخص فى نفسه أحوالا يكون عليها على ما تقتضيه شهوته ويدبر لها ما يليق بها من أحوال وأعمال ويهتم لاجل ذلك وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه واعلل أن أكثر ما يقدره لايقع فيخيب ظنه وفى تعبيره بأرح اشارة الى أن المطلوب تركه لما يدهو ومافيه تعب ومعاناة اما تدبير أمور معاشه على وجه سهل يستعين به على مطلوبه فلا بأس به ولذا أورد التدبير نصف المعيشة (فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) يعنى أن الامر مفروغ منه اذ قد قام به غيرك وهو الله تعالى وما قام به غيرك لا فائدة فى قيامك به فيكون قيامك به فضولا لا ينبغى أن يتلبس به ذوو العقول وأيضا فيه ترك العبودية ومضادة الاحكام الربوبية ومنازعة القدر وانما خاطب المريد بذلك لانه اذا توجه لحضرة الرب واشتغل بأوراد الطريق وأعماله تعطلت عليه أسباب معاشه فى الغالب فيأتيه الشيطان ويوسوس له ويصير يدبر فى نفسه أمورا لايقع أكثرها وذلك يشغله عما هو بصدده فيرجع عما هو متوجه له فاذلك كثرة الذكر والرياضة حتى يرجع عنه الشيطان وتحصل له الراحة من تعب التدبير ولذا قال

المعنى وهو كلام حسن وانما أثبتناه ههنا على طوله لانه تولى فيه بيان مسئلته التى ذكرها فى هذا الكتاب بنفسه بيانا شافيا فعلقناه بلفظه ووددنا لو أن جميع مسائله تكون هكذا ❊سوابق الهمم لاتخرق أسوار الاقدار) الهمم السوابق هى قوى النفس التى تنفعل عنها بعض الموجودات باذن الله تعالى وتسميها الصوفية همة فيقولون أحال فلان همته على أمر ما فانفعل له ذلك وهذه الهمم السابقة لاتنفعل الاشياء عنها الا بالقضاء والقدر وهو معنى قولنا باذن الله تعالى فهى على حال سبقيتها ونفوذها لاتخرق اسوار الاقدار ولا تنفذها وهذه الهمم قد تكون للاولياء كرامات وقد تكون لغيرهم استدراجا ومكرا كما تكون للعائن والساحر وقد ثبت أن العين حق والسحر حق ومعناه ماذكرناه وحاصل ذلك أنه يجب أن يعتقد أنها أسباب لا تأثير لها ولا فاعلية وأن الفاعل هو الله تعالى وحده عندها لا بها * وكأن المؤلف رحمه الله انما أورد هذه المسئلة بين يدى كلامه فى التدبير ليعرفك بذلك أن وجود التدبير لا جدوى له ولا فائدة لان الهمة الفعالة اذا لم تنفذ فى خرق أسوار الاقدار شيأ كيف يفيد فى ذلك التدبير وما لا فائدة فيه فضول لا ينبغى أن يتشاغل به ويتعب فيه ذوو العقول ولذلك قال (ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك) تدبير الخلق لامور دنياهم على الوجه الذى تقولوه مذموم لان الله تعالى قد تكفل لهم بذلك وقام به عنهم وطلب منهم أن (يفرغوا)

(اجتهادك فيما ضمن لك) اى تكفل الله لك به وهو الرزق تفضلا منه واحسانا قال تعالى وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم الى غير ذلك من الآيات (وتقصيرك فيما طلب منك) وهو العمل الذى يتوصل به عادة الى ❊(٩)❊ مولاك من أذكار وصلوات وأوراد وغير ذلك من أنواع الطاعات قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية فالمطلوب من المريد السعى فى قوت الارواح وهو ذكر المولى وفعل ما يقرب اليه لا قوت الاشباح لانه قائم به غيره وهو مولاه (دليل على انطماس اى عمى البصيرة منك) وهى عين فى القلب تدرك الامور المعنوية كما ان البصر يدرك الامور المحسوسة وفى تعبيره بالاجتهاد اشارة الى ان طلب الرزق من غير اجتهاد لا بأس به للمريد ولا يدل على انطماس بصيرته

يفرغوا قلوبهم منه ويقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط وهو ان يقدر العبد لنفسه شؤنا يكون عليها من أمر دنياه على ما تقتضيه شهوته وهواه ويدبر لها ما يليق بها من أحوال واعمال ويستعد لذلك ويهتم لاجله وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه ثم فيه من ترك العبودية ومضادة أحكام الربوبية ومنازعة القدر واضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه واجتنابه وقطع مواده وأسبابه * قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ذروا التدبير والاختيار فانهما يكدران على الناس عيشهم * وقال سيدى أبو الحسن الشاذلى ان كان ولا بد ان تدبروا فدبروا ان لا تدبروا وهذه المسئلة أساس طريق القوم بل هى جملته وكليته والكلام فيها طويل عريض وانما اقتصرنا فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لان المؤلف رحمه الله أفرد فى هذا المعنى كتابا سماه التنوير فى اسقاط التدبير أحسن فيه غاية الاحسان وقرب الامر فيه بحيث يستغنى به عما صنف فى هذه الطريقة من ديوان فتحصيله متعين على كل مريد نجيب (اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك) الشئ المضمون للعبد هو رزقه الذى يحصل له به قوام وجوده فى دنياه ومعنى كونه مضمونا ان الله تعالى تكفل بذلك وفرغ العباد عنه ولم يطلب منهم الاجتهاد فى السعى فيه ولا الاهتمام له والشئ المطلوب من العبد هو العمل الذى يتوصل به الى سعادة الآخرة والقرب من الله تعالى من عبادات وطاعات ومعنى كونه مطلوبا انه موكول الى اكتساب العبد له واجتهاده فيه ومراعاة شروطه وأسبابه وأوقاته بهذا جرت سنة الله تعالى فى عباده قال الله عز وجل فى المعنى الاول الذى ضمنه للعبد وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى فى المعنى الثانى الذى طلبه منه وان ليس للانسان الا ما سعى وقد روى فى بعض الآثار أن الله تعالى يقول عبدى أطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى بما يصلحك وذكر فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعى من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعى من الجزاء الموفور والسعى المشكور والتجارة التى لا تبور * وقال ابراهيم الخواص العلم كله فى كلمتين لا تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت من قام بهذا الامر على ما ينبغى له من الوجه الذى

ثم قال (لا يكن تأخر أمد) أى زمن (العطاء) بتأخر ما يقع فيه (مع الالحاح فى الدعاء) بزوال أوصاف بشريتك ورفع الحجاب عنك ووصولك الى مولاك (موجبا ليأسك) أى من اجابة الدعاء (فهو ضمن لك الاجابة) بنحو قوله ادعونى أستجب لكم (فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد) فقد يكون دوام الحجاب *(١٠)* على المريد خيرا له ليجتهد فى الاعمال ويدوم خوفه من مولاه لكن الشيطان ربما أتى اليه وقال له لو كنت من أهل الارادة لاجابك مولاك وأزال أوصاف بشريتك وحصل لك مقصودك وجهل أن عدم اجابته قد يكون خيرا له وقد تكون بشريته غليظة فلا ينقطع الا بعد مدة طويلة وما أتى به من المجاهدات والرياضات لا يفيد ذلك فى تلك المدة * وقد شبه بعض العارفين الطبيعة بارض ذات شوك فقد يكون الشوك عليها كثيرا لا ينقطع الا بعد مدة ومعاناة تامة وقد يكون قليلا ضعيفا ذلك إذ فى شئ يزيله وكذلك أوصاف النفوس قد تكون خبيثة كثيرة فتحتاج الى مدة طويلة وشدة معاناة فى قطعها فاذا حصل المقصود ولو فى آخر نفس من عمره كان هو الغاية القصوى وكان ما تعب فيه حقيرا بالنسبة لذلك وقد يكون بضد ذلك فلا تحتاج الى طول مدة وكثرة معاناة

ذكرناه من الاجتهاد فى الامر المطلوب منه وتفريغ القلب عن الامر المضمون له فقد انفتحت بصيرته وأشرق نور الحق فى قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة أعمى القلب وفعله دليل على ذلك * والبصيرة ناظر القلب كما ان البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة والعاقبة للمتقين فالتقوى هى التى يجب على العبد أن يجتهد فيها ولا يتوانى ويقصر عما يمنع منها وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد اشعار بأن طلب الرزق من غير اجتهاد فيه غير مقصود بالكلام وهو كذلك لانه مباح ومأذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا أن اقترن به تقصير فى ما أمر به قال فى التنوير فى قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك أى قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا وهما شيئان شئ ضمنه الله لك فلا تتهمه وشئ طلبه منك فلا تهمله فمن اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته وقل أن ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذا كان الله سبحانه وتعالى قد رزق أهل الجحود كيف لا يرزق أهل الشهود واذا كان سبحانه قد أجرى رزقه على أهل الكفران كيف لا يجرى رزقه على أهل الايمان فقد علمت أيها العبد ان الدنيا مضمونة لك أى مضمون لك منها ما يقوم بأودك والآخرة مطلوبة منك أى العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فى ما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك من أمر الآخرة حتى قال بعضهم ان الله تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا اه

(لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك فهو ضمن لك الاجابة فى ما يختاره لك لا فى ما تختاره لنفسك وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد) حكم العبد أن لا يتخير شيئا على مولاه ولا يجزم بصلاحية حال من الاحوال له لانه جاهل من كل وجه قد يكره الشئ وهو خير له ويحب الشئ وهو شر له * قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لا تختر من أمرك شيئا واختر أن لا تختار وفر من

ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شئ الى الله عز وجل وربك يخلق ما يشاء
ويختار ودخل رجل على سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه وهو يتألمها
له فقال ذلك الرجل عافاك الله يا سيدى فسكت ولم يجاوبه ثم سكت ذلك الرجل
ساعة وقال الله يعافيك يا سيدى فقال له الشيخ أبو العباس وأنا ما سألت الله
العافية فقد سألته العافية والذى أنا فيه هو العافية هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد سأل الله العافية وقد قال ما زالت أكلة خيبر تعاودنى والآن قد
قطعت أبهرى وسيدنا أبو بكر رضى الله عنه سأل الله العافية وبعد ذلك مات
مسموما وسيدنا عمر رضى الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مطعونا
وسيدنا عثمان رضى الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مذبوحا
وسيدنا على رضى الله عنه سأل الله تعالى العافية وبعد ذلك مات مقتولا فاذا
سألت الله تعالى العافية فاسأله من حيث يعلم أنها لك عافية اه فعلى العبد أن
يسلم نفسه الى مولاه ويعلم أن الخيرة له فى جميع ما به يتولاه وان خالف ذلك مراده
وهواه فاذا دعا وطلب من مولاه شيأ يرى ان له فيه مصلحة أيقن بالاجابة لا محالة
قال الله عز وجل وقال ربكم ادعونى أستجب لكم وقال تعالى واذا سألك عبادى
عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وعن جابر رضى الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من أحد يدعو بدعاء الا أتاه الله ما سأل أو
كف عنه من السوء مثله ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم وعن أنس رضى الله عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من داع يدعو الا استجاب الله له دعوته أو صرف
عنه مثلها سوأ أو حط من ذنوبه بقدرها ما لم يدع باثم أو قطيعة رحم فاذا الاجابة
المطلقة حاصلة لكل داع بحق حسبما ورد الوعد الصدق الا أن الاجابة أمرها الى
الله تعالى يجعلها متى شاء وقد يكون المنع وتأخر العطاء اجابة وعطاء لمن فهم
عن الله تعالى ذلك فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى اذا رأى منعا أو تأخيرا
وان ألح فى دعائه وسؤاله وقد يكون تأخير ذلك الى الاخرة خيرا له فقد جاء فى
بعض الاخبار يبعث عبد فيقول الله تعالى له ألم آمرك برفع حوائجك الى فيقول
نعم وقد رفعتها اليك فيقول الله تعالى ما سألت شيئا الا أجبتك فيه ولكن نجزت
لك البعض فى الدنيا ومالم أنجزه فى الدنيا فهو مدخر لك فخذه الآن حتى يقول
ذلك العبد ليته لم يقض لى حاجة فى الدنيا وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم معنى النهى عن الاستعجال فى اجابة الدعاء فى قوله يستجاب لاحدكم مالم
يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى وقد دعا موسى وهارون عليهما السلام على
فرعون فيما أخبر الله به عنهما حيث قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على
قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم اخبر انه أجاب دعاءهما بقوله
سبحانه وتعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون قالوا وكان بين قول الله تعالى لهما قد اجيبت دعوتكما

(لايشككنك في الوعد) الذي وعدك به مولاك في منام أو على لسان ملك أو بالقاء رحماني (عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه) أي وان كان زمنه معينا بان ألهمت أنه يحصل لك في الوقت الفلاني فتح أو يحصل في العام رخاء أو غير ذلك (لئلا يكون ذلك) الشك (قدحا في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك) فمن وعده مولاه شيأ وان كان معين الزمان ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الموعود معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد لحكمة يريدها ومن هذا القسم ما يقع لبعض الاولياء ان يخبر بأنه يحصل في هذا العام كذا ثم لا يحصل فيقع بعض الناس في اعراضهم ومنه ما وقع له صلى الله عليه وسلم عام الحديبية من أخباره للصحابة بالفتح ثم لم يحصل في ذلك العام بل في عام بعده فاذا خطر للمريد خاطر رحماني أو ملكي ثم لم يحصل مقتضاه فلا ينبغي أن يشك في حصول الموعود (فيه)

بل ينبغي أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ولا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده فمن كان كذلك فهو عارف بالله سالم البصيرة منور السريرة والأمر على العكس من ذلك

وهلاك فرعون أربعون سنة (قال) سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقيما أي على عدم استعجال ما طلبتما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون هم الذين يستعجلون الاجابة وناهيك شرفا وحظا ما يحصل له بسبب مداومة الدعاء من محبة الله تعالى وموافقة رضاه فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يحب الملحين في الدعاء وقد جاء في الحديث قال جبريل عليه السلام يا رب عبدك فلان اقض له حاجته فيقول دعوا عبدي فاني أحب أن أسمع صوته رواه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتضى هذا ان من الناس من يعجل الله له نوال حاجته لكراهة صوته وقد روي هذا المعنى أيضا منصوصا فليكن العبد خائفا من ذلك عند تعجيل اجابة دعائه قال أبو محمد عبد العزيز المهدوي رضي الله عنه كل من لم يكن في دعائه تاركا لاختياره وراضيا باختيار الحق فهو مستدرج وهو ممن قيل له اقضوا حاجته فاني أكره أن اسمع صوته فاذا كان في دعائه مع اختيار الحق تعالى لا مع اختيار نفسه كان مجابا وان لم يعط والاعمال بخواتيمها اه وقد تكون الاجابة مرتبة على شروط لا علم للداعي بها فتؤخر لعدم وقوع ذلك أو بعضه وذلك مثل وجود الاضطرار قال الله تعالى أمّن يجيب المضطر اذا دعاه فرتب الاجابة على الاضطرار وقال بعض العارفين اذا أراد الله أن يستجيب دعاء عبد رزقه الاضطرار في الدعاء والاضطرار لا يحققه العبد من نفسه في جميع حالاته قال بعضهم المضطر الذي اذا رفع الى الله تعالى يداه لم ير لنفسه عملا وهذا حال شريف ومقام منيف يعسر على أكثر الناس الوصول اليه وكيف يتحقق بما ينبغي عليه وفي المسئلة التي باثرها التنبيه على هذا المعنى

(لا يشككنك في الوعد عدم وقوع الموعود وان تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدحا في بصيرتك واخمادا لنور سريرتك) الحق سبحانه لا يخلف الميعاد فمن وعده مولاه شيأ وان كان معين الزمن ثم لم يقع ذلك الموعود فلا ينبغي أن يشككه ذلك في صدق وعد ربه لجواز أن يكون وقوع ذلك الوعد معلقا على أسباب وشروط استأثر الحق تعالى بعلمها دون العبد فعلى العبد أن يعرف قدره ويتأدب مع ربه ويسكن اليه فيما وعده به ويطمئن اليه لا يتشكك في ذلك ولا يتزلزل اعتقاده

(اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل) بفتح الهمزة (عملك) أي بقلة عملك اعلم أن السالك لابد له في سلوكه من كثرة الاعمال ليقطع عقبات النفوس ويصل الى حضرة الرب فاذا شرع في المجاهدة وطالت عليه المدة ربما كسل عن بعض أنواع العادات والاوراد التي رتبت عليه فيحصل عنده شدة الهم والغم وربما تسول له نفسه الترك بالكلية مع كونه قد حصل عنده نوع من معرفة الله تعالى فأرشده الشيخ رضي الله عنه الى انه اذا فتح له وجهة من التعرف أي نوعا من المعرفة كأن عرف بطريق الذوق ان الله تعالى حاضر معه مطلع على حاله أو عرف ذوقا انه لافاعل الا الله بأن حصل له تجلي الافعال الذي هو أول التجليات عندهم فلا يبالي حينئذ بقلة العمل لان القصد من العمل القرب من حضرة الرب وفتح تلك الوجهة دليل على ذلك وعلى انه معتني به وانه سيصير من اهل ودّه وقد تكون قلة العمل بسبب مرض يعوقه عنه فاذا حصل عنده نوع من المعرفة بأن عرف ان نزول المرض به خير من الصحة لما فيه من ترقيه وان الله يفعل به ما يريد فلا يبالي حينئذ بقلة العمل (فانه ما فتحها) أي تلك الوجهة (لك الا وهو يريد أن يتعرف اليك) اي يواجهك بفضله ويقرب منك ويتجلى عليك بصفاته وأسمائه ولاشك ان ذلك اعظم من كثرة الاعمال الظاهرة (ألم تر ان التعرف هو مورده عليك) أي محصله لك بطريق التفضل (والاعمال انت مهديها اليه وأين ماتهديه اليه مما هو مورده عليك) فان هدية العبيد وان كانت جليلة هي حقيرة بالنسبة الى هدية السيد وان كانت قليلة على أن هدية العبد هنا نفعها عائد عليه لا على السيد وحاصل ماذكر ان قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل بدونها فاذا حصل للسالك بعض المعرفة ينبغي له أن يوجه ذاته الى حضرة مولاه ليزيده من معرفته وقربه ويهتم بذلك أكثر من اهتمامه بالاعمال الظاهرة ولذا كانت اعمال العارفين الظاهرة قليلة في أواخر أمرهم ومازالوا يحنون الى البداية لما فيها من كثرة الانوار بسبب كثرة الاعمال

فيه فمن كان على هذا الوصف فهو عارف بالله تعالى سالم البصيرة منور السريرة والافعلى العكس (اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها أن قل عملك فانه مافتحها لك الا وهو يريد أن يتعرف اليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والاعمال أنت مهديها اليه وأين ماتهديه اليه مما هو مورده عليك) معرفة الله تعالى هي غاية المطالب ونهاية الآمال والمآرب فاذا وجه الله تعالى عبده ببعض أسبابها وفتح له باب التعرف منها وأوجد له سكينة وطمأنينة فيها فذلك من النعم الجزيلة عليه فينبغي أن لا يكترث بما يفوته بسبب ذلك من أعمال البر ومايترتب عليها من جزيل الاجر وليعلم أنه سلك به مسلك الخاصة المقربين المؤدي الى حقائق التوحيد واليقين من غير اكتساب من العبد ولا تعمل والاعمال التي من شأنه أن يتلبس بها هي باكتسابه وتعمله فلا تسلم من دخول الآفات عليها والمطالبة بوجود الاخلاص فيها وقد لا يحصل له مايريد من الثواب عند مناقشة الحساب وأين أحدهما من الآخر ومثاله مايصاب به الانسان من البلايا والشدائد التي تنغص عليه لذات الدنيا وتمنعه من تكثير اعمال البر فان مراده أن يستمر بقاؤه في دنياه طيب العيش ناعم البال ويكون حاله في طلب سعادة الآخرة حال المترفين المتورعين فلا تستغرق نفسه الا بالاعمال الظاهرة التي لا كبير مؤنة عليه فيها

لا مشقة ولا تقطع عليه لذته ولا تفوته شهوته ومراد الله منه أن يطهره من اخلاقه
الذميمة ويحول بينه وبين صفاته الذميمة ويخرجه من أسر وجوده الى متسع شهوده
ولا سبيل له الى الوصول الى هذا المقام على غاية الكمال والتمام الا بضد مراده
ويشوش عليه معتاده ويكون حاله حينئذ المعاملة بالباطن ولا مناسبة بينها وبين
الاعمال الظاهرة فاذا فهم هذا علم أن اختيار الله له ومراده منه خير له من اختياره
لنفسه ومراده لها وقد روى ان الله تعالى أوحى الى بعض أنبيائه أنزلت بعبدى
بلاء فدعانى فعاملته بالاجابة فشكانى فقلت عبدى كيف أرحمك من شئ به
أرحمك وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
قال الله تبارك وتعالى اذا ابتليت عبدى المؤمن فلم يشكنى الى عواده أنشطته من
عقالى وبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه ويستأنف العمل وروى عن سعيد
المقبرى قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول قال الله تبارك وتعالى انى ابتلى
عبدى المؤمن فاذا لم يشك الى عواده حللت عنه عقدى وبدلت له لحما خيرا من
لحمه ودما خيرا من دمه ثم قلت له استأنف العمل قال أبو عبد الله محمد بن على
الترمذى رضى الله عنه ولقد مرضت فى سالف أيامى مرضة فلما شفانى الله تعالى
منها مثلت فى نفسى ما دبر الله تعالى لى من هذه العلة فى مقدار هذه المدة وبين
عبادة الثقلين فى قدر أيامها فقلت لو خيرت بين هذه العلة وبين أن تكون لى
عبادة الثقلين فى مقدار مدتها الى أيهما يميل اختيارى فصح عزمى ودام يقينى
ووقفت بصيرتى أن مختار الله تعالى أكثر شرفا وأعظم خطرا وأنفع عاقبة وهى
العلة التى دبرها لى ولا شوب فيها اذا كان فعله شتان بين فعلك لتنجو به وبين
فعلك لتنجو به فلما رأيت ذلك دق فى عينى عبادة الثقلين فى مقدار تلك المدة
فى جنب ما آتانى فصارت العلة عندى نعمة وصارت النعمة منة وصارت المنة أملا
وصار الامل عطفا فقلت فى نفسى بهذا كانوا يستمرون فى البلاء على طيب
النفوس مع الحق وبهذا الذى انكشف كانوا يفرحون بالبلاء اه فهذه هى
وجهة التعرف التى فتحها الله تعالى له وحصلت له الغبطة بها وآثرها على عبادة
الثقلين والله أعلم فاذا أنزل الله تعالى على العبد شيأ من البلايا فليستشعر
ما ذكرناه وليجعله نصب عينيه وليجد فى ذكره على نفسه حتى يحصل له من السكون
والطمأنينة ما يحمل عنه اثقال ذلك ويزيل عنه مرارته ويوجد حلاوته وعند ذلك
يكون حاله فى بلائه حال الشاكرين من الفرح والاغتباط به فيرى من حق
شكره أن يأتى بما يليق به من أعمال البر واعتبر جميع ما قلناه فى هذه المسئلة بالحكاية
التى ذكرها أبو العباس بن العريف رحمه الله فى كتابه مفتاح السعادة ومنهاج سلوك
طريق الارادة قال فيه كان بالمغرب عمره الله بالاسلام رجل يدعى أبا الخيار

ثم قال (تنوعت أجناس الأعمال) [illegible] (لتنوع واردات الأحوال) أى الواردات التى تج
أحوالا قائمة بقلوبهم تقتضى ميلهم الى تلك الاعمال أو واردات هى الاحوال فان الوارد قد يسمى حالا
كما سيأتى يعنى أن بعض المريدين تجده مشتغلا بالصلاة وبعضهم بالصيام وهكذا وسبب ذلك وارد
الهى اقتضى ميل هذا الى كذا وهذا الى كذا وينبغى لكل احد أن يعمل بمقتضى ميله المذكور ان لم
يكن تحت تربية شيخ والا فلا يشتغل بشئ الا باذنه وارادته وحاصل ذلك ان تنوع الاوراد فى حق
المريدين الصادقين ناشئ عن تنوع ﴿(١٥)﴾ الواردات على قلوبهم فينبغى لكل مريد أن يعمل
بمقتضى وارده
بالشرط المتقدم
ولا يعمل بمقتضى
وارد غيره ولا
يعترض على ذلك
الغير فى عدم
اشتغاله بما
اشتغل به ثم
قال (الاعمال)
الظاهرة
(صور قائمة)
أى كالاشخاص
التى ليس فيها
أرواح فلا نفع بها
(وأرواحها)
التى بها حياتها
ونفعها (وجود
سر الاخلاص)
أى سر هو
الاخلاص (فيها)
والاخلاص
يختلف باختلاف
الناس فاخلاص العباد سلامة اعمالهم من الرياء الجلى والخفى وكل ما فيه حظ للنفس فلا يعملون العمل
الا لله تعالى طلبا للثواب وهربا من العقاب مع نسبة العمل اليهم والاعتماد عليه فى تحصيل ما ذكر
واخلاص المحبين هو العمل لله اجلالا وتعظيما لانه تعالى أهل لذلك لا لقصد ثواب ولا هرب من عقاب
ولذا قالت رابعة العدوية ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك فتبت العبادة اليها
واخلاص العارفين شهودهم انفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم من غير أن يروا لانفسهم فى ذلك
حولا ولا قوة فلا يعملون العمل الا بالله لا بحولهم ولا قوتهم وهذا أرفع مما قبله ثم ذكر رحمه الله
ما يعين على الاخلاص ويحصله بقوله

رحمه الله ونفعنا به ذكره أصله من صقلية وموطنه بغداد وجاوز سنه التسعين وهو
فى الرق لم يعتقه مولاه ذلك منه عن قصد واختيار وعم جسده الجذام ورائحة
المسك توجد منه على مسافة بعيدة قال الذى حدثنى رأيته يصلى على الماء ثم لقيت
بعده محمدا الاصفهى فاذاه والابرص فقلت له يا سيدى كان الله تعالى لم يجد
للبلاء محلا من أعدائه حتى أنزله بكم وأنتم خاصة أوليائه قال فقال لى اسكت
لا تقل ذلك انه لما أشرفنا على خزائن العطاء لم نجد عند الله شيأ أشرف ولا أقرب
اليه من البلاء فسألناه اياه فكيف بك لو رأيت سيد الزهاد وقطب العباد وامام
الاولياء الاوتاد بغار فى أرض طرسوس وحبالهم يتناثر وجلده يسيل قيحا
وصديدا وقد أحاط به الذباب والنمل فاذا كان الليل لم يقنع بذكر الله وشكره
على ما أعطاه من الرحمة واسكن جسده من العافية حتى يشد نفسه بالحديد
ويستقبل القبلة عامة ليله حتى يطلع الفجر اه وسيأتى شئ من كلام المؤلف رحمه
الله فى هذا المعنى والتنبيه عليه والله ولى التوفيق ﴿تنوعت أجناس الاعمال
لتنوع واردات الاحوال﴾ واردات الاحوال هى ما يرد على القلوب من المعارف
الربانية والاسرار الروحانية وهى التى توجب لها أحوالا حميدة فمنها وارد يوجب
هيبة ومنها وارد يوجب أنسا ومنها وارد يوجب قبضا ومنها وارد يوجب بسطا الى
غير ذلك من مختلفات الاحوال ولما كانت هذه الواردات أيضا متنوعة كانت
أجناس الاعمال التى تقتضيها هذه الواردات أيضا متنوعة والاعمال الظاهرة أبدا
تبع لاحوال القلوب الباطنة كما سيقرره المؤلف بعد هذا فى قوله حسن الاعمال
نتائج حسن الاحوال ﴿الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها﴾
خلاص كل عبد فى اعماله على حسب رتبته ومقامه فأما من كان منهم من الابرار

(ادفن وجودك في أرض الخمول) أى في الخمول وهو عدم الشهرة الشبيه بالارض ودفن وجودك فيه أن لا تتعاطى أسباب الشهرة بأن تعرض نفسك للمناصب وغيرها مما فيه انتشار الصيت فان سلكت الطريق بعد شهرتك فالواجب عليك التواضع وأن لا ترى لنفسك مقاما ولا ترى ما أنت فيه من المناصب وغيرها شيأ عظيما بل ترى أن الخير في تركه لكن (١٦) لا تتركه الا باشارة أستاذك أو باذن الهى ثم ضرب لذلك مثلا بقوله (فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) بل يخرج ضعيفا مصفرا لا ينتفع به الانتفاع التام واذا لم ينبت فالغالب أن يلتقطه الطائر فلا ينتفع به أيضا وكذلك السالك اذا تعاطى أسباب الشهرة فى بدايته قل أن يفلح فى نهايته وبقدر تحققه بوصف الخمول يتحقق له مقام الاخلاص فينبنى أمره فى الابتداء على الفرار من الخلق وانعمال الذكر وعدم حب الشهرة حتى اذا فنيت أوصافه وبقى بربه للعبودية كان مع مولاه ان شاء أظهره وان شاء أخفاه قال أبو العباس قدس الله سره من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ومن كان عبد الله فسواء عليه أظهره أو أخفاه اهـ

فمنتهى درجة اخلاصه أن تكون عماله سالمة من الرياء الجلى والخفى وقصد موافقة أهواء النفس طالبا ما وعد الله تعالى به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وهربا مما أوعد به المخلطين من أليم العذاب وسوء الحساب وهذا من التحقيق بمعنى قوله تعالى اياك نعبد أى لا نعبد الا اياك ولا نشرك فى عبادتنا غيرك وحاصل أمره اخراج الخلق عن نظره فى اعمال بره مع بقاء رؤيته لنفسه فى النسبة اليها والاعتماد عليها وأما من كان منهم من المقربين فقد جاوزه هذا الى عدم رؤيته لنفسه فى عمله فاخلاصه انما هو فى شهود انفراد الحق تعالى بتحريكه وتسكينه من غير أن يرى لنفسه فى ذلك حولا ولا قوة ويعبر عن هذا المقام بالصدق الذى به يصح مقام الاخلاص وصاحب هذا مسلوك به سبيل التوحيد واليقين وهو من التحقق بمعنى قوله تعالى واياك نستعين أى لا نستعين الا بك لا بأنفسنا وحولنا وقوتنا فعمل الاول هو العمل لله تعالى وعمل الثانى هو العمل بالله فالعمل لله يوجب المثوبة والعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب تحقيق العبادة والعمل بالله يوجب تصحيح الارادة والعمل لله نعت كل عابد والعمل بالله نعت كل قاصد والعمل لله قيام بأحكام الظواهر والعمل بالله قيام بالضمائر وهذه العبارات للامام أبى القاسم القشيرى رضى الله عنه وبهذا يتبين الفرق بين المقامين وتباينهما فى الشرف والجلالة فاخلاص كل عبد هو روح اعماله فبوجود ذلك تكون حياتها وصلاحيتها للتقرب بها ويكون فيها أهلية وجود القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها وسكوتها عن درجة الاعتبار وتكون اذ ذاك أشباحا بلا أرواح وصورا بلا معان قال بعض المشايخ صحح عملك بالاخلاص وصحح خلاصك بالتبرى من الحول والقوة * ثم ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الحالة التى اذا كان العبد عليها كان مخلصا بالمعنيين فقال *(ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه) لا شئ أضر على المريد من الشهرة وانتشار الصيت لان ذلك من أعظم حظوظه التى هو مأمور بتركها ومجاهدة النفس فيها وقد تسمح نفس المريد بترك ما سوى هذا من الحظوظ ومحبة الجاه وايثار الاشتهار مناقض

للعبودية التي هو مطالب بها قال ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه ما صدق الله من
أحب الشهرة وقال بعضهم طريقتنا هذه لا تصلح الا لأقوام كنست بأرواحهم
المزابل وقال أيوب السختياني رضي الله عنه والله ما صدق الله عبد الا سره أن لا
يشعر بمكانه وقال رجل لبشر بن الحرث رضي الله عنه اوصني فقال أخمل ذكرك
وأطب مطعمك وقال بعضهم رضي الله عنه ما أعرف رجلا أحب ان يعرف الا ذهب
دينه وافتضح وقال أيضا لا يجد حلاوة الآخرة من أحب ان يعرفه الناس وقال
الفضيل رضي الله عنه بلغني أن الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده ألم
انعم عليك ألم أسترك ألم أخمل ذكرك ثم ان تلك الاشياء الراجعة الى محبة الاشتهار
والاستعلاء مما يقدح في اخلاص العبد على اختلاف مراتبه لانه اما بسقوط
الناس عن النظر اليهم أو بسقوط النفس عن النظر اليها ولا يثبت للمريد جميع
ذلك الا بالخمول وسقوط المنزلة عند نفسه وعند الناس لانه ان لم يكن بهذه المثابة
لم يفك عن الاغراض التي تبعثه على استمالة قلوب الخلق لما يرى لنفسه عليهم
من الحق فتدعوه نفسه الى ذلك دعاء خفيا فينصبغ عمله بالرياء انصباغا لا يتفطن
له كما سيأتي عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وبقدر
تحققك بوصف الخمول يتحقق لك مقام الاخلاص حتى تتخلص بذلك من رؤية
اخلاصك وبهذا يتبين لك افلاس جميع الناس الا من رحمه الله تعالى وان
الاخلاص في غاية الصعوبة على النفس وانه أعز الاشياء في الوجود وقيل لسهل
ابن عبد الله رضي الله عنه أي شئ أشد على النفس قال الاخلاص لانها ليس لها
فيه نصيب وقال يوسف بن الحسين رضي الله عنه أعز شئ في الدنيا الاخلاص وكم
أجتهد في اسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت فيه على لون آخر قال الشيخ أبو طالب
المكي رضي الله عنه والاخلاص عند الخالصين اخراج الخلق عن معاملة الخالق
وأول الخلق النفس والاخلاص عند المحبين أن لا يعمل عملا لاجل النفس والا
دخل عليه مطالبة العوض أو تشوف الى حظ طبع والاخلاص عند الموحدين
خروج الخلق عن النظر اليهم في الافعال وترك السكون والاستراحة بهم
في الاحوال اه فاذا أخمل العبد نفسه وألزمها التواضع والمذلة واستمر على ذلك
حتى صار له خلقا وجبلة بحيث لا تجد لضعته ألما ولا لذلته طعما فحينئذ تتزكى
نفسه ويستنير بنور الاخلاص قلبه وينال من ربه أعلى درجات الخصوصية
ويحصل على أوفر نصيب من المحبة الحقيقية قال الشيخ أبو طالب ومتى ذل
في نفسه واتضع عند نفسه فلم يجد لذلته طعما ولا لضعته حسا فقد صار الذل
والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجود النقص في نفسه ولا يحب
المدح منهم لفقد القدر والمنزلة في نفسه فصارت الذلة والضعة صفة له لا تفارقه
لازمة لزوم الزبالة للزبال والمساحة للكساح وهما صنعتان له كسائر الصنائع

ورعما نفروا بهما العدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة له من ربه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه وهذا مقام محمود محبوب وبعده مقام المكاشفات بأسرار الغيوب ثم قال ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز اذا فارق العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك حياة نفسه اه فاذا لابد للمريد من اسقاط جاهه واخمال ذكره وفراره عن مواضع اشتهاره وتعاطيه أمورا مباحة تسقطه من أعين الناس كقصة السائح الذي سمع به ملك زمانه فجاء اليه فلما علم بذلك السائح استدعى بقلا وجعل يأكله أكلا عنيفا فرأى من الملك فلما رآه على تلك الحالة استحقره واستصغره وانصرف عنه ذاما له وسيأتى نص هذه القصة بعد هذا عند قوله ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق اليك وقد بالغ أئمة الصوفية رضي الله عنهم في مداواة علة الجاه الذي علق بالقلوب حتى استعملوا في ذلك أشياء منكرة في ظاهر الشرع ورأوا ذلك جائزا لهم أن يفعلوه ويأمروا به وذلك مثل قصة الرجل الذي دخل الحمام ولبس من فاخر ثياب الناس تحت ثيابه بحيث تظهر ومشى بذلك متحيرا بحيث يرى ويظن به السرقة فلما رآه الناس أخذوه وصفعوه ونزعوا الثياب عنه واشتهر عندهم بالسرقة حتى كان يعرف عندهم بلص الحمام فحينئذ وجد قلبه ومثله ما روى عن أبي يزيد رضي الله عنه في قصة الشاهد الذي أمره بحلق رأسه ولحيته وتعليق مخلاة الجوز في عنقه واعطائه لمن يصفعه من الصبيان وطوافه على تلك الحالة في المحافل والمحاضر والحكايتان مشهورتان ذكرهما الامام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه وغيره قال بعض المصنفين واذا جاز لمن غص باللقمة من طعام حلال أن يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد غيره مع ان تحريمه مقطوع به ولا يفوته الا حياة فانية فلان يجوز مثل هذا اذا تعين أولى اذ يفوته بذلك الحياة الباقية والقرب من الله تعالى فاذا التزم العبد هذه الطرق من الرياضات ماتت نفسه وحيي قلبه وقرب من حضرة ربه واجتنى ثمرة غرسه على غاية الكمال والتمام وتلك الثمرة اخلاق الايمان التي تكيفت بها نفسه وصارت كصفات ذاتية له وهي نتيجة الحكمة التي أنبتها الله في قلوب عباده المتواضعين ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال عيسى عليه الصلاة والسلام لاصحابه أين تنبت الحبة قالوا في الارض فقال عيسى عليه الصلاة والسلام كذلك الحكمة لا تنبت الا في قلب مثل الارض قلت وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في مدح الخمول وذم الشهرة أحاديث كثيرة منها ما روى أبو امامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل ان أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من

الصلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه
بالاصابع وكان رزقه كفافا فاصبر على ذلك ثم نفض يده فقال عجلت منيته قلت
بواكيه قل تراثه وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رب أشعث أغبر ذي طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لابره
وروى معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان
يسيرا من الرياء شرك وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان الله يحب
الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا قلوبهم
مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي نوه فيه باسم أويس القرني وأشار
بذكره ونبه على عظيم أمره رضي الله عنه أنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم في حلقة من أصحابه اذ قال ليصلين معكم غدا رجل من أهل الجنة قال
أبو هريرة فطمعت أن أكون ذلك الرجل فغدوت فصليت خلف النبي صلى الله
عليه وسلم فأقمت في المسجد حتى انصرف الناس فبقيت أنا وهو صلى الله عليه وسلم
فبينما نحن كذلك اذ أقبل رجل اسود متزر بخرقة مرتد برقعة فجاء حتى وضع يده في
يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا النبي
صلى الله عليه وسلم له بالشهادة وانا لنجد منه ريح المسك الاذفر فقلت يا رسول الله
أهو هو قال نعم انه لمملوك بني فلان قلت أفلا تشتريه فتعتقه يا نبي الله فقال واني لي
بذلك ان كان الله تعالى يريد أن يجعله من ملوك الجنة يا أبا هريرة ان لاهل الجنة
ملوكا وسادة وان هذا الاسود أصبح من ملوك الجنة وساداتهم يا أبا هريرة ان الله
عز وجل يحب من خلقه الاصفياء الاخفياء الابرياء الشعثة رؤسهم المغبرة
وجوههم الخمصة بطونهم من كسب الحلال الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن
لهم وان خطبوا المتنعمات لم ينكحوا وان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا وان
طلعوا لم يفرح بطلعتهم وان مرضوا لم يعادوا وان ماتوا لم يشهدوا قالوا يا رسول الله
كيف لنا برجل منهم قال ذلك أويس القرني قالوا وما أويس القرني قال أشهل ذو
صهوبة بعيد ما بين المنكبين معتدل القامة آدم شديد الادمة ضارب بذقنه الى
صدره رام ببصره الى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على
نفسه ذو طمرين لا يؤبه له متزر بازار صوف ورداء صوف مجهول في أهل الارض
معروف في أهل السماء لو أقسم على الله لابر قسمه ألا وان تحت منكبه الايسر لمعة
بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للعباد ادخلوا الجنة ويقال لاويس القرني
قف فشفع فيشفعه الله في مثل عدد ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا أنتما لقيتماه
فاطلبا اليه يستغفر لكما يغفر الله لكما وذكر باقي الحديث وفي حديث آخر ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمتي رجل يقال له أويس القرني يدخل
في شفاعته عدد ربيعة ومضر لو أقسم على الله لأبره فمن لقيه بعدي فليقرئه مني
السلام ثم سئل عن علامته فقال هو رجل أصهب أشهل ذو طمرين أبيضين له أم
وقد كان به بياض فدعا الله عز وجل فأذهبه عنه الا مقدار الدينار أو الدرهم
لا يؤبه له مجهول في الارض معروف في السماء وكان قد بلغ من شدة خموله ونهاية
ضعفه ان الناس كانوا يسخرون منه ويستهزؤن به ويؤذونه ويرون فيه أهلية
الخداع والتلصص وينسبونه الى ذلك فقد روى في ذلك انه دفع اليه بعض فقهاء
الكوفة ثوبين وكان يجالسه فانقطع عن مجلسه لاجل العري فردهما عليه بعد
أن أخذهما منه وقال ان الناس يقولون من أين له هذان الثوبان ترى من خدع
عليهما وكان في ذلك الوقت يجالس الفقهاء ويظهر للناس وذلك قبل أن يعرف
برفعة القدر وجلالة الخطر وتنويه عمر رضي الله عنه به على المنبر فلما رأى ان
الناس عرفوا حاله هرب عنهم واستخفى منهم ولبس أمره عليهم برعاية الابل وغير
ذلك وقيل لعمر رضي الله عنه لما سأل عنه قوم ما فينا أخمل منه ذكرا فلما لقيه هو
وعلي رضي الله عنهما وسألاه من هو فقال له راعي غنم وأجير قوم وستر ذكر أويس
فلما سألاه عن اسمه قال له عبد الله فلما سألاه عن اسمه الذي سمته به أمه امتنع ان
يجيبه عن ذلك فلما أخبراه بوصف النبي صلى الله عليه وسلم له وانهما عرفاه بذلك
قال لهما عسى أن يكون ذلك غيري فلما قالا له أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تحت منكبك الايسر لمعة بيضاء وطلبا منه أن يوضحها لهما لم يجد بدا من أن
يوضحها لهما وذلك لان الله أعلم لعمر بامارة يعرف به عين صحة قول النبي صلى الله عليه وسلم
وصدقه في اخباره بالغيب وذلك أمر واجب عليه والا فلعله كان يتعلل لهما كما
فعله في كل ما سئل عنه ثم بعد ذلك لما سأله عمر رضي الله عنه أن يلتقي معه ويجعل
ذلك الموضع ميعادا بينه وبينه قال له يا أمير المؤمنين لا ميعاد بيني وبينك ولا أعرفك
ولا تعرفني بعد اليوم ثم دفع الابل الى أصحابها وخلا عن الرعاية وكذلك فعل مع
هرم بن حيان رضي الله عنه لما لقيه بشاطئ الفرات ووقع بينهما التعرف قال له
حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظه عنك فقال له لا أحب أن
أفتح هذا الباب على نفسي لا أحب أن أكون محدثا ولا مفتيا ولا قاضيا فلما فرغا
من الكلام الذي كان بصدده سأله مداومة الاجتماع به فأبى وامتنع وقال له
لا أراك بعد اليوم تطلبني ولا تسأل عني انطلق أنت ههنا حتى أنطلق أنا ههنا ثم
بعد ذلك اجتهد في طلبه والبحث عنه فلم يقع له على خبر ومن عجيب أمره ان
حقق الله تعالى له هذا الحال من التخفي والتستر وأتمه له بعد موته مع
ما أظهره بسببه من الآيات والعبر حينئذ قال عبد الله بن سلمة غزونا

(ما نفع القلب) أى قلب المريد فى التطهر من غفلاته والقرب الى حضرة مولاه (شئ مثل عزلة) أى اعتزال عن الناس (يدخل بها ميدان فكرة) أى فكرة شبيهة بالميدان لتردد القلب فيها كتردد الخيول فى الميدان فالمريد اذا كان مخالطا للناس اشتغل نظره بالمحسوسات فلا يتفكر قلبه الا فيها ولا يزال ناظرا الا لعالم الشهادة فاذا اعتزلهم انعكس الحال وجال قلبه فى عالم الغيب وقد جاء فى الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وقيل لأم الدرداء ما كان (٢١) أفضل أعمال أبى الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل به الى معرفة حقائق الاشياء والى تعظيم الله وتعظيم كل ما يرضيه فيفعله وتحقير كل ما يسخطه فيجتنبه ويطلع به على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويعرف به وجوه الحيل فى التباعد عنها ويسلم به من الآفات الناشئة عن مخالطة أهلها وبالعزلة المذكورة يحصل التمرن على الخلوة التى هى أحد أركان الطريق الاربعة بالنسبة للمريدين وباقيها الصمت والجوع والسهر وبهذه الاربعة تصير الابدال ابدالا الا وهذا كله فى حق المريد الذى يسلك بنفسه فان كان تحت تربية شيخ فلا بد من مخالطته ومخالطة الاخوان الذين يعينونه على سلوك الطريق فاذا ذهبت رعونات نفسه وصار من العارفين فلا تضره مخالطة الخلق أجمعين لانه حينئذ لا يرى غير الله تعالى واعلم ان الفكرة هى المقصود والعزلة وسيلة لها ومعينة عليها فهى من الامور التى تصيب القلب اذا لم يحصل له نظير عزلة ولا فكرة بقوله

اذ بجار زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعنا أويس القرنى رضى الله عنه فلما رجعنا مرض فمات فنزلنا فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره فرجعنا فاذا لا قبر ولا أثر قلت والحكايات والآثار فى مدح الخمول وذم الاشتهار أكثر من أن يأتى عليها الحصار وقد أورد كثيرا منها الائمة المصنفون فى هذا العلم فليطالع ذلك المريد مستمدا من الله تعالى أحسن التوفيق والتأييد وتعبير المؤلف رحمه الله تعالى ههنا بالدفن والارض والنبات والنتاج من ملح الاستعارات * (ما نفع القلب شئ مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) مداواة أمراض القلب واجبة على المريد وأمراضه انما تكون من غلبة أحكام الطبع عليه من صحبته للاضداد ووقوفه مع المعتاد وانقياده الى هوى النفس وانسه بعالم الحس ومداواة هذا المرض تتأتى من وجوه كثيرة وأبلغها فى ذلك وأنفعها العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة فبالعزلة يتقيد الظاهر عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يأمن دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصى التى تعرض له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الرديئة والاخلاق الدنيئة ويستفيد بذلك أيضا صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وأنواع الشرور والفتن فان للنفس تولعا وتسارعا الى الخوض فى مثل هذا فواجب على المعتزل ان يكف لسانه عن السؤال عن أخبار الناس وما هم مشغولون به وما هم مكبون فيه ومكبون عليه ويصون سمعه عن الاصغاء الى أراجيف البلدان وما اشتملت عليه من الاحوال التى ذكرناها وليحرص على أن لا يفشاه فى خلوته وعزلته من شأنه التطلع لذلك والبحث عنه وليجتنب صحبة من لا يتورع فى منطقه ولا يضبط لسانه عن الاسترسال فى دقائق الغيبة والوقيعة والتعريض بالطعن على الناس والقدح فيهم فان ذلك مما يكدر صفاء القلب ويؤديه الى ارتكاب مساخط الرب فليهجره المعتزل وليفر منه

فراره من الاسد ولا يجتمع معه في مكان البتة وليتنكر الى كل من يتعرف له ممن هذا شأنه من المنسوبين الى الدين فضلا عن غيرهم كما قال بعضهم أنكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وفي الخبر مثل الجليس السوء كمثل الكيران لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه وفي الاخبار السالفة ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ أو صاحب لا يوازرك على مبرتي فهو لك عدو وأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام فقال له يا داود مالي أراك منتبذا وحدانيا فقال الهي قليت الخلق من أجلك فقال يا داود كن يقظانا وارتد لنفسك أخدانا وكل خدن لا يوافقك على مبرتي فلا تصحبه فانه لك عدو ويقسي قلبك وبيا عدك مني وما أحسن قول أبي اسحق ابراهيم بن مسعود الالبيري في هذا المعنى

تخف أبناء جنسك واخش منهم * كما تخشى الضراغم والسبنتى
وخالطهم وزايلهم حذرا * وكن كالسامري اذا المستا

وبالعزلة أيضا يجتمع همه ويقوى في ذات الله عزمه بخلاف الخلطة فانها تفرق الهم وتضعف العزم فقد قيل ان العبد ليعقد في خلوته على خصال من الخير يعملها فاذا خرج الى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد احلت العقد كلها وروى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وفي الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين وضعف اليقين انما يكون من رؤية أهل الغفلة ومخالطة أرباب البطالة والقسوة قال أبو طالب المكي رضي الله عنه وأضر ما يبتلى به العبد وأدخله وأعمله في هلاكه وأشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه لما وعد من الغيب وتوعد عليه بالشهادة وقوة اليقين أصل كل عمل صالح وقال بعض هذه الطائفة قلت لبعض الابدال المنقطعين الى الله كيف الطريق الى التحقيق والوصول الى الحق قال لا تنظر الى المخلوقات فان النظر اليهم ظلمة وقلت لابدلي منهم قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابدلي منهم قال فلا تعاملهم فان معاملتهم خسران ووحشة وحسرة قلت انا بين أظهرهم ولابدلي من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا تنظر الى اللاعبين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن الى الهالكين وتريد ان تجد حلاوة الطاعة وقلبك مع غير الله عز وجل هيهات هذا لا يكون أبدا وبالعزلة ايضا ينكف بصره عن النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وينصرف خاطره عن الاستحسان الى ما ذمه الله تعالى من زخرفها فيمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافسة أهلها فيها قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية ولا ينبغي لاحد أن يستحقر هذا فانه يؤدي الى

أمراض عظيمة فى القلب ومن اعتزل الناس سلم باذن الله تعالى منها قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فأرباب المجاهدات اذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا الى المستحسنات قال وهذا أصل كبير لهم فى المجاهدات فى أحوال الرياضات اه وقال محمد بن سيرين رضى الله عنه اياك وفضول النظر فانه يؤدى الى فضول الشهوة وقال بعض الادباء من كثرت لحظاته دامت حسراته وقالوا ان العين سبب الحين ومن أرسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشياء بالبصر يوجب تفرقة القلب وقد أنشدوا فى هذا المعنى

وانك ان أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذى لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وبذلك ينقطع طمعه عن الناس ويحصل له منهم الايأس وذلك من أعظم فوائد العزلة عند العقلاء الاكياس ولا تتم له منفعة العزلة الا باشتغال القلب بالفكرة وهى المقصودة ههنا وكانت العزلة مقدمة لها ومعينة عليها وذلك بعد تقديم ما يحتاج اليه من علوم الشرع الظاهرة والقيام بمراعاة آدابه الباطنة وقد ذكر منها الشيخ أبو حامد الغزالى رحمه الله شافية فى كتاب العزلة من الاحياء فلينظر هناك وقد جاء فى الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكذا هو والله أعلم وكان عيسى ابن مريم عليه السلام وعلى نبينا الصلاة والسلام يقول طوبى لمن كان قوله ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة ان أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر التفكر وقيل لأم الدرداء ما كان أفضل عمل أبى الدرداء قالت التفكر وذلك لانه يصل به الى معرفة حقائق الاشياء وتبين الحق من الباطل والنافع من الضار ويطلع به أيضا على خفايا آفات النفس ومكايد العدو وغرور الدنيا ويتعرف به وجوه الحيل فى التحرز عنها والطهارة منها قال الحسن البصرى رضى الله عنه الفكرة مرآة تريك حسناتك من قبيحك ويطلع بها أيضا على عظمة الله تعالى وجلاله اذا تفكر فى آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه الجلية والخفية فيستفيد بذلك أحوالا سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بسببها على طاعة ربه قلت والعزلة التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى تتضمن وجود الخلوة وهى أحد الاركان الاربعة التى هى أساس المريدين ويلزم عنها من الثلاثة الباقية الصمت اذ لا يتأتى من أكثر الناس الا بالخلوة والعزلة فان أضاف اليها المريد الركنين الباقيين وهما الجوع والسهر فقد حصل على كلية الدواء والتحق بزمرة الاولياء والبدلاء قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اجتمع الخير كله فى هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا الخمص البطون والصمت والخلوة والسهر وقال الشاعر وجمعها فى نظمه

(كيف يشرق قلب صور الاكوان) أي المكونات من الآدميين غيرهم (منطبعة في مرآته) باعتقاده انها تضر وتنفع وتطلعه لها في حصول أمر ما من الامور وتعلقه بها (أم كيف يرحل) أي يسير (الى الله وهو مكبل) أي مقيد (بشهواته) النفسية والمقيد لا يمكنه السير (أم كيف يطمع أن يدخل) ذلك القلب (حضرة الله) بأن يشاهده (وهو لم يتطهر من جناية غفلاته) أي من غفلاته الشبيهة بالجنابة فكما يمنع الجنب من دخوله المسجد كذلك يمنع من استولت عليه الغفلة من دخوله حضرة الرب (أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار) وهي العلوم الدقيقة التي ترد على قلوب العارفين (وهو لم يتب من هفواته) وهي ما يصدر منه من المعاصي لا عن قصد وانما تعجب المصنف من ذلك لما فيه من الجمع بين الاضداد وهو محال وهذه الاشياء المذكورة متضادة *(٢٤)* فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه بركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد لاعتقال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة القلب ونزاهته مضاد لما هو عليه من جناية الغفلات التي مقتضاها الابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد الاصرار على المعاصي والهفوات واليه الاشارة بقوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم وكل واحد من هذه الاربعة سبب فيما بعده فانطباع صور الاكوان في مرآة القلب سبب في تكبله بالشهوات والتكبل بها سبب في الغفلة وهي السبب في كثرة الهفوة والهفوة سبب في عمى القلب ثم شرع رحمه الله يتكلم على شيء من المعارف لينشط المريد حتى يجد لذلك ذوقا فتكلم على وحدانية الوجود التي أفردت بها اليوم فقال

يا من يروم منازل الابدال * من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها * ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت أركانه * ساداتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم * والجوع والسهر النزيه العالي

*(كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته)

الجمع بين الضدين محال كاجتماع الحركة والسكون والنور والظلمة وهذه الاشياء التي ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى اضداد لا تجتمع فان اشراق القلب بنور الايمان واليقين مضاد للظلمة التي استولت عليه من ركونه الى الاغيار والاكوان واعتماده عليها والمسير الى الله تعالى بقطع عقبات النفس مضاد للاعتقال في حبس الهوى والشهوات ودخول حضرة الله المقتضية لطهارة الداخل ونزاهته مضاد لما هو عليه من جنابة غفلاته التي مقتضاها الاقصاء والابعاد وفهم دقائق الاسرار المستفاد من التقوى مضاد للاصرار على المعاصي والهفوات واليه الاشارة بقوله عز من قائل واتقوا الله ويعلمكم الله وبما روي في بعض الاخبار من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم قال يحيى بن معين رحمه الله تعالى التقى أحمد بن حنبل وأحمد بن أبي الحواري فقال ابن حنبل لابن أبي الحواري يا أحمد حدثنا بحكاية سمعتها من استاذك أبي سليمان

(الكون) أى المكونات أى الموجودات باسرها (كله ظلمة) أى عدم محض لا وجود له فى نظر أرباب
الشهود (وانما أناره) أى نوره (ظهور الحق) أى الله (فيه) كظهور الشمس فى المشكوة ذات الزجاج
فليس هناك الا وجود واحد وهو وجود * (٢٥) * الحق وبظهوره فى الاشياء وجدت على
حسب ما تقتضيه طبائعها وليس لها وجود فى ذاتها واذا كان كذلك (فمن رأى الكون) أى شيأ منه (ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد أعوزه) أى فاته (وجود الانوار) الالهية التى يدرك بها مشاهدة الله على أى وجه من الوجوه المذكورة (وحجبت عنه شموس المعارف) أى المعارف التى كالشموس (بسحب الآثار) أى بالآثار وهى الاكوان
التى كالسحب جمع سحاب ... عباد ... ل ... بجامع ان كلا يحجب ماوراءه وأشار المصنف رحمه الله
بذلك الى اختلاف أحوال أرباب المشاهدة فى شهودهم فمنهم من يشاهد المكون قبل الاكوان فاذا وقع
نظره على شئ كحيوان شاهد قيام الحق به وظهوره فيه وانه المحرك والمسكن له قبل أن يحضر له كونه
آدميا أو شاة طويلا أو قصيرا الى غير ذلك ومنهم من يشاهد ذلك بعد كونه حيوانا ومنهم من يشاهده معه
ومنهم من يشاهده فيه وهو ظرف متسع وهذا تقريب للافهام والا فهذا أمر لا يدرك الا بالذوق وما كان
كذلك تقصر عنه العبارة

فقال يا أحمد قل سبحان الله بلا عجب فقال ابن حنبل سبحان الله وطولها بلا عجب
فقال ابن أبى الحوارى سمعت أبا سليمان يقول اذا اعتقدت النفوس على ترك
الآثام جالت فى الملكوت وعادت الى ذلك العبد بطرائف الحكمة من غير أن
يؤدى اليها عالم علما قال فقام أحمد بن حنبل ثلاثا وجلس ثلاثا وقال ما سمعت فى
الاسلام بحكاية أعجب الى من هذه ثم ذكر الحديث الذى ذكرناه من عمل بما يعلم
ورثه الله علم ما لم يعلم ثم قال لاحمد بن أبى الحوارى صدقت يا أحمد وصدق شيخك
ولاجل كون هذه الاشياء اضدادا أعجب المؤلف رحمه الله تعالى ممن يعتقد صحة
اجتماعها وممن طمع فى نيل مراتب الرجال مع كونه على أقبح الخلال (الكون كله

ظلمة وانما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله

أو بعده فقد أعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار)
العدم ظلمة والوجود نور فالكون بالنظر الى ذاته عدم مظلم وباعتبار تجلى نور
الحق عليه وظهوره فيه وجود مستنير ثم اختلف أحوال الناس ههنا فمنهم من لم
يشاهد الا الاكوان وحجب بذلك عن رؤية المكون فهذا تائه فى الظلمات محجوب
بسحب الآثار الكائنات ومنهم من لم يحجب بالاكوان عن المكون ثم هم
فى مشاهدتهم اياه فرق فمنهم من شاهد المكون قبل الاكوان وهؤلاء هم الذين
يستدلون بالمؤثر على الآثار ومنهم من شاهده بعد الاكوان وهؤلاء هم الذين
يستدلون بالآثار على المؤثر ومنهم من شاهده مع الاكوان والمعية ههنا امامعية
اتصال وهو شهوده فى الاكوان وامامعية انفصال وهو شهوده عند الاكوان
وهذه الظروف المذكورة ليست بزمانية ولا مكانية لان الزمان والمكان من جملة
الاكوان والاتصال والانفصال المذكوران ليسا على ما يفهم من معانيهما
فانهما أيضا من جملة الاكوان ومعرفة تفصيل هذه الامور والتفرقة بين هذه
الحقائق على ماهى عليه موكول الى أربابه فلنقتصر على ماذكرناه فههنا زلت
أقدام كثير من الناس فتكلموا بكلمات موهمة وعبروا بعبارات منكرة
فى الشرع فكفروا بذلك وبدعوا وانما تقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك

(عما ليس بوجود معه) اتفقت مقالات العارفين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكر من أن ما سوى الله عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله تعالى قال بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية اهـ ومع كون ما ذكر عدما فهو حجاب عن الله تعالى فان الناس لا يشهدون عند نظرهم للاكوان الا هي ولا يشاهدون مكونها مع انها لا وجود لها والوجود انما هو له سبحانه فهذا مما يقضى منه العجب ثم ذكر أدلة تدل على انه لا ينبغي ان يحتجب بتلك الاكوان وان الاحتجاب بها انما هو للعوام فقال ومقامهم

بقوله عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير سبحانه لا اله غيره ٭ عما يدلك

على وجود قهره سبحانه أن حجبك عنه بما ليس بموجود معه) اتفقت مقالات العارفين والمحققين واشاراتهم ومواجيدهم على ما ذكرناه قبيل هذا من ان ماسوى الله تعالى عدم محض من حيث ذاته لا يوصف بوجود مع الله سبحانه وتعالى اذ لو وصف به لكان ذلك شركة واثنينية وهو مناقض لاخلاص التوحيد قال الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ٭ وكل نعيم لا محالة زائل

قال بعض العارفين أبى المحققون أن يشهدوا غير الله لما حققهم به من شهود القيومية واحاطة الديمومية وقال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه انا لننظر الى الله ببصر الايمان والايقان فاغنانا ذلك عن الدليل والبرهان ونستدل به على الخلق هل في الوجود شيء سوى الواحد الحق فلا نراهم وان كان ولا بد فنراهم كالهباء في الهواء ان فتشتهم لم تجدهم شيئا وقال أيضا رضي الله عنه قوي علي الشهود مرة فسألته أن يستر ذلك عني فقيل لي لو سألته بما سأله موسى كليمه وعيسى روحه ومحمد صفيه صلوات الله عليهم أجمعين لم يفعل ولكن سله أن يقويك فسألته فقواني قال ابن عطاء في التنوير فما سوى الله تعالى عند اهل المعرفة لا يوصف بوجود ولا فقد اذ لا يوجد معه غيره لثبوت أحديته ولا فقد لغيره لانه لا يفقد الا ما وجد ولو انهتك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الاعيان ولأشرق نور الايقان فغطى وجود الاكوان وهذا الكلام هو بسط ما ذكره في هذا الكتاب وقال بعضهم لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع فانه لا غير معه حتى أشهده معه وقال الشاعر

مذ عرفت الاله لم أر غيرا ٭ وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا ٭ وأنا اليوم واصل مجموع

وقال آخر

الله قل وذر الوجود وما حوى ٭ ان كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حققته ٭ عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والعوالم كلها ٭ لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته ٭ فوجوده لولاه عين محال
فالعارفون فنوا بان لم يشهدوا ٭ شيئا سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا ٭ في الحال والماضي والاستقبال

وقد صنفوا في بيان هذا الامر تصانيف وتفننوا في الكلام في هذا المعنى نظما ونثرا وكل عبر على حسب شربه وذوقه جزاهم الله عنا خيرا فاذا تقرر هذا ووجدنا أكثر الناس قد حجبوا عن الله تعالى بشهواتهم الدنيوية ودرجاتهم الاخروية

(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى أظهر كل شئ) بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم فيظهوره في الاشياء ظهرت واذا كان ظهور الاشياء متوقفا عليه فيستحيل أن تحجبه حتى يكون خفيا غير ظاهر فان الاظهار انما يفيد ظهور المظهر لا خفاءه (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر بكل شئ) حتى استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق وذلك لان الاثر يدل على المؤثر و يعرف به فهذا مقام المستدلين الضعفاء (كيف يتصور * (٢٧) أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر في كل شئ) بذاته كما يقوله أهل الشهود أو بمحاسن صفاته وأسمائه كما يقوله أهل الحجاب فالاشياء كلها مجالي ومظاهر لظهور معاني أسمائه التي هي تفاصيل معاني صفاته فيظهر في أهل العزة كونه معزا وفي أهل الذلة كونه مذلا وفي الاحياء معنى اسمه المحيي وعند سلب الارواح معنى اسمه المميت وعند العطاء معنى اسمه المعطي وعند المنع معنى اسمه المانع وعند مواصلة الفضل معنى اسمه الكريم وعند اجابة الدعاء معنى اسمه المجيب وعند تسليطه المضار وجلب المنافع معنى اسمه الضار النافع الى غير ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر لكل شئ) أى تجلى لكل شئ حتى عرفه ولذا كان ساجدا له ومسبحا بحمده ولكن لا نفقه ذلك لكل شئ عارف به على قدر تجليه له وان كان في الاشياء من لا يقدر الله حق قدره لنقص معرفته وقصوره والله أعلم

ومقاماتهم العلوية فكل ذلك من الاغيار العدمية والوجودات الوهمية علمنا بذلك وجود قهره اذ من أسمائه تعالى القهار ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وارادتهم وبقوا بربهم وكانوا عبيدا لله حقا وقد سئل أبو سعيد بن الاعرابي رضى الله عنه عن الفناء فقال الفناء أن تبدو العظمة والجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والاحوال والدرجات والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لانه يغرق في التعظيم عقله اه قالوا والفناء على ثلاثة أوجه فناء في الافعال ومنه قولهم لا فاعل الا الله وفناء في الصفات أى لا حى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله وفناء في الذات أى لا موجود على الاطلاق الا الله تعالى وأنشدوا في ذلك فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء وقال سيدى يحيى بن معاذ من شهد الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل وأنشدوا في هذا المعنى

من أبصر الخلق كالسراب * فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود يراه رتقا * بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه * هناك يهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه * ولا مشير الى الخطاب

(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى أظهر كل شئ بما أشرق عليه من نور الوجود وقد كان في ظلمة العدم كما تقدم * كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر بكل شئ) حتى استدل عليه المستدلون بالاشياء كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم * (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر في كل شئ) اذ هو المتجلى فيها بمحاسن صفاته وأسمائه * (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الذى ظهر لكل شئ) في طور ذلك الشئ ولذلك كان ساجدا له ومسبحا بحمده

كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ) لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا فظهوره تعالى ذاتي له غير مكتسب ولا مستفاد ولا معلول وظهور الاكوان ناشئ من تجليه عليها بصفة الظهور فكيف تكون حاجبة له (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ) لان الوجود أظهر من العدم على كل حال ولان الظهور الذاتي أقوى من العرضي والظهور المطلق أقوى من المقيد والدائم أقوى من المنصرم وانما لم يدركه العقول مع شدة ظهوره لان شدة الظهور لا تطيقها الضعفاء كالخفاش يبصر بالليل دون النهار لخفاء النهار واستتارته بل لشدة ظهوره فان بصر الخفاش ضعيف يبهره نور الشمس اذا أشرقت فيكون شدة ظهور النهار مع ضعف *(٢٨)* بصره سببا لامتناع ابصاره فلا يرى شيأ الا اذا امتزج الظلام بالضوء ضعف ظهوره فكذلك العقول ضعيفة وجمال الحضرة الالهية في غاية الاشراق والاستنارة فصارت شدة ظهوره سببا لخفائه (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الواحد الذي ليس معه شئ) اذ كل شئ سواه عدم لا وجود له على التحقيق فليس ثم شئ يحجبه اذ الوجود ذاتي فبقي كله له ولا شئ منه لغيره (كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أقرب اليك من كل شئ) لثبوت احاطته بك وقيوميته عليك قال تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد فهو قريب لنا بذاته عند أهل الشهود وأما أهل الحجاب فيقولون هو قريب بعلمه وقدرته وارادته الى غير ذلك (كيف يتصور أن يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود كل شئ) حتى استدل به المشاهدون على الاشياء قال تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ولو أسقط لفظ كل لكان أظهر في افادة العموم والقصد بهذا الكلام المبالغة في نفي الحجاب فلا يذكر كونه هذا الوجه يعني الوجه الاول وبعضهم أثبت التغاير بينهما على ما فيه كيف يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم) لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان (أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لان الحادث باطل والله تعالى حق

ولكن لا نفقه ذلك *(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الظاهر قبل وجود كل شئ) لتحقق هذا الاسم له أزلا وأبدا *(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ) لان الوجود أظهر من العدم على كل حال *(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو الواحد الذي ليس معه شئ) اذ كل ما سواه عدم لا وجود له على التحقيق *(كيف يتصور أن يحجبه شئ وهو أقرب اليك من كل شئ) لثبوت احاطته بك ووجود قيوميته عليك *(كيف يتصور أن يحجبه شئ ولولاه ما كان وجود كل شئ) حتى استدل به الشاهدون على الاشياء كما قال الله تعالى أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد *(يا عجبا كيف يظهر الوجود في العدم) لان العدم ظلمة والوجود نور وهما ضدان لا يجتمعان *(أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم) لان الباطل لا يثبت مع ظهور الحق كما قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقال عز من قائل بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (قلت) وهذا الفصل من قوله الكون كله ظلمة الى هنا أبدع فيه المؤلف غاية الابداع وأتى فيه بما تقر به الاعين وتلذ به الاسماع فانه رضي الله عنه ذكر جميع متعلقات الظهور وأبطل بحجابه كل ظلام ونور وأراك فيه الحق رؤية عيان وبرهان ورفعك من مقام الايمان الى أعلى مراتب الاحسان كل ذلك في أوجز لفظ وأفصح عبارة وأتم تصريح وألطف اشارة فلو لم يكن في هذا الكتاب الا هذا الفصل لكان كافيا شافيا فجزاه الله عنا خيرا ثم قال رضي

والباطل لا يثبت ظهوره مع الحق قال تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالظاهر والثابت هو الحق تعالى لا الكون وما بدا الاوجه الحق فهو المظهر والظاهر والموجود دون كل المظاهر والتعجب المذكور ناشئ من غلبة الشهود فانه اذا قوى على العبد اضمحلت الاكوان فى نظره وفنى عنها بالمرة (ما ترك من الجهل شيأ من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه) فاذا كان المريد فى حال عبدى أو قلبى لا يذمه الشرع لزمه *(٢٩)* حسن الادب فى اختيار بقائه عليه ورضاه به حتى يقيمه الله عنه فاذا كان متجردا وتعلق قلبه بالتكسب أو كان فى صنعة وأراد الانتقال عنها لغيرها كان قليل الادب مع مولاه جاهلا بما يناسب حضرته وكذا ان كان فى حال قبض وأراد الانتقال عنه الى البسط قال بعضهم لى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته وهذا من نتائج العلم بالله ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد ان يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه واساءة الادب فى حضرته وهذا من معارضة حكم الرق الذى تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة

(ما ترك من الجهل شيأ من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه) رضى الله عنه اذا أقام الله تعالى العبد فى حال من الاحوال التى لا يذمها الشرع فليلتزم حسن الأدب فى اختيار بقائه عليها ورضاه بها وليراقب الله تعالى فى مراعاة آدابها وليوافق مراد الله تعالى فى ذلك حتى يكون هو الذى ينقله عنها قال أبو عثمان رضى الله تعالى عنه منذ أربعين سنة ما أقامنى الله فى حال فكرهته ولا نقلنى الى غيره فسخطته وقد تقدمت حكاية المؤلف رحمه الله تعالى مع شيخه أبى العباس المرسى حين عزم على التجرد وترك ما كان عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر وما أجابه به الشيخ رضى الله تعالى عنه وهذا من نتائج العلم بالله تعالى ومعرفة ربوبيته فان سخط تلك الحال وتشوف الى الانتقال عنها بنفسه وأراد أن يحدث غير ما أظهره الله تعالى فقد بلغ غاية الجهل بربه وأساء الأدب فى حضرة مولاه عز وجل وهذا من معارضة حكم الرق الذى تشير اليه الصوفية وهو عندهم من أعظم ذنوب الخاصة فالواجب على العبد الاستسلام لحكم الله تعالى فى ذلك الوقت فهو أدب العبودية ومقتضى العلم بالله تعالى وهذا هو أحد معانى لفظ الوقت فى اصطلاحهم قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه وقد يريدون بالوقت ما يصادمهم من تصريف الحق لهم دون ما يختارون لانفسهم يقولون فلان بحكم الوقت أى انه مستسلم لما يبدو من الغيب من غير اختيار وهذا فيما ليس لله عز وجل عليهم فيه أمر أو اقتضاء بحق شرع اذ التضييع لما أمرت به واحالة الامر فيه على التقدير وترك المبالاة لما يحصل منك من التقصير خروج عن الدين ومن كلامهم الوقت سيف أى كما أن السيف قاطع فالوقت بما يقضيه الحق ويجريه غالب وقيل السيف لين مسه قاطع حده فمن لاينه سلم ومن خاشنه اصطلم كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ومن عارضه بترك الرضا انتكس وتردى

وأنشدوا وكالسيف ان لاينته لان مسه * وحداه ان خاشنته خشنان

ومن ساعده الوقت فالوقت له وقت ومن ناكده الوقت فالوقت عليه مقت هذا كلام الامام أبى القاسم رضى الله عنه وهو موافق لما ذكره صاحب الكتاب والله الموفق

To: www.al-mostafa.com

(احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) فاذا كان المريد مشتغلا بحال من احوال دنياه وكان ذلك يمنعه من الاعمال التى يتوصل بها الى حضرة مولاه واحال ذلك على فراغه من تلك الاشغال فقال اذا تفرغت عملت كان ذلك دليلا على رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وذلك لتسويفه العمل الى فراغ أوانه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك ويزداد شغله لان اشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض ولو فرض انه تفرغ منها فقد يتبدل عزمه وتضعف نيته فالواجب عليه النهوض الى ما يوصله الى مولاه قبل الفوات ولذا قيل الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك (لا تطلب منه أن يخرجك من حالة) دنيوية كصناعة أو دينية كطلب *(٣٠)* علم (ليستعملك فيما سواها) لتوهمك ان حالتك فيه عائق عن نهوضك لخدمته (فلو أرادك) أى أحبك وكنت من أهل الارادة (لاستعملك) أى المحبوبة عنده من غير نقلك لاعمال المرادة ونيلك قابلة به (من غير اخراج) أى مع بقائك على حالتك التى أنت عليها فاذا كان المريد على حالة لا توافق غرضه وكانت مباحة فى الشرع لا ينبغى له أن يروم الخروج منها بنفسه ويعارض حكم الوقت كما مر فى قوله ما ترك من الجهل شيأ الخ وكذا لا ينبغى له ان يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها ويستعمله فيما سواها لان هذا من التخيير على الله ولا خيرة له فى ذلك بل لا ينبغى أن يطلب حسن الادب معه وايثار مراده على اختياره فاذا علم منه ذلك استعمله فى الاعمال المحبوبة عنده مع بقائه على ما هو عليه فيكون اذ ذاك بمراد الله له لا بمراده لنفسه وهو خير له مما اختاره ولو قال لحصل لك المطلوب من غير اخراج لكان أولى اما لو كان على حالة لا توافق غرضه فيجب عليه المسارعة الى الانتقال والطلب من مولاه أن ينقله الى ما يرضيه

(احالتك الاعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس) اذا كان العبد متلبسا بحال من أحوال دنياه وكان له فيها شغل يمنعه من العمل بالاعمال الصالحة واحال ذلك العمل على فراغه من تلك الاشغال وقال اذا تفرغت عملت فذلك من رعونة نفسه والرعونة ضرب من الحماقة وحماقته من وجوه الاول ايثار الدنيا على الآخرة وليس هذا من شأن عقلاء المؤمنين وهو خلاف ما طلب منه قال الله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى والثانى تسويفه العمل الى أوان فراغه وقد لا يجد مهلة بل يختطفه الموت قبل ذلك أو يزداد شغله لان أشغال الدنيا يتداعى بعضها الى بعض كما قيل فما قضى أحد منها لبانته ﴿ ولا انتهى أرب الا الى أرب والثالث ان يفرغ تمام الذى يرضيه من تبدل عزمه وضعف نيته ثم فيه من دعوى الاستقلال ورؤية الحول والقوة فى جميع الاحوال ما يستحق ترك جميع هذا بل الواجب عليه أن يبادر الى الاعمال على أى حال كان وان ينتهز فرصة الامكان قبل فوات الوقت وحلول الفوت وان يتوكل على الله تعالى فى تيسيرها عليه وصرف الموانع الحائلة بينها وبينه وما أحسن قول ابن الفارض فى هذا المعنى

وعد من قريب فاستجب واجتنب غدا ﴿ وشمر عن الساق اجتهادا بنهضة
وكن صارما كالوقت فالمقت فى عسى ﴿ واياك مهلا فهى أخطر علة
وسر زمنا وانهض كسيرا فحظك الـ ﴿ ـبطالة ما أخرت عزما لصحة
وجذ بسيف العزم سوف فان تجد ﴿ تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

(لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها فلو أرادك لاستعملك من غير اخراج) كما انه اذا كان المرء على حالة لا توافق غرضه كانت متعلقة بالدين

(ما أرادت همة سالك) أي سائر الى الله تعالى (أن تقف عندما كشف لها) في أثناء السلوك من المعارف والاسرار والانوار وأن ترى أن * (٣١) * ما وصل اليه من المعرفة وذوق الاحوال ومنازلة المقامات هو الغاية القصوى والنهاية فتقف همته عنده ويقنع به ويجعله مرمى بصره ويرى أن ما فوقه أعظم منه لكنه يقنع بذلك ويرى أن فيه الكفاية فلا يرقى بهمته أو يرى قصور همته عن الرقي لما فوقه (الا ونادته هواتف الحقيقة) أي الهواتف التي تهتف على قلبه من جهة الحقيقة الالهية ويحتمل أن المعنى الا ناداه لسان حال الحقيقة التي كشفت له من وجد في السير لا تقف فان (الذي تطلبه) وهو وصولك الى المولى وعدم ركون قلبك الى شئ سواه (أمامك) ولا تقف عندما كشف لك (ولا تبرجت) أي أظهرت لك محاسنها (ظواهر المكونات) كتسخير الخلق لك واقبالهم عليك والتوسعة في الدنيا وظهور خوارق العادات كتسخير الحيوانات والمشي على الماء والتربع في الهواء والاطلاع على أسرار الخلائق وخواص الموجودات وتكثير القليل من الطعام وطي الارض ونحو ذلك مما تميل النفس له (الا ونادتك حقائقها) أي بواطنها نداء معنويا وان لم تشعر به (انما نحن فتنة) أي ابتلاء واختبار (فلا تكفر) أي فلا تقف مع زينتنا ولا تقف عندنا ولا تجعل نفسك رقا لنا فتحتجب بنا عن الله لان ذلك كفر

أو بالدنيا فلا ينبغي له أن يريد الخروج منها بنفسه ويعارض حكم وقته فيحدث فيه غير ما أظهره الله فيه كمن تقدمت في وله متركا من الحال فيما أن أراد شيئا لا في الوقت غير ما أظهره الله به مع التسرع والقلق وعدم الهدو وأن لا يكون في ذلك مخالفة أمر وان كان بخبر فيه فيه أيضا أن لا يعارض حكم الوقت ويطلب من مولاه أن يخرجه منها أو يستعمله فيما سواها لان هذا من التخيير على الله تعالى ولا خيرة له في ذلك بل ينبغي له حسن الادب معه وايثار مراده به على اختياره هو وحينئذ يتحقق بحال يتصرف فيها بمحبة الله تعالى وارادته له فيستعمله استعمالا محبوبا عنده مع بقائه على حالته التي هو عليها فيكون اذ ذاك بمراد الله تعالى له لا بمراده لنفسه وهو خير مما اختاره قال في التنوير يحكى عن بعضهم انه كان يقول وددت لو أنني تركت كل الاسباب وأعطيت كل يوم رغيفين يريد بذلك أن يستريح من تعب الاسباب قال فسجنت ثم كنت في السجن يؤتى الي كل يوم برغيفين فطال ذلك علي حتى ضجرت فتفكرت يوما في أمري فقيل لي انك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية فأعطيناك ما طلبت فاستغفرت من ذلك ورجعت الى الله تعالى فاذا باب السجن يقرع فتخلصت وخرجت قال فيه فتأدب بهذا أيها المؤمن ولا تطلب أن يخرجك من أمر ويدخلك فيما سواه اذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم فان ذلك من سوء الادب مع الله تعالى فاصبر ولا تطلب الخروج بنفسك فتعطى ما طلبت وتمنع الراحة فيه فرب تارك شيأ وداخل في غيره ابتغاء الثروة والراحة فيتعب ويبتلى بوجود التعسير عقوبة لوجود الاختيار اه كلامه في التنوير وهو كالتفسير لما ذكره هنا فلذلك أوردته

(ما أرادت همة سالك أن تقف عندما كشف لها الا ونادته هواتف الحقيقة الذي تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا ونادتك حقائقها انما نحن فتنة فلا تكفر) السائر الى الله تعالى يتجلى له في أثناء سلوكه أنوار وتبدو له أسرار فان أرادت همته أن تقف عندما كشف لها من ذلك لاعتقاده أنه وصل الى الغاية القصوى والنهاية من المعرفة نادته هواتف الحقيقة المطلوب الذي تطلب أمامك فجد في السير ولا تقف فان تبرجت له ظواهر المكونات بزينتها فمال الى حسنها وجمالها نادته حقائقها الباطنة انما نحن فتنة فلا تكفر وغمض عينيك عن ذلك ولا تلتفت اليه ودم على سلوكك وسيرك واعلم أنه ما دامت لك همة وارادة

فأنت بعيد في الطريق لم تصل فلو فنيت عنها الوصلت وما أحسن قول الشيخ أبي الحسن التستري في هذا المعنى

ولا تلتفت في السير غيرا فكل ما * سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه انه * حجاب فجد السير واستنجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلى * عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

وقد رأيت لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه كلاما حسنا مناسبا لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى ههنا من الترقي في الاحوال بظهور النقص في رؤية الكمال فرأيت أن أذكره ههنا بنصه لما فيه من سني الفوائد وشريف المقاصد قال رضي الله عنه اعلم أنك اذا أردت أن يكون لك نصيب مما لاولياء الله تعالى فعليك برفض الناس جملة الا من يدلك على الله تعالى باشارة صادقة وأعمال ثابتة لا ينقضها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية ولا تكن ممن يعرض عنها ليعطى شيأ على ذلك بل كن في ذلك عبد الله أمرك أن ترفض عدوه فان أوتيت بهاتين الخصلتين الاعراض عن الناس والزهد في الدنيا فأقم مع الله بالمراقبة والتزام التوبة بالرعاية والاستغفار والانابة والخضوع للاحكام بالاستقامة وتفسير هذه الوجوه الاربعة أن تقوم عبد الله فيما تأتي وما تذر وتراقب قلبك أن لا يرى قلبك في المملكة شيأ لغيره فان أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العزة انك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام مع الله تعالى بالمراقبة وأنت تسمع قوله وكان الله على كل شئ رقيبا فهنالك يدركك من الحياء ما يحملك على التوبة مما ظننت أنه قربة فالتزم التوبة بالرعاية لقلبك أن لا يشهد ذلك منك بحال فتعود الى ما خرجت عنه فان صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضا من قبل الحق تعالى التوبة منه بدت والانابة منه تبعتها واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك فهنالك تظهر أوصافك فتستعيذ بالله منها وتأخذ في الاستغفار والانابة والاستغفار وطلب الستر من أوصافك بالرجوع الى أوصافه فان كنت بهذه الصفة أعني الاستغفار والانابة نادتك عن قريب اخضع لاحكامي ودع عنك منازعتي واستقم مع ارادتي برفض ارادتك وانما هي ربوبية تولت عبودية وكن عبدا مملوكا لا تقدر على شئ فمتى رأيت منك قدرة وكلتك اليها وأنا بكل شئ عليم فان صح لك هذا الباب ولزمته أشرفت من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من أحد من العالمين (طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه) وطلبك لغيره لقلة حيائك منه

(طلبك منه اتهام له) يعني ان المريد ينبغي له أن يشتغل في حال سلوكه عما يقربه من مولاه من الاعمال الصالحة ولا يشغل قلبه بالطلب لشئ من الاشياء لان ذلك مذموم قاطع عن الله فان طلبك منه ان يرزقك بالقوت الذي يعينك على سيرك وأن يوسع عليك الرزق تهمة منك له بانه لا يرزقك اذ لو وثقت به في ايصال منافعه اليك من غير سؤال وتيقنت انه عالم بحاجتك قادر على ايصالها لك لما طلبت منه شيأ (وطلبك له) بأن تطلب قربك منه وزوال الحجاب عنك حتى تشاهده بعين قلبك (غيبة منك عنه) وطلبك إذ الحاضر لا يطالب (وطلبك لغيره) من الاعراض الدنيوية وزخارفها ومناصبها

ومن المكاشفات والكرامات والاحوال والمقامات (لقلة حيائك منه) اذ لو حصل لك حياء منه لما التفت الى غيره وطلبت شيأ سواه (وطلبك من غيره) بأن توجهت الى بعض الناس لتطلب منه شيأ من اعراض الدنيا فافلا في حال الطلب عن مولاك (لوجود بعدك عنه) اذ لو كنت قريبا منه لكان غيره بعيدا عنك ولو كنت مشاهدا لقربه منك لاكتفيت به عن سائر خلقه لكن وجود البعد قضى عليك بالشعور بالغير حتى توجهت اليه وطلبت منه فالطلب كله من المريدين معلول سواء كان متعلقا بالحق أو الخلق الا ما كان على وجه التعبد والتأدب واتباع الامر واظهار الفاقة أما العارفون فلا يرون غير الله تعالى فطلبهم ليس من المخلوق في الحقيقة وان كان منه بحسب الظاهر (ما من نفس) بفتح الفاء وهو جزء من الهواء يخرج من باطن البدن في جزء من الزمن والمعنى ان كل نفس من أنفاسك تبديه أي تظهره بقدرة الله تعالى لا تبديه *(٣٣)* (الاوله) تعالى (فيك قدر) أى أمر قدر عليك من طاعة أو معصية أو نعمة أو بلية (يمضيه) أى يجريه بقدرته فى ذلك النفس فكل نفس يبدو منك ظرف لقدر من أقدار الحق ينفذ فيك كائنا ما كان فينبغي لك الادب معه ومراقبته فى كل نفس من أنفاسك فتكون فى كل نفس سالكا طريقا الى الحق سبحانه وتعالى وهو معنى قولهم الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق (لا تترقب) أيها المريد (فروغ الاغيار) الواردة على قلبك وهى ظلمات تحدث فيه تحول بينه وبين شهود المولى والحضور معه (فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) من الاعمال التى تتوصل بها اليه فالمطلوب منك المواظبة على ما أنت فيه ومراقبة المولى فى ذلك ولا تشتغل بما يورده على قلبك من ظلمة أو نور ولو قال فان ذلك يقطعك عما هو مقيمك فيه لكان أولى ووجه كونه قاطعا ان نفسك تسول لك وتقول لو كنت من أهل الارادة لما وردت هذه الاغيار عليك مع كثرة عبادتك فيشتغل قلبك بهذه الوساوس وربما سولت لك الرجوع عما أنت قاصده وترك الاعمال الصالحة وسبب هذه الاغيار غالبا ما يرد عليك من أكدار الدنيا وذلك أمر لا بد منه ولذا قال

(وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه) الطلب الذى يتصور من العبد على أربعة أوجه وكلها مدخولة معلولة طلبه من الله وطلبه له وطلبه لغيره وطلبه من غيره فطلبه من الله تهمة له اذ لو وثق به فى ايصال منافعه اليه من غير سؤال لما طلب منه شيأ وطلبه له غيبة عنه اذ الحاضر لا يطلب وطلبه لغيره قلة حياء منه اذ لو استحيا منه لانقبض عما يكره له من طلبه لغيره ومن حق الحياء منه أن لا يذكر معه غيره ولا يؤثر عليه سواه وطلبه من غيره لوجود بعده عنه اذ لو كان قريبا منه لكان غيره بعيدا عنه فلا يطلب منه فالطلب كله عند الموحدين العارفين معلول سواء كان الطلب متعلقا بالحق أو بالخلق الا ما كان من الطلب على وجه التأدب والتعبد واتباع الامر واظهار الفاقة والفقر فحينئذ تزول العلة عنه

*(ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه) الانفاس أزمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا فكل نفس يبدو منه ظرف لقدر من أقدار الحق تعالى ينفذ فيه كائنا ما كان فاذا كانت جزئيات العبد ودقائقه قد استغرقتها أحكام الله تعالى وأقداره وكان جميع ذلك يقتضى منه حقوقا لازمة من حقوق الله تعالى يقوم بها وهو مطالب بذلك ومسؤول عنه وعن أنفاسه التى هى أمانة للحق عنده لم يبق له اذذاك مجال لتدبير أمور دنياه ولا محل لمتابعة شهوته وهواه *(لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه) اذا

أقام الله تعالى عبدا في سبب من الاسباب فالواجب عليه أن يوفيه حقه ويتحرز فيه الادب ولا يترقب وقتا ثانيا يكون فيه فارغا منه فان تأمله للوقت الثاني يمنعه من القيام بحق الوقت الاول فيما أقيم فيه وتوفيته بما يجب له وهو خلاف الامر المطلوب منه فليجتنب ذلك المريد قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه الفقير الصادق هو الذي يكون في كل وقت بحكمه فاذا ورد عليه وارد يشغله عن حكم وقته يستوحش منه ويتقيه وقال سهل بن عبد الله رضي الله تعالى عنه اذا جنك الليل فلا تؤمل النهار حتى تسلم ليلتك تلك وتؤدي حق الله فيها وتنصح فيها لنفسك واذا أصبحت فكذلك وسئل سهل رضي الله تعالى عنه متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير وقتا غير الوقت الذي هو فيه قال البغوي في تفسيره عند قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير الشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون لننظر شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون

* (لا تستغرب وقوع الاكدار مادمت في هذه الدار فانها ما أبرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) جعل الله تعالى الدنيا دار فتنة وابتلاء ليعمل كل أحد فيها على مقتضى ما سبق له ويوفى جزاءه في الدار الآخرة قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وعمل كل واحد فيها انما هو مخالفة شهوات نفسه أو موافقتها وذلك لا محالة يستدعي وجود محبوب أو مكروه بفعل أو ترك فمن ضروريات الدنيا وجدان المكاره والمشاق فيها فتقع الاكدار بسبب ذلك أيضا فان أصل الدنيا أمور وهمية انقادت طباع الناس اليها وهي لا تفي بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تقضيها وتقلتها فتجاذبوها بينهم فتكدر عيشهم ولم يحصلوا على كفاية اغراضهم كما قيل في المعنى

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها * على انهم فيها عراة وجوع
أراها وان كانت تحب كأنها * سحابة صيف عن قريب تقشع

فلا تستغرب وقوع أمثال هذا فانه ما ظهر منها الا ما هو مستحق وصفها واجب نعتها من وجدان المكاره التي هي ذاتية لها قال بعض الحكماء لولا أن الدنيا مبنية على المكاره لجعلت منفعة الاهليلج في اللوز ينج وسيأتي التنبيه على الحكمة في هذا عند قوله انما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوجود الاكدار تزهيدا لك فيها وفي بعض الحكايات المنقولة عن جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه انه قال من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيل له وماذاك قال الراحة في الدنيا وفي معناه أنشدوا

تطلب الراحة في دار العنا * خاب من يطلب شيأ لا يكون

وقال بعض البلغاء ملتمس السلامة في دار المتالف والمعاطب كالمتمرغ على مزاحف الحيات ومدارب العقارب وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه الدنيا كلها غموم

في هذه الدار فانها ما أبرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها) أي وصفها المستحق ونعتها الواجب أي الازم من ضروريتها وجود المكاره والمشاق فيها وسيأتي التنبيه على حكمة ذلك بقوله وانما جعلها محلا للاغيار ومعدنا لوقوع الاكدار تزهيدا لك فيها ومن كلام جعفر الصادق رضي الله عنه من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق قيل له وماذاك قال الراحة في الدنيا فينبغي للمريد الصادق أن لا يلتفت لذلك ويجد في السير حتى تطلع عليه شمس المعرفة فينمحي عنه وجود الاغيار وتزول عنه الاكدار بمشاهدة العزيز الغفار ثم قال

فما كان منها فى سرور فهو ربح وقال الامام الجنيد رضى الله تعالى عنه لست أستبشع ما يرد على من العالم لانى قد أصلت أصلا وهو ان الدنيا دارهم وغم وبلاء وفتنة وان العالم كله شر ومن حكمه أن يتلقانى بكل ما أكره فان تلقانى بكل ما أحب فهو فضل والا فالاصل هو الاول وقال أبو تراب رضى الله تعالى عنه يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة أشياء وليس هى لكم تحبون النفس وهى هواها وتحبون الروح والروح لله وتحبون المال والمال للورثة وتطلبون اثنين ولا تجدونهما الراحة والفرح وهما فى الجنة فالواجب على العبد أن لا يوطن على الراحة فى الدنيا نفسا ولا يركن فيها الى ما يقتضى فرحا وأنسا وأن يعمل على قول النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه الدنيا سجن المؤمن فتوطين العبد على المحن فى دنياه يهون عليه ما يلقاه ويجد السلوان عند فقدان ما يهواه كما قيل فى المعنى

يمثل ذو اللب فى لبه * شدائده قبل أن تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه * لما كان فى نفسه مثلا
رأى الامر يفضى الى آخر * فصير آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه * وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان * بعض مصائبه أعولا
ولو قدم الحزم فى نفسه * لعلله الصبر عند البلا

فليتلق المريد ما يرد عليه من ذلك بالصبر والرضا والاستسلام عند جريان القضاء فعن قريب ان شاء الله يتجلى الامر ويستوجب من الله تعالى جزيل الاجر والله تعالى ولى التوفيق قال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله تعالى عنه قال لى أبو سليمان الدارانى جوع قليل وعرى قليل وذل قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا واعلم أن ما ذكرناه من الصبر هو جماع كل فضيلة وملاك كل فائدة جزيلة ومكرمة نبيلة قال الله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا وقال الله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال عز من قائل انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وفى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما ان استطعت أن تعمل لله بالرضا فى اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكرهه خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرجل ان صبرت مضى أمر الله وكنت مأجورا وان جزعت مضى أمر الله وكنت مأزورا وقال على رضى الله عنه الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو وقال ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العدة الصبر عند الشدة وفى بعض الاخبار انتظار الفرج بالصبر عبادة وقد قال الشاعر

(ما توقف) أى تعسر (مطلب) من مطالب الدنيا والآخرة (أنت طالبه بربك) أى ملاحظا فى حال طلبه ربك حاضر القلب معه معتمدا عليه فى تيسير ذلك المطلب (ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) بأن كنت غافلا عنه معتمدا على حولك وقوتك *(٣٦)* فمن أنزل حوائجه بالله والتجأ إليه

وتوكل فى أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر له كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على حوله وقوته وكله الله تعالى الى نفسه وخذله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه ولما كان من أشرف المطالب وأقربها القواطع والمعاطب أخذ المريد فى سلوك الطريق خصه من العموم لزيادة الاعتناء به فقال (من علامات النجح فى النهايات الرجوع الى الله فى البدايات) بداية المريد

حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله والتوكل عليه تعالى والاستعانة به أن يوصله اليه لا على أعماله المعلومة نجح فى نهايته أى حصل له الوصول وأمن عليه من الرجوع عن الطريق ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العارفين من ظن أنه يصل الى الله بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله بنفسه وكل الى نفسه ثم قال

ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا

لا تيأسن وان طالت مطالبه * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

فمن جعل الصبر عمدته فى نوازله واتخذه من أعظم عدده ووسائله فهو مصيب فى رأيه منجح فى سعيه ومن جزع من المصائب واضطرب عند وقوع النوائب كان عاملا فيما يزيده ضرا ويكسبه وزرا ويفوته أجرا وناهيك به خسرا كما قيل

واذا أصابتك مصيبة فاصبر لها * عظمت مصيبة مبتلى لا يصبر

وكما قيل أيضا

صبرت صبر عوضت أجرا من نقيد فلا تكن * فقد لك لا يأتى وأجرك ذاهب

(ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) من أنزل حوائجه بالله تعالى والتجأ اليه وتوكل فى أمره كله عليه كفاه كل مؤنة وقرب عليه كل بعيد ويسر عليه كل عسير ومن سكن الى علمه وعقله واعتمد على قوته وحوله وكله الله الى نفسه وخذله وحرمه توفيقه وأهمله فلم تنجح مطالبه ولم تتيسر مآربه وهذا معلوم على القطع من نصوص الشريعة وأنواع التجارب قلت وكلام المؤلف رحمه الله تعالى فى هذه المسئلة عام يتناول كل مطلب من المطالب الدينية والدنيوية التى مآل أمرها الى الدين وأشرف تلك المطالب وأكثرها قواطع ومعاطب أخذ المريد فى سلوك سبيل التوحيد ففيه التعلق بالله تعالى أحق وأصوب وفى جميع جزئياته الرجوع الى الله تعالى أولى وأوجب فلا جرم كان من الرأى السديد والأمر الأكيد أن يخصه من ذلك العام وأن يفرده عقيب هذه المسئلة بمزيد من الكلام فلذلك قال (من علامات النجح فى النهايات الرجوع الى الله تعالى فى البدايات) للمريد بداية ونهاية فبدايته حال سلوكه ونهايته حال وصوله فمن صحح بدايته بالرجوع الى الله تعالى والتوكل عليه والاستعانة به كما ذكرنا أفلح وأنجح فى نهايته وكان وصوله الى الله تعالى فأمن عليه من الرجوع والانقطاع قال بعض المشايخ ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا ومن لم يصحح ذلك بما ذكرناه من تعلقه بالحق وفراره اليه من نفسه والخلق انقطع ورجع من حيث جاء قال بعض العلماء من ظن أنه يصل الى الله تعالى بغير الله قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل الى نفسه فعلى العبد السالك أن يجعل معتمده فى أمره الاستعانة بالله

تعالى على ما هو بسبيله ولا يرى حول نفسه ولا قوتها فى كثير من عمله ولا قليله فهذا هو أساس السلوك الذى يبنى عليه قواعده (من أشرقت بدايته أشرقت نهايته) هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما تقدم فاشراق بداية المريد برجوعه الى الله تعالى فى مهماته وثقته به فى ملماته واشراق نهايته الوصول الى قربته والحصول فى حضرته (ما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر) هذا بيان علامة يعرف بها حال المريد السالك وما تعمر به باطنه من المزيد المتدارك لان الظاهر مرآة الباطن كما قيل الاسرة تدل على السريرة وما خامر القلوب فعلى الوجوه يلوح أثره فما استودعه الله القلوب والاسرار من المعارف والانوار لابد وان تظهر آثار ذلك على الجوارح فيستدل بشاهد العبد على غائبه من أراد صحبته والوصلة به وما أشبه هذا من الاغراض والمقاصد قال أبو حفص رضى الله تعالى عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن فان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقيل لما ورد أبو حفص العراق جاء اليه الجنيد فرأى أصحاب أبى حفص وقوفا على رأسه يأتمرون أمره لا يخطئ أحد منهم فقال يا أبا حفص أدبت أصحابك أدب الملوك فقال لا يا أبا القاسم ولكن حسن الادب فى الظاهر عنوان أدب الباطن قلت وآكد من ذلك أن يعرف المريد نفسه ويكون من أمرها على بصيرة ولا ينخدع بما يتوهمه من صلاح سريرته دون علانيته فمن ادعى بقلبه معرفة الله تعالى ومحبته ولم تظهر على ظاهره ثمرات ذلك وآثاره من اللهج بذكره والمسارعة الى اتباع أمره والاغتباط بوجوده والاستبشار عند تقرير شهوده والفرار من المواطن الشاغلة عنه والاضراب عن الوسائط المبعدة منه فهو كذاب فى دعواه متخذ الهه هواه فان كان موصوفا باضداد هذه الخصال منحرفا بظاهره عن جادة الاعتدال فهو فى دعواه أكذب وحاله للنفاق والشرك أقرب قال الشيخ أبو طالب المكى رضى الله عنه قد جعل الله تعالى وصف الكافرين أنهم اذا ذكر الله وحده فى شئ انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره فى شئ فرحوا وجعل من نعوتهم أنهم اذا ذكر الله تعالى بتوحيده وافراده بشئ غطوا ذلك وكرهوه واذا أشرك غيره فى ذلك صدقوا به فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال أيضا ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا والكفر التغطية والشرك الخلط أى انه يخلط بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلى الكبير يعنى لا يشركه خلق فى حكمه لانه العلى فى عظمته الكبير فى سلطانه لا شريك له فى ملكه وعطائه ولا نظير له من عباده فى

(من أشرقت بدايته) بان عمر أوقاته بانواع الطاعات والاوراد فانر فى ذلك كل المثابرة (أشرقت نهايته) بافاضة الانوار والمعارف عليه وزوال كدورات النفس الحائلة بينه وبين مولاه على وجه أتم وعكسه بعكسه فمن كان قليل الاجتهاد فى بدايته لم يحصل له اشراق فى نهايته ولو فرض انه فتح عليه كان على وجه أضعف من غيره ويحتمل ان المعنى من أشرقت بدايته بالرجوع الى الله تعالى والالتجاء اليه أشرقت نهايته بحصول الوصول اليه فتكون هذه عبارة أخرى موافقة لمعنى ما قبلها وما قلناه أولا أولى وأظهر (ما استودع فى غيب السرائر) أى فى القلوب الغائبة أى غير المشاهدة بالابصار من المعارف وأنوار الالهية (ظهر فى شهادة الظواهر) أى فى الظواهر الشاهدة أى الحاضرة فما استودعه الله تعالى فى القلوب والسرائر من المعارف والانوار لابد ان يظهر أثره على الوجه والجوارح وهذه علامة يعرف بها حال المريد السالك لان الظاهر مرآة الباطن فيستدل بذلك من

أراد صحبته والاجتماع به لينتفع به (شتان) أى بعد ما (بين من يستدل به) على الاشياء وهم المرادون المجذوبون اليه الذين هم من أهل الشهود اما ابتداء واما بعد السلوك وهم العارفون فانهم لا يشهدون غير مولاهم ويستدلون به على الاشياء (أو) بمعنى الواو (يستدل عليه) وهم المريدون السالكون الى الله تعالى فأهل الله تعالى على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وهم أهل الشهود وسالكين فالمريدون السالكون فى حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار والآثار والاكوان وظاهرة لهم موجودة لديهم والحق غيب عنهم فلم يروه فهم يستدلون بها عليه فى حال وترقيهم المرادون وهم المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم وتعرف اليهم فعرفوه واحتجبت عنهم الاغيار فهم يستدلون به عليها فى حال تدليهم ان جذبوا ابتداء وبعد سلوكهم ان كانوا من أهله وهم العارفون فانهم من أهل الجذب ايضا لكن شدة علائهم ومبدأ فى أحوالهم لا يظهر عليهم ولذا قيل نهاية السالك بداية المجذوب وورد أعظم الناس جذبا الانبياء والمرسلون فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أى بعد ما بينهما وذلك ان (المستدل به) على غيره (عرف الحق) وهو الوجود الواجب (لاهله) وهو الله تعالى أى لم يثبت الوجود الا له سبحانه وتعالى وأما الحوادث فهم عدم محض (فأثبت الامر) وهو الحوادث العدمية (من وجود أصله) وهو الله تعالى أى جعل وجودهم مستفادا من وجود الله تعالى الذى قابلهم وظهر فيهم فوجدوا والا فهم عدم محض فى نظر أرباب الشهود (والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه) فاستدل بغيره عليه على العكس مما ذكر لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالعدم على الوجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب (والا) فقل انه من عدم الوصول (فمتى غاب) أى فلا يدوم لانه متى غاب (حتى يستدل عليه) بالاشياء الحاضرة (ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه) أى يستدل بها عليه لانها لا وجود لها معه عند أهل الشهود حتى توصل اليه أما المحجوبون فهم

دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب أن المؤمنين اذا ذكر الله بالتوحيد والافراد فى شئ انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشر وابذكره وتوحيده واذا ذكرت الوسائط والاسباب التى دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفها من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد فى القلب أو وجود خفى الشرك فى السر ان كنت عارفا اه قلت وهذه المسئلة التى تضمنها كلام الشيخ أبى طالب المكى رضى الله عنه من أعظم المسائل على صدق الصادق وكذب الكاذب ومن أوضح الدلائل ولما كان قصدنا فى هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد العجيبة والحرص على رسم المقاصد الغريبة لغربة الدين فى هذا الزمان الرذل واستيلاء الغرة والجهل على المنسوبين الى العلم والفضل حسن منا ايراد هذه الكلمات على جهة ضرب المثل والاكتفاء بالنهل عن العلل ليعمل بمقتضى ذلك مريد سالك وليتبين من مناصحة ربه فى دينه وقلبه أوضح المسالك واحمل على هذا الاسلوب كل كلام لم تظهر لك مطابقته ولم يتم فى نظرك مناسبته لتسلم بذلك من الاعتراض * وتعلو همتك عما تولع به أصحاب القلوب المراض عافانا الله من ذلك بمنه وفضله (شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه المستدل به عرف الحق لاهله فاثبت الامر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه) بنو آدم فى أول نشأتهم

وبعد اخلاقهم وخروجهم من بطون أمهاتهم موسومون بالجهل وعدم العلم قال الله تعالى والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ ثم ان الله تعالى اختص بعضهم بخصوصية عنايته واختارهم من أهل لولايته وماذاك الا لحصول العلم الذى تضمنه قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الذى يحقق لهم النسبة ويوجب لهم الزلفى والقربة المشار الى ذلك بقوله تعالى لعلكم تشكرون وجعلهم على قسمين مرادين ومريدين وان شئت قلت مجذوبين وسالكين وكلاهما مرادو مجذوب على التحقيق قال الله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب فالمريدون السالكون الى الله تعالى فى حال سلوكهم محجوبون عن ربهم برؤية الاغيار والآثار والاكوان ظاهرة لهم موجودة لديهم والحق تعالى غيب عنهم فلم يروه فهم يستدلون بها عليه فى حال ترقيهم والمرادون المجذوبون واجههم الحق تعالى بوجهه الكريم الاكرم وتعرف اليهم فعرفوه به فلما عرفوه على هذا الوجه انحجبت الاغيار عنهم فلم يروها فهم يستدلون به عليها فى حال تدليهم فهذا هو حال الفريقين وشتان ما بينهما أى بعد ما بينهما وذلك أن المستدل به على غيره عرف الحق الذى هو الوجود الواجب لأهله وهو المختص بوصف القدم وأثبت الامر المشار به الى الآثار العدمية من وجود أصله المشار به الى المؤثر المحقق وجوده والمستدل بغيره عليه على عكس ما ذكرناه لانه استدل بالمجهول على المعلوم وبالمعدوم على الموجود وبالامر الخفى على الظاهر الجلى وذلك لوجود الحجاب ووقوفه مع الاسباب وعدم احتظائه بالوصول والاقتراب والا فتى غاب حتى يستدل عليه بالاشياء الحاضرة ومتى بعد حتى تكون الآثار القريبة هى التى توصل اليه أو فقد حتى تكون الآثار الموجودة هى التى تدل عليه وأنشد

عجيب لمن يبغى عليك شهادة * وأنت الذى أشهدته كل مشهد

قال فى لطائف المنن واعلم ان الادلة انما نصبت لمن يطلب الحق لا لمن يشهده لان الشاهد غنى بوضوح الشهود عن أن يحتاج الى دليل فتكون المعرفة باعتبار توصيل الوسائل اليها كسبية ثم تعود الى نهايتها ضرورية واذا كان من الكائنات ما هو غنى بوضوحه عن اقامة دليل فالمكون أولى بغناه عن الدليل منها ثم قال ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة اليه فليت شعرى هل لها وجود معه حتى توصل اليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هى المظهرة له وان كانت الكائنات موصلة اليه فليس لها ذلك من حيث ذاتها لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت فما وصل اليه غير الهيته ولكن الحكيم هو واضع

٣ يرون الا الاكوان ويستدلون بها عليه وهم قسمان عامة وسالكون لم يصلوا الى مقام الشهود والمراد باستدلال المجذوب الذى حصلت له افاقة انه حينئذ يلاحظ الغير فيثبت وجوده بوجوده سبحانه وثبوته باثباته وليس المراد أنه يستدل حينئذ بالدليل العقلى والنظر الفكرى

ينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه) أى اشارة الى حال الواصلين اليه تعالى فانهم لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم وأفيض عليهم علوم وأسرار الهية فصاروا يمدون الغير ويتصرفون فى عوالمهم *(٤٠)* الباطنية كيف شاؤا ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه) أى اشارة الى حال السائرين اليه فهم مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من فضله من الرزق المقدر الضيق على غيرهم ويتصرفون فى عوالمهم على قدر ما أعطاهم الله عز وجل (اهتدى الراحلون) أى السائرون اليه بأنوار التوجه ويبحث أى الانوار الحاصلة من العبادات والرياضات التى توجهوا بها الى حضرة الرب فان المجاهدة بحسب العادة يحصل منها أنوار فى القلوب يهتدون بها الى الله تعالى حتى يصلوا اليه (والواصلون لهم أنوار المواجهة) أى الانوار التى واجههم من حضرة الرب أى أفيضت عليهم حتى عرفوه سبحانه وتعالى (فالاولون للانوار) أى عبيد لها ومحتاجون اليها للتوصل بها الى مطلوبهم (وهؤلاء) أى الواصلون (الانوار لهم) أى ثابتة لهم من غير معاناة ومشقة مع فنائهم عنها بربهم (لانهم لله لا لشئ دونه) قال تعالى (قل الله) أى توجه اليه ولا تمل الى أنوار ولا غيرها (ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) فافراد التوحيد بعد فناء الاغيار هو حق اليقين ورؤية ماسوى الله خوض ولعب وذلك من صفات المحو وبين (تشوفك) أيها المريد (الى ما بطن فيك من العيوب) النفسانية كالرياء وسوء الخلق والمداهنة وحب الرياسة والجاه أى توجه همتك الى زوال ذلك بالرياضة والمجاهدة وطلب التخلص منه ولا يكون فى الغالب الا على يد شيخ كامل ناصح (خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) من خفايا

الاسباب وهى لمن وقف عندها ولم تنفذ قدرته عين الحجاب * (لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائرون اليه) هذه اشارة ملوحة الى حال الفريقين فالواصلون الى الله تعالى لما خرجوا من سجن رؤية الاغيار الى فضاء التوحيد وكمال الاستبصار اتسعت مسافة نظرهم وأنفقوا من سعتهم وتصرفوا فى عوالمهم كيف شاؤا والسالكون اليه مقدور عليهم فى أرزاق العلوم والفهوم محبوسون فى مضيق الخيالات والرسوم ينفقون مما آتاهم الله من الرزق المعلوم المقدر المضيق * (اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالاولون للانوار وهؤلاء الانوار لهم لانهم لله لا لشئ دونه قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) أنوار التوجه هو ما صدر منهم الى الله تعالى من عبادات ومعاملات ومكابدات ومجاهدات وأنوار المواجهة هو ما صدر من الله لهم من تعرف وتقرب وتودد وتحبب فالاولون عبيد الانوار لوجود حاجتهم اليها فى الوصول الى مقصودهم والاخرون الانوار لهم لوجود غناهم عنها بربهم فهم لله لا لشئ دونه وسيأتى هذا المعنى عند قوله أنت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون افراد التوحيد بعدم ملاحظة الاغيار هو حق اليقين ورؤية ماسوى الله خوض ولعب وهما من صفات الكاذبين والمنافقين قال الله عز وجل اخبارا عنهم وكنا نخوض مع الخائضين وقال الله تعالى بل هم فى شك يلعبون وقال رضى الله تعالى عنه * (تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب) حكم المريد أن يتشوف الى معرفة ما غاب عنه من معايب نفسه ويتطلبها

ويبحث عنها فان ذلك هو حق الحق تعالى منه فينبغي أن يحرص عليه ويصرف
عنها عنان اعتنائه اليه ليحصل له صفاء أعماله من الآفات ونقاء أحواله من
الكدورات وينتفي عنه الجهل والغرور وتنقطع من باطنه مواد الشرور وقد
ذكر الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله تعالى عنه في كتاب رياضة النفس فصلا في
الطريق الذي به يتعرف الانسان عيوب نفسه فلينظر فيه المريد وقد جعل حاصله
أربعة أوجه أحدها أن يجلس بين يدي شيخ بصير بالعيوب والآفات فيحكمه
في نفسه ويتبع اشارته فيما يشير به عليه والثاني مصاحبة صديق صدوق يجعله
رقيبا على أحواله وأعماله لينبهه على ما يخفى عليه من مذام خلاله والثالث أن
يستفيد معرفة عيوبه من أعدائه اذ لا بد من جريان ذلك على ألسنتهم عند ثلبهم
وغيبتهم والرابع أن يستفيد ذلك من مخالطة الناس اذ يطلع بذلك على مساويهم
فاذا اطلع عليها منهم علم أنه لا ينفك هو عن شيء منها لان الطباع البشرية في
ذلك متقاربة وقد يظهر له في نفسه ما هو أعظم مما يراه في غيره فيطالب نفسه حينئذ
بالتطهر منها والتنزه عنها فهذا تلخيص ما ذكره ثم قال وهذه كلها حيل من فقد
شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه
مشغولا بتهذيب عباد الله ناصحا لهم فمن وجد الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه
من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده اه وأما طلبه للغيوب المحجوبة
عنه من خفايا القدر ولطائف العبر فانه حظ نفسه لا حق عليه فيه للحق تعالى
فليطب عنها نفسا ولا يشغل بها عقلا ولا حسا وما ظهر له منها لا يسكن اليه ولا يعول
عليه فان ذلك من المعايب القادحة في عبوديته ولهذا قالوا كن طالبا للاستقامة
ولا تكن طالبا للكرامة فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك
بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك * ومن
الحكايات في هذا المعنى الذي ذكرناه ما روي في الاسرائيليات عن وهب بن
منبه رضي الله تعالى عنه ان رجلا من بني اسرائيل صام سبعين سنة يفطر في كل
ستة أيام فسأل الله تبارك وتعالى أن يريه كيف تغوي الشياطين على الناس فلما
طال ذلك عليه ولم يجب قال لو اطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي لكان خيرا
لي من هذا الامر الذي طلبته فأرسل الله اليه ملكا فقال له ان الله تعالى أرسلني
اليك وهو يقول لك ان كلامك هذا الذي تكلمت به أحب الي مما مضى من
عبادتك وقد فتح الله بصرك فانظر فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالارض واذا
ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله كالذباب فقال أي رب من ينجو من
هذا قال الورع اللين وسيأتي بيان ان الكرامات غير مطلوبة التحصيل ولا مغتبط
بوجودها لدى كل عالم نبيل عند قوله ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه

القدر ولطائف العبر والاسرار الالهية والمعارف اللدنية والكرامات الكونية لان ذلك حظ نفسك وليس لمولاك شيء منه فلا تقصدها بأعمالك ولا تشغل قلبك بها ولا تركن الى ما ظهر لك منها فان ذلك يقدح في عبوديتك ولذ قالوا كن طالب الاستقامة ولا تكن طالب الكرامة فان نفسك تتحرك وتطلب الكرامة ومولاك يطالبك بالاستقامة ولأن تكون بحق مولاك أولى بك من أن تكون بحظ نفسك ثم قال

(الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب أنت عن النظر اليه اذ لو حجبه شئ لستره ماحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشئ فهو له قاهر (وهو القاهر فوق عباده) الحجاب على الحق تعالى محال واستدل المؤلف على ذلك بما ذكره هنا وهو بين لا اشكال فيه والحجاب على العبد واجب من حيث ذاته اذ هو عدم كما تقدم ولا نسبة بين العدم والوجود فان أراد الله تعالى رفع هذا الحجاب عمن شاء كيف شاء متى شاء رأى من ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وهذا مما يجب اعتقاده *(اخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا)* أوصاف البشرية المتعلقة بأمر الدين نوعان أحدهما ما يتعلق بظاهر العبد وجوارحه وهى الاعمال

ثم قال (الحق) تعالى (ليس بمحجوب) أى ليس الحجاب وصفا له سبحانه (وانما المحجوب) أى المتصف بالحجاب (أنت) بصفاتك النفسانية (عن النظر اليه) فان أردت الوصول اليه والدخول فى حضرته فابحث عن عيوب نفسك وعالجها تصل اليه وتشاهده ببصيرتك ثم استدل على نفى الحجاب عن الرب بقوله (اذ لو حجبه شئ لستره ما حجبه ودفع بذلك ما يتوهم) من عدم استحالة الحجاب فى حقه تعالى لان الحجاب انما يتخذه العظماء والرؤساء فهو ينبئ عن الرفعة ويشعر بالعظمة فمن أين جاء النقص وحاصل الدفع أنه لو حجبه شئ كما هو شأن العظماء لستره (ولو كان له ساتر لكان لوجوده) أى ذاته (حاصر) لاستلزام الستر انحصار المستور فيه (وكل حاصر لشئ فهو له قاهر) لانه يمنعه عما وراءه ويقصره على محله ويجعله فى أسر قبضته وتحت حكمه وذلك لا يصح فى حقه تعالى لقوله فى كتابه (وهو القاهر فوق عباده) فوقية مكانة وجلالة لا مكان ان قلت كيف جعل الحجب ملزوما والستر لازما مع ان الحجب هو الستر قلت معنى الحجب انما يشعر فى العرف بما تقدم من الرفعة والعظمة ولا يشعر بحصر المحجوب ومعنى الستر على العكس فهو الذى يلزمه مع انحصار المحجوب فجعل لازما فى الشرطية الاولى لجعل ملزوما فى الثانية والمعنى انا لو نظرنا الى ما تقتضيه عظمته سبحانه من ثبوت الحجاب لكان له ساتر فتغاير المقدم والتالى بهذا التأويل (أخرج) بالرياضة والمجاهدة (من أوصاف بشريتك) المذمومة سواء كانت تلك الاوصاف ظاهرة وهى القائمة بالجوارح كغيبة ونميمة وقتل وسلب أو باطنة وهى القائمة بالقلب ككبر وعجب ورياء وسمعة وحقد وحسد وحب جاه ومال الى غير ذلك ولما كانت أوصاف البشرية شاملة للاوصاف المحمودة كالطاعة والايمان وهى غير مرادة أبدل منها قوله (عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيبا) لانك اذا خرجت عن تلك الاوصاف المذمومة اتصفت بما يضاد تلك الصفات كالتواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والخوف منه والاخلاص فى عبوديته فحينئذ يناديك نداء معنويا باسم العبد فيقول لك يا عبدى فتجيبه بقولك لبيك يارب وتكون صادقا فى اجابتك لفقد الصفات منك التى تنافى العبودية وتقتضى الربوبية (و) تكون أيضا (من حضرته قريبا) فتحفظ من الاوزار وتتيسر لك الاعمال وتتلذذ بها والفرق

والثاني ما يتعلق بباطنه وقلبه وهي العقود فأما ما يتعلق بظاهره وجوارحه فينقسم قسمين أحدهما ما وافق الامر ويسمى طاعة والثاني ما خالفه ويسمى معصية وأما ما يتعلق بباطنه وقلبه فينقسم أيضا الى قسمين أحدهما ما وافق الحقيقة ويسمى ايمانا وعلما والثاني ما خالفها ويسمى نفاقا وجهلا والنظر فيما يتعلق بظاهر العبد يسمى في الاصطلاح تفقها والنظر فيما يتعلق بباطنه يسمى في الاصطلاح تصوفا فهذان الامران هما كلية العبد وظاهره تبع لباطنه بالضرورة لان القلب هو الملك والجوارح جنوده ورعيته ومن شأن الرعية طاعة الملك فيما يأمر به وينهى عنه وقد نبه على هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وصلاح القلب انما يكون بطهارته عن الصفات المذمومة كلها دقيقها وجليلها وهذه هي الصفات المناقضة للعبودية من أوصاف البشرية التي أشار اليها المؤلف رحمه الله تعالى وهي التي تسم صاحبها بسمة النفاق والفسوق وهي كثيرة مثل الكبر والعجب والرياء والسمعة والحقد والحسد وحب الجاه والمال ويتفرع عن هذه الاصول فروع خبيثة من العداوة والبغضاء والتذلل للاغنياء واستحقار الفقراء وترك الثقة بمجيء الرزق وخوف سقوط المنزلة من قلوب الخلق والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر والغل والغش والمباهاة والتصنع والمداهنة والقسوة والفظاظة والغلظة والغفلة والجفاء والطيش والعجلة والحدة والحمية وضيق الصدر وقلة الرحمة وقلة الحياء وترك القناعة وحب الرياسة وطلب العلو والانتصار للنفس اذا نالها الذل وذهاب ملك النفس اذا رد عليه قوله الى غير ذلك من النعوت الذميمة والاخلاق اللئيمة وأصل فروعها وعنصر ينابيعها انما هو رؤية النفس والرضا عنها وتعظيم قدرها وترفيع أمرها فبهذه الامور كفر من كفر ونافق من نافق وعصى من عصى وبها خلع من عنقه ربقة العبودية لربه عز وجل من خلع حسبما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى باثر هذا وشأن الصوفي انما هو والنظر فيما يطهرها ويزكيها من أنواع الرياضات والمجاهدات وقد بينوا طرق ذلك في كتبهم قال الشيخ أبو طالب رضي الله تعالى عنه فلا يكون المريد بدلا حتى يبدل بمعاني صفات الربوبية صفات العبودية وأخلاق الشياطين بأوصاف المؤمنين وطبائع البهائم بأوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها يكون بدلا مقربا قال والطريق الى هذا بأن يملك نفسه فيملكها تسخره ويسلط عليها فان أردت أن تملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك واذا أردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحبسها عن معتادها ملاعبها فان لم تمسكها انطلقت بك وان أردت

أن تقوى عليها فأضعفها بقطع أسبابها وحبس موادها والاقويت عليك فصرعتك اه فاذا قام بذلك المريد على الوجه الذى رسموه له والتزم الوظائف التى أمروه بها طهر قلبه وتزكت نفسه واتصفت بمحاسن الصفات التى تزينه بين العباد وينال بها من قرب ربه غاية المراد فيظهر حينئذ عليه آثار حميدة من التواضع لله والخشوع بين يديه والتعظيم لامره والحفظ لحدوده والمهيبة له والخوف منه والتذلل لربوبيته والاخلاص فى عبوديته والرضا بقضائه ورؤية المنة له عليه فى منعه واعطائه ويتصف فيما بين خلقه بالرأفة والرحمة واللين والرفق وسعة الصدر والحلم والاحتمال والصيانة والنزاهة والامانة والثقة والعطف والتأنى والوقار والسخاء والجود والحياء والبشاشة والنصيحة وسلامة الصدر الى غير ذلك من أخلاق الايمان التى بها ينال العبد غاية السعادة والحسنى والزيادة قلت وهذان المعنيان هما اللذان يعبر عنهما أئمة الصوفية رضى الله تعالى عنهم بالتخلى والتحلى أى التخلى عن الصفات المذمومة والتحلى بالصفات المحمودة ويعبرون عنهما أيضا بالتزكية والتحلية وهما حقيقة السلوك الذى يعبرون عنه أيضا وستأتى الاشارة الى كيفية ذلك عند قوله لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين فاذا صح للمريد هذا السفر وانقلب منه الى أفضل مستقر تحققت عبوديته لربه عز وجل فلم يملكه غيره ولم يسترقه سواه وارتقى فى القرب من ربه الى أشرف محل فيكون هناك منزله ومثواه فيكون حينئذ كما قال المؤلف رحمه الله تعالى لنداء الحق مجيبا لانه اذ ذاك مناديه باسم العبد فيقول له ياعبدى فيجيب حينئذ مولاه باسم الرب فيقول له لبيك يارب فيكون صادقا فى اجابته متحققا فى نسبته ويكون أيضا من حضرته قريبا لوجود بعده عن نفسه التى من شأنها النفور عنها والفرار منها فاذا أقامه الحق تعالى مقام العبودية وحاز مرتبة القرب من حضرة الربوبية كان محفوظا من اقتحام الاوزار ميسرا عليه أعمال الاخيار متحليا فى الظاهر والباطن بأشرف الحلى محتظيا بفضيلة التشبه بالملا الاعلى قال الله عز وجل ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد قال الله تعالى ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون وقال عز من قائل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فرتبة العبودية اذا التهم هذه الخصوصية وكذلك من تشبه بهم فى محاسن صفاتهم من الصفوة الصوفية الا أن هؤلاء محفوظون لا معصومون على ما اصطلحوا عليه من الفرق بين الحفظ والعصمة والفرق بينهما هو ما قاله الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل منه هنات وقد يكون له فى الندرة زلات ولكن لا يكون له اصرار أولئك الذين يتوبون الى الله

من

بين المحفوظ والمعصوم ان المعصوم لا يلم بذنب البتة والمحفوظ قد تحصل له زلات ولكن لا يكون منه اصرار بل يتوب من قريب واعلم أن التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل هو حقيقة السلوك عندهم ولا يتم ذلك الا لمن وفقه الله لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات لان من عرف ذلك منها لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والا وقع فيما يسخط مولاه من حيث لا يشعر ولذا قال (أصل كل معصية) أي مخالفة ❊(٤٥)❊ لما أمر الله به ونهى عنه (وغفلة) للقلب عن حضرة الرب (وشهوة) نفسانية وهي التعلق بما يشغل عن الله تعالى (الرضا عن النفس) باجماع العارفين وأرباب القلوب لان الرضا عنها يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة عن الله وبالغفلة يتصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور عليه حينئذ دواعي الشهوات وتغلبه اذ ليس عنده من المراقبة ما يدفعها ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لا محالة (وأصل كل طاعة) أي موافقة للامر والنهي (ويقظة) أي دخول في حضرة الرب وتنبه لما يرضيه (وعفة) أي علو الهمة عن الشهوات (عدم الرضا منك عنها) فان من لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها ولم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متنبها متيقظا للطوارق والعوارض وبالتيقظ يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف حينئذ بالعفة واذا اتصف بذلك كان متجنبا لكل ما نهى الله عنه محافظا على جميع ما أمر الله به وذلك معنى طاعة الله سبحانه ولما كان الرضا عن النفس شأن من يتعاطى العلوم الظاهرية التي لا تدل على عيوب النفس نهى المصنف عن صحبتهم ومخالطتهم فقال

من قريب وقد وصف الله تعالى عباده ذوي التخصيص أولي التطهير والتمحيص في آيات كريمة بصفات جليلة عظيمة وأعد لهم على ذلك خيرات جسيمة فقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الى قوله خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما وعليك انظر فيما قاله فيها أهل التفسير وما استنبطه منها أرباب الاشارات والتذكير وأما من عداهؤلاء فهم عبيد نفوسهم الشهوانية ومسترقو حظوظهم الدنيوية قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث وهؤلاء هم من عبيد العدد المعنيين بقوله عز وجل ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا واعلم أنه لا يتهيأ هذا السلوك الى حضرة ملك الملوك الا لمن وفقه الله تعالى لمعرفة نفسه وما ركبت عليه من مذام الصفات ومن عرف ذلك من نفسه لا يزال متهما لها مسيئا ظنه بها آخذا حذره منها والا وقع في المعاصي والذنوب من حيث لا يشعر وقد نبه المؤلف رحمه الله تعالى على هذا بقوله ❊(أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها)❊ الرضا عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة وعدم الرضا عنها أصل الصفات المحمودة وقد اتفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب وذلك لان الرضا عن النفس يوجب تغطية عيوبها ومساويها ويصير قبيحها حسنا كما قيل ❊ وعين الرضا عن كل عيب كليلة ❊ وعدم الرضا عن النفس على عكس

هذا لان العبد اذ ذاك يتهم نفسه و يتطلب عيوبها ولا يغتر بما يظهر من الطاعة والانقياد كما قيل في الشطر الاخير * كما أن عين السخط تبدي المساويا * فمن رضي عن نفسه استحسن حالها وسكن اليها ومن استحسن حال نفسه وسكن اليها استولت عليه الغفلة و بالغفلة ينصرف قلبه عن التفقد والمراعاة لخواطره فتثور حينئذ دواعي الشهوة على العبد وليس عنده من المراقبة والتذكير ما يدفعها به و يقهرها فتصير الشهوة غالبة له بسبب ذلك ومن غلبته شهوته وقع في المعاصي لامحالة وأصل ذلك كله رضاه عن نفسه ومن لم يرض عن نفسه لم يستحسن حالها و لم يسكن اليها ومن كان بهذا الوصف كان متيقظا متنبها للطوارق والعوارض و بالتيقظ والتنبه يتمكن من تفقد خواطره ومراعاتها وعند ذلك تخمد نيران الشهوة فلا يكون لها عليه غلبة ولا قوة فيتصف العبد حينئذ بصفة العفة فاذا صار عفيفا كان مجتنبا لكل مانهاه الله عنه محافظا على جميع ما أمره به وهذا هو معنى الطاعة لله عز وجل وأصل هذا كله عدم رضاه عن نفسه فاذا الشئ أوجب على العبد من المعرفة بنفسه و يلزم من ذلك عدم الرضا عنها وبقدر تحقق العبد في معرفة نفسه يصلح له حاله و يعلو مقامه وقد ورد عن الكبار والائمة الاخيار من الكلمات المتضمنة لعيبهم لنفوسهم والتهمة منهم لها وعدم رضاهم عنها أكثر من أن يحصى ولذلك قال أبو حفص رضي الله تعالى عنه من لم يتهم نفسه على دوام الاوقات ولم يخالفها في جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر اليها باستحسان شئ منها فقد أهلكها وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه والكريم ابن الكريم يقول وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال أيضا أبو حفص رضي الله تعالى عنه منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي ان الله ينظر الي نظر السخط وأعمالي تدل على ذلك وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه لاتسكن الى نفسك وان دامت طاعتها لك في طاعة ربك وقال أبو سليمان الداراني رضي الله تعالى عنه مارضيت عن نفسي طرفة عين ويحكى عن سري السقطي رضي الله تعالى عنه أنه قال اني لانظر الى وجهي في اليوم كذا وكذا مرة مخافة أن يكون قد اسود لما أخافه من العقوبة وقال أيضا رضي الله تعالى عنه من الناس ناس لومات نصف أحدهم ما انزجر النصف الآخر ولا أحسبني الامنهم الى غير هذا من العبارات الصادرة من المشايخ رضي الله تعالى عنهم في هذا المعنى وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله تعالى عنه جزأ صغير الحجم عظيم الفوائد في عيوب النفس وكيفية مداواتها فلينظر فيه المريد وكذلك ألف قبله الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي كتابا سماه النصائح جمع فيه من معايب النفس وخدعها وغرورها وشرورها جملة شافية ونبه فيه على سنن دارسة عافية مما كان

(ولان) أى والله لان (تصحب) أيها المريد (جاهلا) بالعلوم الظاهرية (لايرضى عن نفسه) بان يسخط عليها ويعتقد نقصها (خير لك من ان تصحب عالما) بذلك (يرضى عن نفسه) لان صحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما (٤٧) شر محض لك لان الصحبة تؤثر فتكتسب منه هذا الوصف الخبيث فصار علمه غير نافع لك فى تهذيب نفسك وجهله الذى أوجب رضاه عن نفسه ضار لك غاية الاضرار وكانه اذا فاته العلم بعيوب نفسه حتى لايرضى عنها الاعلم عنده فلذا قال (فأى علم لعالم يرضى عن نفسه) وصحبة من لم يرض عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيها كل الفائدة لان الطبع يسرق من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء بمن تستحسن حاله فصار جهله غير ضار لك وعلمه الذى أوجب عدم رضاه عن نفسه نافعا لك غاية النفع وكانه اذ علم بعيوب نفسه حتى لم يرض عنها الاجهل عنده ولذا قال (وأى جهل لجاهل لايرضى عن نفسه) لانه اذا حصل له هذا العلم صار لاجهل عنده حتى يتضرر به غاية ما يكون صحبته خيرا محضا والتنوين فى قوله علم وجهل للتنويع أى فأى علم نافع وأى

عليه سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم من التفتيش والتفقد والنظر فيما تصلح به أعمالهم وأحوالهم وأنفسهم والمحافظة على تطهير الاسرار والقلوب والمبالغة فى الحذر من محقرات الذنوب وقد نقل الامام أبو حامد الغزالى قدس الله روحه منه فصلا فى كتابه واعتمد فيه ذكره بلفظه ونص خطابه بعد أن أثنى على مؤلفه بما هو أهله فبان للعاقل به علمه وفضله فقال فى حقه والمحاسبى رحمه الله تعالى حبر الامة فى علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين من عيوب النفس وآفات الاعمال واغوار العبادات وكلامه جدير بأن يحكى على وجهه ثم ذكره وقد كان أوحد زمانه علما وعبادة ونخبة أوانه ورعا وزهادة سيدى الحاج أبو العباس بن عاشر رحمة الله تعالى عليه ورضوانه يكثر من التحريض على مطالعة ذلك الكتاب والعمل بما تضمنه من حق وصواب وأظننى سمعته ذات يوم يقول لا يعمل بما فيه الاولى أو كلاما هذا معناه فليتخذ المريد مطالعته وردا وليحرص على العمل بما تضمنه مستعينا بالله تعالى وسائلا منه توفيقا ورشدا لينصح اولاه فى مراعاة اصلاح باطنه والقيام على قدم الصدق فى مواطنه وليجعل هجيراه مطالعة كتب التصوف وموالاة أهله بالتألف والتعرف فبذلك تتقوى أنوار ايمانه ويقينه وتنتفى عنه الغرة فى عمله بوظائف دينه ولا يقدم على ذلك الافرض العين وما يستقيم به نفسه من مكابدة التعب والاين ولا يشغل نفسه بعلم يغبر على وجه مقصوده ويوجب له انتكاث مواثيقه وعهوده وما أكب الناس عليه اليوم وحادوا به عن سنن القوم حتى أكسبهم ذلك من رذائل الصفات وعظائم الآفات ما صار بهم الى المهالك والشقاء وأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم اللقاء وسجل عليهم بالكذب فى دعواهم انهم قاصدون بعلمهم رضا مولاهم فاياك واياهم وأنشد

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لاحياة لمن تنادى

ولذلك قال المؤلف *(ولان تصحب جاهلا لايرضى عن نفسه خير لك من أن

تصحب عالما يرضى عن نفسه فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لايرضى عن نفسه) فائدة الصحبة انما هى الزيادة فى الحال وعدم النقصان فيها حسبما يأتى الكلام عليه عند قوله لاتصحب من لاينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله فصحبة من يرضى عن نفسه وان كان عالما شر محض ولافائدة فيها لان علمه غير نافع له وجهله الذى أوجب رضاه عن نفسه صار غاية الضرر وكانه اذ فاته هذا

جهل ضار ثم قال (شعاع البصيرة) ويعبر عنه بنور العقل وبعلم اليقين (يشهدك قربه منك وعين البصيرة) ويعبر عنه بنور العلم وبعين اليقين (يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة) ويعبر عنه بنور الحق وبحق اليقين (يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) والحاصل أن السالك يهتف على قلبه أنوار الهية يعبر عنها بهذه العبارات ويترتب على كل واحد ثمرات وفوائد قال بعضهم ولا يبلغ العبد حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وتنطبع للحق وللخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها وبين المصنف أن الذي ينكشف بالنور الاول قرب الله منك وثمرة ذلك ونتيجة مراقبته تعالى والاستحياء منه حتى لا يراك

حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك والذي ينكشف بالثاني عدمية كل موجود في وجود الحق تعالى فيشهد الاكوان عدما فلا يعبأ بها ولا يلتفت اليها اذ وجودها عارية والوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وثمرة ذلك أن لا يبقى في نظرك ما تستند اليه ولا ما تستأنس به فيتم لك التوكل والتفويض والرضا والاستسلام والذي ينكشف بالثالث الذات المقدسة الهمة

وثمرة ذلك الفناء الكامل الذي هو دهليز للبقاء فيفنى عن فنائه وعدمه استهلاكا في وجود سيده وناهيك بما يحصل له حينئذ من المواهب والاسرار الالهية فاذا ترقى عن ذلك حل في مقام البقاء قال صاحب العوارف والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق والفاني محجوب بالحق عن الخلق اه (كان الله ولا شيء معه) يعني أن هذا حال من هو متحقق بمقام الفناء وهو عدم رؤيته غير مولاه (وهو الآن على ما عليه كان) أي ان الامر الذي حصل لذلك المشاهد وهو أن الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى وغيره لا وجود له هو الوصف المتحقق له سبحانه في الواقع وعدم ادراك ذلك له قبل ذلك انما هو لوجود الحجاب فقوله وهو الآن أي عند مشاهدة هذا السالك له على هذا الوصف (على ما عليه كان) أي هو متصف به في الواقع وقبل ادراك هذا المشاهد له لكن عدم ادراكه ذلك انما هو للحجاب القائم به ثم قال (لا تتعد نية همتك) أيها السالك (الى غيره) بأن تتوجه الى غيره لتحصيل حاجتك بل اطلب حوائجك منه فالكريم لا تتخطاه الامال) فالهمة

العلم الذي يريه عيبه حتى لا يرضى عن نفسه لا علم عنده وصحبة من لا يرضى عن نفسه وان كان جاهلا خير محض وفيه كل الفائدة لان جهله غير ضار وعلمه الذي أوجب له عدم رضاه عن نفسه نافع غاية النفع وكأنه اذ حصل له هذا العلم لا جهل عنده

*(شعاع البصيرة يشهدك قربه منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك) شعاع البصيرة نور العقل وعين البصيرة نور العلم وحق البصيرة نور الحق فالعقلاء بنور عقولهم شهدوا أنفسهم وشاهدوا ربهم قريبا منهم أي بالعلم والاحاطة والعلماء بنور علمهم شهدوا أنفسهم عدما في وجود ربهم والمحققون بنور الحق شاهدوا الحق ولم يشاهدوا معه سواه *(كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان) الازمنة ههنا أمور وهمية لا وجود لها على التحقيق والمقصود ان الله تعالى لا شيء معه لثبوت أحديته

فلم يبق الا الحق لم يبق كائن * فما ثم موصول وما ثم بائن
بذا جاء برهان العيان فما أرى * بعيني الا عينه اذ أعاين

وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله تعالى الاكوان ثابتة باثباته ممحوة بأحدية ذاته

وقال قدس الله سره *(لا تتعدى نية همتك الى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال

العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة الا الله اذ الكريم هو الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالى كم اعطى ولا لمن اعطى واذا جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجى * (٤٩) * ويغنيه عن الوسائل والشفعا وهذه الصفات لا يستحقها حقيقة الا الله سبحانه وتعالى فينبغي أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره واعلم ان الطلب من الخلق المنافى للعبودية هو الطلب منهم على وجه الاعتماد عليهم والاستناد اليهم والغفلة فى حال الطلب عن الله تعالى أما الطلب منهم من حيث كونهم أسبابا ووسايط مع الاعتماد فى نيل المطلوب على الله ورؤية انه المعطى فليس منافيا للعبودية

ثم قال (لا ترفعن) أيها المريد (الى غيره حاجة) أى فاقة أو نازلة نزلت بك أى لا تتوجه فى زوالها الى غيره وتطلب منه أن يرفعها عنك فان تلك الفاقة أو النازلة (هو موردها عليك) أى منزلها بك (فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا) اذ هو الغالب الذى لا يغلبه شئ وأيضا (من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه) اذا نزلت به (فكيف يستطيع ان يكون لها عن غيره رافعا) أى فيستحيل ذلك لثبوت عجزه وضعفه وحاصله ان المرفوع اليه حوائج لم يتوصل اليها ولو كان ملكا ولا شك ان نفسه أحب اليه من غيره فلو كان له قدرة على نفع غيره لنفع نفسه فلزم عجزه عن نفع غيره اذ ما بعد العجز عن نفع النفس عجز فيكون من قلة العقل تعلقك فى حاجتك بمن هو محتاج مثلك

الهمة العلية تأنف من رفع حوائجها الى غير كريم ولا كريم على الحقيقة سوى الله تعالى قال الجنيد رضى الله تعالى عنه الكريم الذى لا يحوجك الى مسئلة وقال الحرث المحاسبي رضى الله تعالى عنه الكريم الذى لا يبالى من أعطى وقيل الكريم الذى لا يخيب رجاء المؤملين وأجمع العبارات فى معنى وصف الكريم ما قيل الكريم الذى اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا أعطى زاد على منتهى الرجا ولا يبالى كم أعطى ولا لمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفى عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجا ويغنيه عن الوسائل والشفعا فاذا كانت هذه الصفات لا يستحقها أحد سوى الله تعالى فينبغي اذا أن لا تتخطاه آمال المؤملين الى غيره كما قال بعضهم

حرام على من وحد الله ربه * وأفرده أن يجتدى أحدا رفدا
ويا صاحبى قف بى مع الحق وقفة * أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا
وقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

---

*(لا ترفعن الى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا

من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها من غيره رافعا) اذا أورد الله تعالى عليك حاجة أو أنزل بك نازلة فاعلم انه لا رافع لها سواه اذ يستحيل ان يرفع غيره ما كان هو له واضعا لثبوت توحيده فى ان لا فاعل سواه واذ هو غالب على أمر لا يغالبه أحد ويستحيل أيضا أن يرفعها عنك من لا يستطيع ان يرفعها عن نفسه لو نزلت به لثبوت عجزه وضعفه ومن المحال تعلقك فى حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو فى غرور مما لا يدوم ولا يدوم شئ سواه وهو الدائم القديم الذى لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد الا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء فى كل نفس وحين وأوان وزمان قال

عطاء الخراسانى رضى الله تعالى عنه لقيت وهب بن منبه فى الطريق فقلت حدثنى حديثا أحفظه عنك فى مقامى وأوجز قال أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود أما وعزتى وجلالى لا يستنصر بى عبد من عبادى دون خلقى أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والارضون السبع ومن فيهن الا جعلت له منهن فرجا ومخرجا أما وعزتى وجلالى وعظمتى لا يستعصم عبد من عبادى بمخلوق دونى أعلم ذلك من نيته الا قطعت أسباب السموات السبع من دونه واسخت الارض من تحته ولا أبالى فى أى واد هلك ❊ قال محمد بن الحسين بن حمدان كنت فى مجلس يزيد بن هرون وكان الى جانبى رجل قلت له ما اسمك فقال سعيد فقلت ما كنيتك قال أبو عثمان فسألته عن قصته وخبره فقال نفدت نفقتى فقلت ومن تؤمل لما قد نزل بك فقال يزيد فقلت اذا لا يسعفك بحاجتك ولا ينجح طلبك ولا يبلغك أملك فقال وما علمك بهذا رحمك الله قلت انى قرأت فى بعض الكتب أن الله عز وجل يقول وعزتى وجلالى وجودى وكرمى وارتفاعى فوق عرشى فى علو مكانى لأقطعن أمل كل مؤمل لغيرى بالاياس ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولانحينه من قربى ولأقطعنه من وصلى أيؤمل غيرى فى النوائب والشدائد بيدى وأنا الحى ويرجى غيرى وتطرق الفكر أبواب غيرى وبيدى مفاتيح الابواب وهى مغلقة وبابى مفتوح لمن دعانى من ذا الذى أملنى لنائبة فقطعت به دونها أو من ذا الذى رجانى لعظيم جرمه فقطعت رجاءه منى أم من ذا الذى قرع بابى فلم افتحه له جعلت آمال خلقى بينى وبينهم متصلة فتعلقت بغيرى وجعلت رجاءهم مدخرا لهم عندى فلم يرضوا بحفظى وملأت سمواتى ممن لا يملون تسبيحى من ملائكتى وأمرتهم أن لا يغلقوا الابواب بينى وبين عبادى فلم يثقوا بقولى ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبى أنه لا يملك كشفها أحد غيرى فمالى أراه بآماله معرضا عنى ومالى أراه لاهيا بسوى أعطيته بجودى ما لم يسألنى ثم انتزعته منه فلم يسألنى رده وسأله غيرى أفترانى أبدأ بالعطية قبل المسئلة ثم أسئل فلا أجيب سائلى أبخيل أنا فيبخلنى عبدى أليس الدنيا والآخرة لى أوليس الرحمة والفضل بيدى أوليس الوجود والكرم لى أوليس أنا محل الآمال فمن ذا الذى يقطعها دونى وما عسى أن يؤمل المؤملون لو قلت لاهل سمواتى وأهل أرضى أملونى ثم أعطيت كل واحد منهم من الفكر مثل ما أعطيت الجميع ما نقص ذلك من ملكى عضو ذرة كيف ينقص ملك كامل انا قيمه فيا بؤس القانطين من رحمتى ويا بؤس من عصانى ولم يراقبنى وثبت على محارمى ولم يستحى منى قال رحمك الله أمل هذا الحديث على فكتبه ثم قال والله لا أكتب حديثا بعده قلت والاصل الذى ينبنى عليه هذا المعنى هو تحقق العبد فى مقام حسن الظن بالله تعالى ولذلك

(ان لم تحسن ظنك به لاجل وصفه) أى لاجل ماهو عليه من النعوت السنية والصفات العلية فان من كان متصفا باسنى الصفات لا يصدر منه الا الجميل سيما لمن ظن به الجميل (فحسن ظنك به لاجل معاملته معك) من اسباغ النعم وشمول الفضل والكرم * (٥١) * (فهل عودك الا حسنا وهل أسدى اليك الا

أخذ المؤلف رحمه الله تعالى فى ذكره باثره فقال (ان لم تحسن ظنك به لاجل حسن وصفه فحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الاحسنا وهل أسدى اليك الامننا) حسن الظن بالله تعالى احد مقامات اليقين والناس فيه على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر ولذلك لا يخاف من التغير والانقلاب فى أحدهما ما يخاف فى الآخر لان أرباب المقام الاول لما تحققوا فى المعرفة بالله تعالى واحتظوا بأنوار اليقين به اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم فلم يبق فيهم متسع لوجود تهمة ولا مجال لسوء ظن وأرباب المقام الثانى لم يرتقوا عن نظرهم الى الافعال وهى متلونة عليهم فى كل حال وعند وقوع بعض ما لا يلائمهم منها بهم ربما تضعف عن تحمل مكارهها قوى قلوبهم فلا تحصل لهم البراءة من خواطر سوء الظن بالله وتحدث النفس بما يقتضى وجود هلع وجزع فليكن العبد عند ذلك مشاهدا معنى قوله عز وجل وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وما أشبهه وليقس النادر على الغالب * قال أبو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله تعالى عنه حسن الظن عبارة عن قطع الوهم ان يكون أو لا يكون لان الوهم قاتل وهو لوقت ثان فتى أعطيت أذنك للوهم هلكت وحدك وكذلك الاصغاء بالاذن الى الشيطان والنفس جنس واحد اه قلت وحسن الظن يطلب من العبد فى أمر دنياه وفى أمر آخرته أما أمر دنياه فأن يكون واثقا بالله تعالى فى ايصال المنافع والمرافق اليه من غير كد ولا سعى فيها أو سعى خفيف مأذون فيه ومأجور عليه بحيث لا يفوته ذلك شيأ من نفل ولا فرض فيوجب له ذلك سكونا وراحة فى قلبه وبدنه فلا يستفزه طلب ولا يزعجه سبب وأما أمر آخرته فأن يكون قوى الرجاء فى قبول أعماله الصالحة وتوفية أجوره عليها فى دار الثواب والجزاء فيوجب له ذلك المبادرة لامتثال الامر والتكثير من أعمال البر بوجود حلاوة واغتباط ولذاذة ونشاط وقد قال يحيى بن معاذ أوثق الرجاء رجاء العبد لربه وأصدق الظنون حسن الظن بالله تعالى ومن مواطن حسن الظن بالله تعالى التى لا ينبغى للعبد أن يفارقه فيها أوقات الشدائد والمحن وحلول المصائب فى الاهل والمال والبدن لئلا يقع بسبب عدم ذلك فى الجزع والسخط وسيأتى هذا المعنى فى كلام المؤلف رحمه الله وهو قوله من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ومن أعظم

منا) أى نعما اشار بذلك الى ان الناس فى حسن الظن على قسمين خاصة وعامة فالخاصة حسنوا الظن به لما هو عليه من النعوت السنية والصفات العلية والعامة حسنوا الظن به لما هم فيه من سبوغ النعم وشمول الفضل والكرم والتفاوت بين المقامين ظاهر فكأنه قال ينبغى لك أيها المريد ان تحسن ظنك به مطلقا فى ايصال المنافع ودفع المضار وعدم الالتفات لغيره فان لم تقدر على حسن الظن الذى هو مقام الخاصة فتلبس بمقام العامة

وحسن الظن به لوصفه ينتج لك محبته ونعمة الاعتماد والتوكل عليه وحسن الظن به بوجود معاملته معك ينتج لك شكر نعمته والتشوف لورود فضله ورحمته

(العجب كل العجب ممن يهرب عما لا انفكاك له عنه) وهو الله تعالى بان لا يفعل ما يقربه اليه (ويطلب ما لا بقاء له معه) وهو الدنيا وكل شئ سوى المولى بأن يقبل على شهواته ويتبع هواه (فانها لا تعمى الابصار الآية) أي أن ذلك ناشئ من عمى قلبه ووجود جهله بربه لانه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وآثر الفاني الذي لا بقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لعكس الامر ثم قال

مواطن حسن الظن بالله تعالى حالة الموت وقد جاء في الخبر لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى وفي حديث جابر من استطاع منكم ان لا يموت الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فليفعل ثم تلا هذه الآية وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ولأنه تعالى قال فيما روي عنه أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء * قال أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه وكان ابن مسعود يحلف بالله ما أحسن عبد ظنه بالله تعالى الا أعطاه الله عز وجل ذلك لان الخير كله بيده فاذا أعطاه حسن الظن به فقد أعطاه ما يظنه لان الذي حسن ظنه به هو الذي أراد أن يحققه له اه وقد روي عن أبي النضر بن حيان قال خرجت عائدا ليزيد بن الاسود فلقيت واثلة بن الاسقع وهو يريد عيادته قال فدخلنا عليه وهو في فراشه فلما رأى واثلة بسط يده وطفق يشير اليه فاقبل واثلة حتى جلس على الفراش وأخذ يزيد بن الاسود بكفي واثلة حتى جعلهما على وجهه فقال له واثلة أسألك عن شئ تخبرني به قال لا تسألني عن شئ أعلمه الا أخبرتك به قال له واثلة كيف ظنك بالله عز وجل قال ظني والله بالله حسن قال فابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا عند ظن عبدي بي ان ظن خيرا وان ظن شرا وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مريضا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ظنك بربك قال يا رسول الله حسن الظن قال فظن به ما شئت فان الله تبارك وتعالى عند ظن المؤمن به وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان حسن الظن بالله من حسن عبادة الله قلت والاخبار والآثار في الرجاء وحسن الظن بالله وسعة رحمته أكثر من أن تحصى ومطالعتها مما يزيد المريد قوة في هذا المقام فمن أراد الشفاء في ذلك فعليه بمطالعة كتاب الرجاء من قوت القلوب وكتاب الاحياء قال بعضهم

ومازلت أرجو الله حتى كأنني * أرى بجميل الصنع ما هو صانع

ثم بين رحمه الله تعالى الحالة التي بمنازلتها يتحقق العبد في مقام حسن الظن بالله تعالى وهو عكوف العبد بباب الله وتعلق قلبه بوحدانيته وأشار الى أن ذلك هو غاية النعيم ومنتهى الاماني لا ما تتوهمه النفس وتطلبه من النعيم المعقول والامنيات التي تفنى وتزول وحكم بان خلاف هذا من عمى القلب ومما يستحق أن يتعجب منه كل ذي لب فقال (العجب كل العجب ممن يهرب ممن لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فانها لا تعمى الابصار الآية) هرب العبد من مولاه باقباله على شهواته ومتابعته هواه وذلك نتيجة عمى قلبه وجهله بربه لانه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وآثر الفاني الذي لا بقاء له على الباقي الذي لا انفكاك له عنه ولو كانت له بصيرة لآثر الباقي على الفاني ولفعل ما فعله سحرة فرعون لما آمنوا

(لاترحل من كون الى كون) يعنى ان العمل المصاحب للرياء ونحوه مذموم غير معتد به شرعا فاذا جاهد المريد نفسه حتى خلص من ذلك ولكن قصد به الجزاء والدرجات أو نيل الرتب العلية والمقامات لم يزل مذموما أيضا عند العارفين والمحمود أن يقصد به وجه الله تعالى ثم شبه المصنف الرحيل من كون الى كون بقوله (فتكون كحمار الرحا) أى الطاحون (يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه) وكذلك العمل لطلب الجزاء فيه رحيل من كون وهو الرياء ونحوه الى كون وهو ما ذكر من طلب الجزاء وسببه بقايا النفوس فتطلب بعملها رتبة عند الله وكل ذلك من الاكوان والاكوان كلها متساوية فى كونها أغيارا (ولكن ارحل من الاكوان الى المكون) بأن تخلص عملك لمولاك وحده دون حظ عاجل أو آجل فمن عمل لاجل الدرجات *(٥٣)* أو المقامات فهو عبد لها ومن عمل لله فهو عبد الله وهو راحل من الاكوان الى المكون (وأن الى ربك المنتهى) أى فقد انتهى سيره الى الله وصار متحققا بمعنى هذه الآية بخلاف المرتحل من كون الى كون فانه غير منته ولا واصل اليه (وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله) أى بالقصد والنية (فهجرته الى الله ورسوله) فى الواقع ونفس الامر فهى محمودة معتد بها (ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الامر ان كنت ذا فهم) يعنى ان فى هذا الحديث تنبيها على المعنى المذكور وموضع الاعتبار والتأمل هو الشق الثانى أعنى فهجرته الى ما هاجر اليه فان معناه أنه لا نصيب له من الوصول والقرب الذى حظى به من هاجر الى الله ورسوله وكأنه صلى الله عليه وسلم نبه بالدنيا والمرأة على حظوظ النفس بالوقوف معها كائنة ما كانت فقوله فهجرته الى الله ورسوله هو معنى الارتحال من الاكوان الى المكون الذى هو

ربهم اذلم يحفلوا بما وعدهم به فرعون من الاحسان والانعام والتقريب والاكرام ولم يكترثوا بما توعدهم به من العذاب والقتل والصلب على جذوع النخل بل قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا الآية ثم قالوا والله خير وأبقى فهؤلاء استنارت قلوبهم وشاهدوا محبوبهم فكان منهم ما كان

(لاترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل منه ولكن ارحل من الاكوان الى المكون وأن الى ربك المنتهى) العمل على طلب الجزاء والدرجات أو نيل الرتب العلية والمقامات نقصان فى الحال وشوب فى اخلاص الاعمال وهو معنى الرحيل من كون الى كون وسبب ذلك بقاء اعتبار النفس فى أن تحصل لها رتبة أو تنال بسعيها موهبة وهذه كلها من الاكوان والاكوان كلها متساوية فى كونها اغيارا وان كان بعضها أنوارا وتمثيله بحمار الرحا مبالغة فى تقبيح حال العاملين على رؤية الاغيار وتلطف فى دعائهم الى حسن الأدب بين يدى الواحد القهار حتى يحققوا بمعنى قوله تعالى وأن الى ربك المنتهى فيكون انتهاء سيرهم اليه وعكوف قلوبهم عليه وتكون أعمالهم اذ ذاك وفاء بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية فقط من غير التفات الى النفس على أى حالة تكون فهذا هو تحقيق الاخلاص الكائن عن مشاهدة التوحيد الخاص جعلنا الله من أهله بمنه وفضله انه على كل شئ قدير (وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الامر ان كنت ذا فهم) فى هذا الحديث النبوى تنبيه على

الحكماء يقول لا تؤاخ من الناس من يتغير عليك فى أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعانى تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال فى موضع آخر من كان ناظرا فى اخوة أخيه أو فى صحبته لكثرة أعماله أو واقفا مع أكل أحواله دل على جهله بهذه الطريق التى تنفذ الى التحقيق لانها تحول وانما العمل على حقائق القلوب لانها ثابتة فى الاصول فان اقترن الى جهله نقص معرفة الاخوة دخل عليه التزين له واتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده أثره فيدخله ذلك فى الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها ويسقط من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح واثبات المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه وأضرهم له ويصير أحدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لانه جاهل فلا يصحبه لانه يحد النقصان بصحبته وتدخل عليه الآفات بمقاربته ولينفرد بنفسه ويصدق فى حالة عالية كانت أو دنيئة وضيعة كانت أو رفيعة من غير مقاربة أحد ولا مباينته فهو خير له وأحمد عاقبة اه ويدل على ارادة صاحب الكتاب لهذا المعنى الذى ذكرناه فى التنبيه على قوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ما أعقبه به من قوله ولا يدلك على الله مقاله فيكون الحال والمقال متناسبين فى كون كل واحد منهما متعلقا بالله تعالى عبودية ودلالة * قال سهل ابن عبد الله رضى الله تعالى عنه احذر صحبة ثلاثة أصناف من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال يوسف بن الحسين الرازى رحمه الله تعالى قلت لذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه من أصحب فقال من لا تكثره شيأ مما يعلمه الله منك وقال حمدون القصار رضى الله تعالى عنه أصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به اشارة الى أن العجب بالعمل منفى عندهم فى صحبتهم وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه اذا أراد الله بالمريد خيرا أرفقه الى الصوفية ومنعه صحبة القراء وقال على رضى الله تعالى عنه شر الاصدقاء من أحوجك لى المداراة وألجأك الى الاعتذار وقال مرة شر الاصدقاء من تكلف له وأنشدوا ليوسف بن الحسين الرازى رضى الله تعالى عنه

أحب من الاخوان كل مواتى * وكل غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى فى كل أمر أحبه * ويحفظنى حيا وبعد مماتى
فان لى بهذا اليتنى قد وجدته * فقاسمته مالى من الحسنات

والحاصل من هذا ان صحبة الصوفية هى التى يحصل بها كمال الانتفاع للصاحب دون من عداهم من المنسوبين الى الدين والعلم لانهم خصوا من حقائق التوحيد

(ربما كنت مسيئا فأراك الاحسان منك صحبتك الى من هو أسوأ حالا منك) يعنى ان صحبة من هو دونك ضرر محض لانها تغطى عنك عيوبك وتبين لك كمالك فتوجب لك حسن الظن بنفسك فتعجب بأعمالك وتقنع بأحوالك والرضا عن النفس ورؤية احسانها أصل كل شر فان أردت ولا بد ان تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله *(٥٧)* فاصحب مثلك حتى تكون فى صحبته لا لك ولا عليك ثم اعلم ان صحبة العارفين على قسمين صحبة ارادة وصحبة تبرك فصحبة الارادة هى التى يشترط لها الشروط المعروفة التى حاصلها ان يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدى الغاسل وصحبة التبرك هى التى يكون القصد بها الدخول مع القوم والتزيى بزيهم والانتظام فى سلك عقدهم وهذا لا يلزم بشروط الصحبة وانما يؤمر بلزوم حدود الشرع ولعله بمخالطة الطائفة تعود عليه بركتهم

٨ عبا ل و يصل الى ماوصلوا اليه (ماقل عمل برز من قلب زاهد) أى غير متعلق بالدنيا بل هو وان كان قليلا فى الحس كثير فى المعنى لسلامته من الآفات القادحة فى قبول الاعمال من الرياء والتصنع للناس وطلب الاعراض الدنيوية وعدم حضور القلب مع المولى فى حال فعله لقلة الوساوس الشيطانية الناشئة من حب الدنيا (ولا كثر عمل برز من قلب راغب) فى الدنيا بل هو وان كان كثيرا فى الحس قليل فى المعنى لعدم سلامته مما ذكر وقد روى عن ابن مسعود انه قال

والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها غيرهم وسر بان ذلك من الصاحب الى المصحوب هو غاية الأمل والمطلوب فقد قيل من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها فمن جلس على دكان العطار لم يفقد الرائحة الطيبة هذا فى الحضور والمجالسة فما ظنك فى الصحبة والمؤانسة وقد وصفهم بعض العلماء فقال الصوفى من لا يعرف فى الدارين أحدا غير الله ولا يشهد مع الله سوى الله قد سخر له كل شئ ولم يسخر هو لشئ وسلط على كل شئ ولم يسلط عليه شئ يأخذ النصيب من كل شئ ولا يأخذ النصيب منه شئ يصفو به كدر كل شئ ولا يكدر صفوه شئ قد شغله واحد عن كل شئ وكفاه واحد من كل شئ فانظر رحمك الله هذه الصفات ما أعظمها وأجلها وما أشرف حال من اتصف بها وما أعزه فى هذا الوجود نفعنا الله بهم ورزقنا من بركاتهم وفى صحبة أمثال هؤلاء يحصل للمريد من المزيد ما لا يحصل له بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا من ذلك الى أمر لا يسعه عقل عاقل ولا يحيط به علم عالم ناقل * قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه ماذا أصنع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يعبر أحدهم على الشجرة اليابسة فيشير اليها فتثمر رمانا للوقت فمن صحب مثل هؤلاء الرجال ماذا يصنع بالكيمياء وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما سار الاولياء والابدال من قاف الى قاف الا حتى يلقوا واحدا امثالنا فاذا لقوه كان بغيتهم وقال أيضا رضى الله تعالى عنه الولى اذا أراد أغنى وقال أيضا رضى الله تعالى عنه والله ما بينى وبين الرجل الا أن أنظر اليه نظرة فقد أغنيته وقال فيه شيخه أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه أبو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأتيه البدوى يبول على ساقيه فلا يمسى عليه المساء الا وقد وصله الى الله وسيأتى طرف من ذكر حال المؤلف رحمه الله تعالى فى صحبته وما أوصله اليه بركة رؤيته عند قوله كل كلام يبرز عليه كسوة القلب الذى منه برز (ربما كنت مسيئا فاراك الاحسان منك صحبتك الى من هو أسوأ حالا منك) هذه أعظم آفة تدخل على من خالف ما ذكره وصحب من هو دونه فى الحال وهى استحسانه لما هو عليه فيؤديه ذلك الى رضاه عن نفسه ورؤيته لاحسانها وهو أصل كل شر كما تقدم (ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب)

مقادير الاعمال على حسب قلوب العمال فما صدر عن الزاهدين فى الدنيا من عمل طاعة وان كان قليلا فى الحس فهو كثير على التحقيق وما صدر عن الراغبين فيها من عمل بر وان كان كثيرا فى الحس فهو قليل على التحقيق وذلك لان الزاهدين سلموا من الآفات التى تقدح فى اخلاص اعمالهم من مراآت الناس والتصنع لهم وطلب الاعواض الدنيوية عليها منهم لانهم زهدوا فيها فيحصل لهم قبول أعمالهم فيتوفر لهم قليلها بحسب ذلك ويكثر والراغبون تعتريهم الآفات المبطلة لاعمالهم القادحة فى اخلاصهم بسبب رغبتهم فى الدنيا فلا تقبل منهم فيقل الكثير من أعمالهم لوجود النقصان فيها وقد قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقد وصف الله تعالى ذكر المؤمنين بالكثرة لما تضمنه من وجود الاخلاص وعدم رياء الناس فقيل فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قيل يعنى خالصا فسمى الخالص كثيرا وهو ما أخلصت فيه النية لوجه الله العظيم ووصف ذكر المنافقين بالقلة لما اشتمل عليه من عدم الاخلاص ووجود رياء الناس فقال تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعنى غير خالص وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال ركعتان من زاهد عالم خير من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم فى الدنيا وعن بعض الصحابة أيضا قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر فى أمر الدنيا والآخرة أبلغ من الزهد فى الدنيا وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله تعالى عنه سألت معروفا الكرخى رضى الله تعالى عنه عن الطائعين لله باى شئ قدروا على الطاعة فقال باخراج الدنيا من قلوبهم ولو كان شئ منها فى قلوبهم ما صحت لهم سجدة وقال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله تعالى عنه شكا بعض الناس لرجل من الصالحين أنه يعمل أعمال البر ولا يجد حلاوة فى قلبه فقال لان عندك بنت ابليس وهى الدنيا ولا بد للاب ان يزور ابنته فى بيتها وهو قلبك ولا يؤثر دخوله الا فسادا وكان أبو محمد ابن سهل رضى الله تعالى عنه يقول يعطى الزاهد ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله قال ولا يرى فى القيامة أحد أفضل من ذى زهد عالم ورع

*(حسن الاعمال نتائج حسن الاحوال وحسن الاحوال من التحقق فى مقامات المنازل) حسن الاعمال توفيتها بما يجب لها من شروط وآداب عبودية لله تعالى فعلها وعدم اشتغاله بغيره من الوساوس الشيطانية (نتائج حسن الاحوال) القائمة بالقلوب من الزهد فى الدنيا والاخلاص لله بأن يقصد بعمله عبودية الله تعالى لا لاطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل (وحسن الاحوال) ناشئ (من التحقق) أى التمكن (فى مقامات المنازل) أى فى المقامات التى تنزل فى قلوب العارفين وهى معارف الهية يوردها الله تعالى على القلوب تكون سببا فى ترك الدعوى وعدم الالتفات الى جنة أو هرب من نار فان المريد اذا حصل له ذلك راقب مولاه بقلبه فلا يقصد بعمله غيره واذا حصل ذلك لا تخلص العمل مما يعوقه عن القبول وهذه الحكمة كالدليل لما قبلها لما كانت الخصال المحمودة لا تنشأ غالبا الا من كثرة الذكر والمداومة عليه ذكره بقوله

(لاتترك) أيها المريد (الذكر) بل لازمه وداوم عليه فانه أقرب الطرق الى الله تعالى وعلامة على وجود ولايته فمن وفق للذكر فقد أعطى منشور الولاية فلا تتركه (لعدم حضورك) أى حضور قلبك (مع الله فيه) أن كان مشتغلا بالوساوس الشيطانية والاغراض الدنيوية (لان غفلتك عن وجود ذكره) بأن تتركه (أشد من غفلتك) * (٥٩) * الحاصلة (فى وجود ذكره) لان ترك الذكر فيه بعد عن الله تعالى بالقلب واللسان بخلاف الذكر فانك ان بعدت عنه بقلبك فأنت قريب بلسانك فعليك أن تذكر الله به وان كان قلبك غافلا حال الذكر (فعسى أن يرفعك) أى يرقيك (من ذكر مع وجود غفلة) عن المولى (الى ذكر مع وجود يقظة) أى تيقظ لما يناسب حضرته سبحانه من الادب وعدم الاشتغال عنه بغيره (ومن ذكر مع وجود يقظه الى ذكر مع وجود حضور) بأن يدخل القلب حضرة الرب فيراقبه حال ذكره ولا يغفل عنه (ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور) وهو الله بأن يفنى حتى عن الذكر فيصير يخرج منه الذكر من غير قصد وحينئذ يكون الحق لسانه الذى ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التى يبطش بها وان سمع كان سمعه الذى يسمع به وهذه المعالم والمراقى لا يعرف حقيقتها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بشئ من ذلك فتهلك مع الهالكين ولما كان المريد ربما يستبعد الوصول الى ذلك نهاه بقوله (وماذلك على الله بعزيز) لانه قادر على كل شئ فعلى المريد القيام بالاسباب ومن الله الوصول ورفع الحجاب

لا لطلب حظ عاجل ولا ثواب آجل وحسن الاحوال ان تكون سالمة من العلل والدعاوى موسومة بسمة الصدق والتحقق فى مقامات الانزال هوارتواء القلب بما ينزله الحق تعالى فيه من مقامات العلوم والمعارف بحيث ينتفى عنه كل شك وريب هذه الثلاثة المذكورة مرتب بعضها على بعض وهو معنى ما يقوله الامام أبو حامد رضى الله تعالى عنه لابد فى كل مقام من مقامات اليقين من علم وحال وعمل فالعلم ينتج الحال والحال ينتج العمل وهذا الكلام الذى ذكره المؤلف رحمه الله تعالى نوع استدلال على ما قاله فى الزاهد والراغب (لاتترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظه الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وماذلك على الله بعزيز) الذكر أقرب الطرق الى الله تعالى وهو علم على وجود ولايته كما قيل الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل قال الشاعر

والذكر أعظم باب أنت داخله * لله فاجعل له الانفاس حراسا

قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه الذكر عنوان الولاية ومنار الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شئ وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر ومنشؤها عن الذكر وفضائل الذكر أكثر من أن تحصى ولو لم يرد فيه الا قوله تعالى فى كتابه العزيز فاذكرونى أذكركم وقوله عز وجل فيما رويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه وان تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا

وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة لكان فى ذلك اكتفاء وغنية وهذا الحديث متفق على صحته قالوا ومن خصائصه أنه غير مؤقت بوقت فما من وقت الا والعبد مطلوب به اما وجوبا واما ندبا بخلاف غيره من الطاعات قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله وأمرهم بذكره فى الاحوال كلها فقال عز من قائل فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا أى بالليل والنهار وفى البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر وفى الصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقال مجاهد رضى الله تعالى عنه الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون فينبغى للعبد أن يستكثر منه فى كل حالاته و يستغرق فيه جميع أوقاته ولا يغفل عنه وليس له أن يتركه لوجود غفلته فيه فان تركه له وغفلته عنه أشد من غفلته فيه فعليه أن يذكر الله تعالى بلسانه وان كان غافلا فيه فلعل ذكره مع وجود الغفلة يرفعه الى الذكر مع وجود اليقظة وهذا نعت العقلاء ولعل ذكره مع وجود اليقظة يرفعه الى الذكر مع وجود الحضور وهذه صفة العلماء ولعل ذكره مع وجود الحضور يرفعه الى الذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور وهى مرتبة العارفين المحققين من الاولياء قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت أى اذا نسيت ما دون الله عند ذلك تكون ذاكرا لله وفى هذا المقام ينقطع ذكر اللسان و يكون العبد محوا فى وجود العيان وفى هذا المعنى أنشدوا

ما ان ذكرتك الا هم يقلقنى * سرى وقلبى وروحى عند ذكراك
حتى كأن رقيبا منك يهتف بى * اياك و يحك والتذكارا اياك
أما ترى الحق قد لاحت شواهده * وواصل الكل من معناه معناك

وقال الواسطى مشيرا الى هذا المقام الذاكرون فى ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لان ذكره سواه وقال أبو العباس بن البناء فى كلام ذكره على مقدمة كتاب أبى العز تقى الدين بن المظفر الشافعى وهو كتاب الاسرار العقلية فى الكلمات النبوية ورأيت هذا الكلام بخطه رحمه الله ومن أحسن الذكر ما هاج عن خاطر وارد من المذكور رجل ذكره وهذا هو الذكر الخفى عند المتصوفة على الاستمرار والتمكن فى الاسرار وأما قولهم حتى يتمكن الذاكر الى حالة يستغرق بها عن الذكر فليس ذلك تمكن حلول ولا اتحاد بل حكمة وقدرة من عزيز حكيم و بيان ذلك أن يكون القلب عند الذكر فى الذكر فارغا من الكل فلا يبقى فيه غير الله جل

ذكره فيصير القلب بيت الحق ويمتلئ منه فيخرج الذكر من غير قصد ولا تدبير وحينئذ يكون الحق المبين لسانه الذي ينطق به فان بطش هذا الذاكر كان يده التي يبطش بها وان سمع كان سمعه الذي يسمع به قد استولى المذكور العلي على الفؤاد فامتلكه وعلى الجوارح فصرفها فيما يرضيه وعلى الصفات من هذا العبد فقلبها كيف شاء في مرضاته فلذلك يخرج الذكر من غير تكلف وتنبعث الاعمال بالطاعات نشاطا ولذة من غير كلال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد وصف الله قلب أم موسى عليه السلام بمعنى ذلك في قوله الحق وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أي فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى فكادت أن تبدى به من غير قصد منها لذكره ولا تدبير بل كان تركها التصريح بذكره صبرا اجباريا ربط الله على قلبها لتكون من المؤمنين بما أوحى اليها من قبل في شأن موسى وبأنه من المرسلين وبذلك يندفع الاشكال الذي ذكره أبو العز ووصفه بالعظم وهو اجتماع الضدين في بادي الرأي وهما الذكر والغفلة عن الذكر وهذه المعالم والمراقي لا يعرف حقائقها الا السالكون وجدانا والعلماء ايمانا وتصديقا فاياك والتكذيب بآيات الله فتكون من الصم البكم في الظلمات ولما كان المذكور لا يجوز عليه وصف الفقد والعدم ولا يمنعه حجاب ولا يحويه مكان ولا يشتمل عليه زمان ولا يجوز عليه الغيبة بوجه ولا يتصف بحوادث المحدثين ولا يجرى عليه صفات المخلوقين فهو حاضر عينا ومعنى وشاهد سرا ونجوى اذ هو القريب من كل شئ وأقرب الى الذاكر له من نفسه من حيث الايجاد له والعلم به والمشيئة فيه والقدرة والتدبير له والقيام عليه خلق الخليقة فلا تلحقه أوصافها وأوجد الاعداد فلا تحصره معانيها سبحانه هو العلي الكبير انتهى كلام الشيخ أبي العباس رحمه الله في معنى المقام الثالث من مقامات الذكر وهو في غاية الحسن والتحقيق مشيرا الى توحيد الخواص من أهل هذا الطريق فلا ينبغي أن يستبعد العبد الوصول الى هذا المقام الكريم فليس ذلك بعزيز على الفتاح العليم فعلى العبد القيام بحق الاسباب ومن الله تعالى رفع الحجاب وقال رضي الله عنه

✲ من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات ✲

القلب اذا كان حيا بالايمان حزن على ما فاته من الطاعات وندم على ما فعله من الزلات ومقتضى هذا وجود الفرح بما يستعمل فيه من الطاعات ويوفق له من اجتناب المعاصي والسيئات وقد جاء في الخبر من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن فان لم يكن العبد بهذا الوصف وعدم الحزن على ما فاته والندم على ما أتاه فهو ميت القلب وانما كان ذلك من قبل أن أعمال العبد الحسنة والسيئة علامات على وجود رضا الله تعالى عن العبد وسخطه عليه فاذا وفق الله

(من علامات موت القلب) أي قلب المريد (عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات) أي الطاعات (وترك الندم على ما فعلت من وجود الزلات) أي من الزلات التي توجد منك وعلامة حياته بالانوار الالهية وان لم تدركها لغلظ حجابك وحزنك على ما فاتك من الطاعات وندمك على ما فعلت من الزلات فتفرح بصدور الاعمال منك فرحا شديدا وتغتم على صدور المخالفات وذلك دليل على أنك من أهل الارادة المحبوبين لله فجد في السير ولا تكسل

تعالى عبده للصالحات سره ذلك لانه علامة على رضاه عنه وغلب حينئذ رجاؤه واذا خذله ولم يعصمه فعمل بالمعاصي ساءه ذلك وأحزنه لانه علامة على سخطه عليه وغلب حينئذ خوفه والرجاء يبعث على الاجتهاد في الطاعات وليس من مقتضاه تركها وعدم الحزن على ما فاته منها أمنا واغترارا والخوف يبعث على المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات وليس من مقتضاه فعلها وترك الندم عليها يأسا وقنوطا وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه آت فلما حاذانا ورأى جماعتنا أناخ راحلته ثم مشى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أوضعت راحلتي من مسيرة تسع فسيرتها البارحة ستا وأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وأنضيت راحلتي لأسألك عن اثنتين أسهرتاني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنت قال زيد الخيل قال بل أنت زيد الخير سل فرب معضلة قد سئلت عنها قال جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بخ بخ كيف أصبحت يازيد قال أصبحت أحب الخير وأهله وأحب أن يعمل به واذا فاتني حننت اليه واذا عملت عملا قل أو كثر أيقنت بثوابه قال هي هي بعينها يازيد ولو أرادك الله للأخرى هيأك لها ثم لا يبالي في أي واد هلكت فقال زيد حسبي حسبي ثم ارتحل ولم يثبت

﴿لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه﴾ عظمة الذنب عند مرتكبه على وجهين أحدهما أن يعظم عنده عظمة تحمله على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على أن لا يعود الى مثله فهذه عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطاره ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى والثاني أن يعظم عنده عظمة توقعه في اليأس والقنوط وتؤديه الى سوء الظن بالله تعالى فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليه من ذنوبه وسبب ذلك جهله بصفات مولاه المحسن الجواد الكريم ووقوفه مع نفسه وقياسه بعقله وحدسه ولو كان عارفا بالله حق المعرفة لاستحقر ذنوبه في جنب كرمه وفضله فأي قدر للعبد أو قيمة حتى يقع في ذنب لا يسعه عفو ربه ويكبر عليه أن يغفره قال في التنوير واعلم أنه لا بد في مملكته من عباد هم نصب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة وفهم قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم وقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي

لأهل

فهذه عظمة مذمومة قادحة في الايمان وهي شر عليك من ذنوبك وسببها جهلك بصفات مولاك ووقوفك مع نفسك (فانه من عرف ربه) معرفة حقيقية (استصغر في جنب كرمه ذنبه) فاى ذنب لا يسعه عفوه سبحانه أما عظمة الذنب التى تحمل مرتكبه على التوبة منه والاقلاع عنه وصدق العزم على أن لا يعود إلى مثله فهى عظمة محمودة وهي من علامات ايمان العبد قال ابن مسعود ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها في أصل جبل يخاف أن يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطاره ويقال إن الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله

(لاصغيرة) من ذنوبك بل كلها كبائر (اذا قابلك عدله) وهو تصرفه فى ملكه من غير حجر عليه فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه الله تعالى ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر (ولا كبيرة اذا واجهك فضله) وهو اعطاء الشئ بغير عوض بل جميع ذنوبك حينئذ صغائر فاذا ظهرت صفة الفضل لمن أحبه اضمحلت سيئاته ورجعت كبائره صغائر ولذا قال الشاذلى قدس الله سره واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت (لاعمل أرجى للقبول) أى لقبول الله له (من عمل يغيب عنك شهوده) بان تشهد أن الذى وفقك له هو الله تعالى ولولاه ماصدر منك ذلك العمل

لاهل الكبائر من أمتى وجاء رجل الى الاستاذ أبى الحسن قدس الله سره العزيز فقال ياسيدى كان البارحة بحوارنا من المنكرات كيت وكيت وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا فقال ياهذا كأنك تريد أن لا يعصى الله تعالى فى مملكته من أحب أن لا يعصى الله تعالى فى مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته وأن لا تكون شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم له وكم من مذنب كثرت اساءته ومخالفته وجبت له الرحمة من ربه فكان له راحما وبقدر ايمانه وان عصى عالما اه فلا ينبغى للعبد أن يستعظم ذنبه استعظاما يؤديه الى أن يلقى بيديه اياسا من روحه وقنوطا من رحمته وسوء ظن به بل عليه أن يتوب الى ربه منه ويرجع اليه عنه ويعلم حكمة الله تعالى فى تسليطه عليه وتخليته بينه وبينه وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الذنب خير للمؤمن من العجب ماخلى الله تعالى بين مؤمن وبين ذنب أبدا فتبهك بهذا على أن الذنب مانع من وجود العجب الذى هو أعظم حجاب بين العبد وبين مولاه لان صاحبه ناظر الى نفسه لا الى ربه مستعظم لطاعته وعبادته ملاحظ لذلك ومساكن له بخلاف ذلك الذنب لانه يوجب له الخوف والحذر واللجأ الى الله تعالى والفرار اليه من نفسه والعجب يصرف العبد عن الله تعالى والذنب يصرفه اليه والعجب يقبل به على نفسه والذنب يقبل به على ربه والعجب يؤديه الى الاستغناء والذنب يؤديه الى الافتقار وأحب أوصاف العبد الى الله عز وجل افتقاره الى مولاه وأشرف أحوال المؤمن مايردّه اليه ويقبل به عليه (لاصغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجهك فضله) اذا ظهرت الصفات العلية بطلت أعمال العاملين فاذا ظهرت صفة العدل على من أبغضه ومقته بطلت حسناته وعادت صغائره كبائر واذا ظهر وصف الكرم والفضل لمن أحبه اضمحلت سيآته ورجعت كبائره صغائر قال يحيى بن معاذ رضى الله تعالى عنه ان وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة وان نالهم فضله لم تبق لهم سيئة ومن دعائه رضى الله تعالى عنه الهى ان أحببتنى غفرت سيآتى وان مقتنى لم تقبل حسناتى وما أحسن قول سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه فى دعائه ومناجاته واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لا ينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك وسيأتى من مناجات المؤلف رحمه الله فى مثل هذا المعنى قوله الهى كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل أقالنى منها فضلك

(لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده)

(ويحتقر عندك وجوده) بان لا تعتد عليه فى تحصيل أمر من الامور كالوصول الى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات لرؤيتك التقصير فيه وعدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله وفى بعض النسخ أرجى للقلوب أى لصلاحها

To: www.al-mostafa.com

في النسخ الموجودة بايدينا لا عمل أرجى للقلوب ومعناه على هذا الوجه أن العمل الموصوف بهذه الصفة لا يلتفت اليه القلب ولا يعتبره وفي عدم التفاته واعتباره صلاحه وتحرره من رق رؤيته فيبقى حينئذ مع ربه لا مع عمله ويكون ذلك على حذف مضاف تقديره لا عمل أرجى لصلاح القلوب أو مافي معناه وسيأتي من كلام المؤلف ما يناسب هذا المعنى وهو قوله قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم الى آخره والغالب على الظن أن الذي قصده المؤلف رحمه الله وذكره انما هو لفظ القبول فغلط الناسخ فقلب حروفه ولا يحتاج في هذا الى حذف وتقريره على هذا الوجه أن تقول سلامة العمل من الآفات شرط في قبوله لان صاحبه متق لله تعالى وقد قال عز من قائل انما يتقبل الله من المتقين وانما يسلم العمل من الآفات باتهام النفس في القيام بحقه ورؤية تقصيره فيه فيغيب عنه اذ ذاك شهوده و يحتقر عنده وجوده فلا يساكنه ولا يعتمد عليه فان لم يكن على هذا الوصف بل كان ناظرا اليه ومستعظما له غائبا عن شهود منة الله تعالى عليه في توفيقه له أوقعه ذلك في العجب فحبط لذلك عمله وخاب سعيه قال أبو سليمان رضي الله تعالى عنه ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته وقال علي بن الحسين رضي الله تعالى عنه كل شئ من أفعالك اذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل منك لان القبول مرفوع مغيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول وقد سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك اياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل أن لا يبقى عندك منه شئ فانه اذا بقي في نظرك منه شئ لم يرتفع اليه لبينونة بين عنديتك وعنديته فينبغي للعبد اذا عمل عملا أن يكون عنده نسيا منسيا بما ذكرناه من اتهام النفس ورؤية التقصير حتى يحصل له قبوله (انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا) الوارد عبارة عما يرد على القلب من المعارف الربانية واللطائف الروحانية ليطهره بذلك ويزكيه حتى يصلح بذلك للورود عليه والدخول الى حضرته لان الحضرة منزهة عن كل قلب متكدر بالآثار متلوث باقذار الاغيار فاذا انما أورده عليك لتكون به عليه واردا (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار وليحررك من رق الآثار) الآثار والاغيار غاصبة ومسترقة لك وذلك لوجود حبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها فانما أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد من غصبك وليحررك من ملكية من استرقك والاشارة الى هذا المعنى بما ضرب الله تعالى من المثل للكافر في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا فمن سلم من يد الاغيار وحرر من رق الآثار لا يكون

العلوم الوهبية والانوار العرفانية التي ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه فيرى الحق حقا والباطل باطلا ويطلق على تحل المعنى يرد على القلب وان لم يشعر به العبد لغلظ بشريته وقد يعبر عنه بالحال وهذا هو المراد هنا (لتكون به عليه واردا) أي مقبلا على الدخول في حضرته ومعلوم أن الدخول في تلك الحضرة لا يكون الا لقلب خالص عما يكدره ولذا قال (أورد عليك الوارد ليتسلمك من يد الاغيار ويحررك من رق الآثار) الاغيار والآثار هي الاغراض الدنيوية وشهوات النفوس فهي غاصبة لك لحبك لها وسكونك اليها واعتمادك عليها

فاورد عليك الوارد ليستلمك من يد من غصبك وتحررت من علائقه من اسرها [illegible]
فيك نصيب ولا شركة وتكون سالما لله عز وجل فتصلح للحضور معه ولذا قال (أورد عليك الوارد
ليخرجك من سجن وجودك) أي صفاتك القائمة بك المانعة لك من شهود مولاك كالسجن المانع
للمسجون من الخروج (الى فضاء شهودك) أي لشهودك للمولى الشبيه بالفضاء لعدم وجود شيء
يحولك عن الرؤية قال بعضهم سجنك نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد ومقتضى هذا
التقرير أن الوارد واحد وغرته واحدة وهي الدخول في حضرة الرب ويصح أن يكون المعنى أورد
عليك الوارد لتكون به عليه واردا أي مقبلا عليه بالاشتغال بالطاعات وأنواع المجاهدات فتشتغل
بذلك مع قيامك بأوصاف نفسك وشهواتها المقتضية عدم الاخلاص في العبادة

فيرد عليك وارد آخر ليخلصك من ذلك ويحصل لك الاخلاص فاذا حصل لك ربما تركن اليه وتعتمد عليه في قبول أعمالك ووصولك بها الى حضرة قربه وذلك باطل فيرد عليك
ه عبا ل وارد ثالث تغيب به عن رؤية نفسك وتشاهد به مولاك بسرك

للمخلوق فيه نصيب ولا شركة وكان سالما لله عز وجل (أورد عليك الوارد
ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك) سجن وجوده هو شهوده لنفسه
ومراعاته لحظه وفضاء شهوده أن يغيب عن ذلك بشهود عظمة الله تعالى وجلاله
ورؤية قيام حركاته وسكناته قال أبو القاسم النصراباذي رضي الله تعالى عنه سجنك
نفسك اذا خرجت منها وقعت في راحة الابد وسيأتي من كلام المؤلف في معنى قوله
سجن وجودك الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته
ومحصور في هيكل ذاته (الانوار مطايا القلوب والاسرار) أنوار الايمان واليقين
مطايا حاملة الاسرار والقلوب الى حضرة علام الغيوب وتلك هي الواردات
المذكورات (النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فاذا أراد الله أن ينصر
عبده أمده بجنود الانوار وقطع عنه مدد الظلم والاغيار) نور التوحيد واليقين

ثم قال (الانوار) الالهية التي ترد على قلب المريد من حضرة الرب وتحصل غالبا من الاذكار والرياضات
(مطايا القلوب) توصلها الى مطلوبها التي هي متوجهة له وهو دخولها حضرة الرب والقرب منه
كتوصيل المطية راكبها الى مطلوبه (والاسرار) أي ومطايا الاسرار أيضا جمع سر وهو باطن
القلب عند الصوفية ولا التفات لمن جعله عين القلب لانه خلاف اصطلاحهم (النور جند القلب)
أي يتوصل به الى ما يقصده ويتوجه اليه وهو حضرة الرب كما يتوصل الامير بجنده الى ما يقصده
من غلبة عدوه وهذا مستفاد مما قبله وانما أتى به توطئة لقوله (كما أن الظلمة) وهي طبيعة العبد
(جند النفس) تتوصل بها الى مقصودها وهو الشهوات والاغراض العاجلة ومازال الحرب واقعا
بين القلب والنفس (فاذا أراد الله أن ينصر عبده) أي يعينه على نفسه وقمع شهواتها (أمده) أي أمد
قلبه (بجنود الانوار) أي بجنود هي الانوار أو بالانوار الشبيهة بالجنود فانها اذا حصلت له أدرك بها
قبح الشهوات العائقة عن الوصول الى الله تعالى (وقطع عنه مدد الظلم والاغيار) أي مددا هو الظلم
والاغيار وهما بمعنى واحد واذا أراد خذلانه فعلى العكس من ذلك فاذا مال القلب الى عمل صالح
كصوم غد ومالت النفس الى شهوة كافطر وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من الله تعالى
ورحمته الى نصرة القلب والظلمة الى نصرة النفس وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين
لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله وتوكله عليه وهكذا في كل عمل صالح الى أن يصل الى الله تعالى
فينقطع حينئذ حكم النفس وتصير مقهورة مغلوبة ثم قال

(النور) الذي يفيضه الله على قلب المريد (له الكشف) أي كشف المعاني والمغيبات كحسن الطاعة وقبح المعصية (والبصيرة) التي هي ناظر القلب (لها الحكم) أي ادراك ذلك ومشاهدته فكما لا يمكن ادراك البصر للمحسوسات الا بالانوار الظاهرية كسراج وشمس لا يمكن ادراك البصيرة لشئ من المعاني الا بالانوار الباطنية (والقلب له الاقبال والادبار) على ما كشف للبصيرة فاذا كشف لها عن حسن الطاعة وقبح المعصية أقبل القلب على الطاعة وأحبها فتتبعه الجوارح وأدبر عن المعصية فلا تتلبس بها الجوارح هذا ويحتمل أن المعنى أن النور له الكشف عن المغيبات كاسرار القدر وأنه يحصل في العالم كذا والبصيرة لها الحكم أي ادراك ذلك ثم هذا الكشف والادراك قد لا يكونان تامين فينبغي للكاشف أن يتثبت في كشفه ولا يعمل بمقتضى ما كشف له فلا يخبر بشئ حتى يستفتي قلبه اما أن يقبل واما أن يدبر ولذا تجد بعض الاولياء يخبر عن أمور لا تقع وذلك لعدم تثبته في كشفه (لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك) أي من حيث صدورها عنك باختيارك وحولك وقوتك فهذا الفرح مذموم منهي عنه محبط لها (و) لكن (افرح بها لانها برزت من الله اليك) أي من حيث شهودها من الله نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود المطلوب من العبد وهو ومقتضى شكرها ثم استدل على ذلك بقوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) فايصال تلك الطاعة اليه واظهارها على يده اعتناء من الله سبحانه وتعالى به فينبغي أن يفرح بها من تلك الحيثية لا من حيثية صدورها منه وفعله لها

وظلمة الشرك والشك جندان للقلب والنفس والحرب بينهما سجال فاذا أراد الله نصرة عبده أمد قلبه بجنوده وقطع عن نفسه مدد جنودها واذا أراد خذلان عبده فعلى العكس فاذا مال القلب الى العمل بأمر محمود مؤلم في الحال ملتذ به في المآل ومالت النفس الى العمل بامر مذموم ملتذ به في الحال مؤلم في المآل وتنازعا وتقاتلا سارع النور الذي هو من أمر الله تعالى ورحمته الى نصرة القلب وبادرت الظلمة التي هي من وساوس الشيطان ولمته الى نصرة النفس وقام صف القتال بينهما فان سبقت للعبد من الله تعالى سابقة السعادة اهتدى القلب بنور الله تعالى واستهان بالعاجلة ورغب في الآجلة وعمل القلب بما مال اليه وان آلمه في الحال لما يرجوه من التنعم به في المآل وان سبقت له من الله الشقاوة والعياذ بالله ذهل القلب عن النور وأعمته الظلمة عن منفعة الآجل واغتر بلذة العاجل وعمل بما مالت اليه نفسه وان آلمه في المآل لما يحصل لها من لذة الحال وعند التقاء الصفين والتحام القتال بين الجندين لا سبيل للعبد الا فزعه الى الله تعالى ولياذه به وكثرة ذكره وصدق توكله عليه واستعاذته من الشيطان الرجيم وهذه العبارات الخمس من قوله انما أورد عليك الوارد لتكون به عليه واردا الى هنا تفنن فيها صاحب الكتاب وكررها بالفاظ مختلفة والمعاني فيها متقاربة وهذه عادته في مواضع كثيرة من هذا الكتاب رضي الله تعالى عنه (النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار) هذه ألفاظ مختلفة لمعان متغايرة فالنور يفيد كشف المعاني المغيبات حتى تتضح وتشاهد والبصيرة التي هي ناظر القلب تفيد الحكم وهو صحة ما شاهدته والقلب له الاقبال عملا بمقتضى ما شاهدته البصيرة وله أيضا الادبار تركا للعمل بمقتضى ما شاهدته البصيرة (لا تفرحك الطاعة لانها برزت منك وافرح بها لانها برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)

(قطع) أى حجب ومنع (السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم) الظاهرية (وشهود أحوالهم) القلبية لكن السبب فى انقطاع الطائفتين عن ذلك مختلف (أما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها) وذلك لرؤيتهم نقصها بعدم حضور قلوبهم مع الله حال فعلها فهم دائما متهمون نفوسهم فى توفية أعمالهم حقها وفى صفاء أحوال قلوبهم فكان ذلك سببا فى البراءة من رؤيتها وشهودها (وأما الواصلون فلانه *(٦٧)* غيبهم بشهوده عنها) أى انهم نسبوها

الفرح بالطاعة على وجهين فرح بها من حيث شهودها من الله تعالى نعمة منه وفضلا فهذا هو الفرح المحمود وهو الذى طلب من العبد وذلك هو مقتضى شكرها وفرح بها من حيث ظهورها من العبد باختياره وارادته وحوله وقوته فهذا هو فرح مذموم منهى عنه وهو كفران النعمة وهو من العجب المحبط للعمل فالفرح بها على هذا الوجه فرح بلاشئ وسيأتى فى آخر الكتاب أنواع الفرح النعم ومايحمد منها ومايذم تامة مستوفاة (قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرون فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون فلأنه غيبهم بشهوده عنها) لقد أسبغ الله نعمته على الفريقين حيث فعل معهم ذلك لانه أبقاهم معه ولم يدعهم لسواه فالواصلون فعل ذلك بهم طوعا منهم والسالكون فعل ذلك بهم كرها ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها فالواصلون قطعهم عن ذلك لشهودهم له فى حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره اذ محال أن يراه ويشهد معه سواه والسالكون قطعهم عن ذلك عدم تحققهم بالصدق والبراءة من الدعوى فهم أبدا متهمون لانفسهم فى توفية أعمالهم وتصفية أحوالهم قال النهرجورى رضى الله تعالى عنه من علامات من تولاه الله فى أحواله أن يشهد التقصير فى اخلاصه والغفلة فى أذكاره والنقصان فى صدقه والفتور فى مجاهداته وقلة المراعاة فى فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد فقرا الى الله فى قصده وسيره حتى يفنى عن كل مادونه وقال أبو عمرو اسماعيل ابن نجيد رضى الله تعالى عنه لايصفو لاحد قدم فى العبودية حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء وأحواله كلها عنده دعاوى وقال أبو يزيد رضى الله تعالى عنه لو صفت لى تهليلة واحدة مابالیت بعدها بشئ والى هذين المقامين تشير الحكاية التى تروى عن الواسطى رضى الله تعالى عنه وذلك انه لما دخل نيسابور سأل أصحاب أبى عثمان رضى الله تعالى عنه بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشئها قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه وانما أراد الواسطى بهذا صيانتهم عن محل الاعجاب لا تعريجا فى أوطان التقصير أو تجويزا

اليه تبرئا من حولهم وقوتهم فقطعهم عن ذلك شهودهم له فى حضرة قربه ومن شاهده لم يشهد معه غيره وقد أسبغ الله النعمة على الفريقين حيث عافاهم من التعلق باعمالهم وأحوالهم الا أنه فعل ذلك بالسالكين كرها وبالواصلين طوعا ولاشك أن هذا المقام أرقى من الاول ولهذا لما سأل الواسطى أصحاب أبى عثمان بماذا كان يأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالتزام الطاعات ورؤية التقصير فيها قال لهم أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها بشهود مجريها ومنشئها يريد بذلك ترقى همتهم الى مقام العرفان لا تحقير ماهم عليه فانه من الاحسان

(مابسقت) يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت أى ماطالت (أغصان ذل الاعلى بذر طمع) شبه الذل بشجرة ذات أغصان وفروع استعارة بالكناية والاغصان تخييل باق على حقيقته أو مستعار لانواع الذل وبسقت ترشيح باق على حقيقته أو بمعنى وجدت وحصلت وشبه الطمع بالنواة التى تنشأ منها الشجرة فاضافة بذر له من اضافة المشبه به للمشبه أى طمع شبيه بالبذر أى المبذور الذى تنشأ منه الشجرة ذات الاغصان فكانه يقول لاتغرس بذر الطمع فى قلبك فتخرج منه شجرة الذل وتتشعب أغصانها وفروعها ولو قال مابسقت شجرة الذل لكان أولى لان الذى يتصف بالطول وينشأ من البذر هو اصل الشجرة ووصف الاغصان بذلك بطريق التبع فالطمع من أعظم العيوب القادحة فى العبودية بل هو أصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والمهانة مالا مزيد عليه ولذا قال بعضهم لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك فى المقدور لو قيل ماحرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ماغايتك قال الحرمان فالطامع لامحالة فاسد الدين ولذا دخل على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه جامع البصرة فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصرى فقال يافتى انى سائلك عن أمر فان أجبتنى فيه ابقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت قال ماملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس والورع الذى يقابل الطمع هو ورع الخاصة وهو صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وطمأنينة القلب به لا ورع العامة وهو ترك الشبهات وعلى هذا فيقال قياسا على ماقاله المصنف مابسقت أغصان عز الاعلى بذر ورع

الاخلال بأدب من الآداب وقال رضى الله تعالى عنه (مابسقت أغصان ذل الاعلى بذر طمع) البسوق الطول يقال بسقت النخلة بسوقا اذا طالت قال الله تعالى والنخل باسقات والاغصان جمع غصن وهو ما تشعب عن ساق الشجر ويجمع أيضا على غصون والبذر الحب الذى يزرع وهذه كلها استعارات مليحة والطمع من أعظم آفات النفوس وعيوبها القادحة فى عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات لانه محض تعلق بالناس والتجاء اليهم واعتماد عليهم وعبودية لهم وفى ذلك من المذلة والمهانة مالا مزيد عليه ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه والطمع مضاد لحقيقة الايمان الذى يقتضى وجود العزة والعزة التى اتصف بها المؤمنون انما تكون برفع هممهم الى مولاه وطمأنينة قلوبهم اليه وثقتهم به دون من سواه فهذه هى العزة التى منحها الله عبده المؤمن قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وكما أن العزة من صفات المؤمنين كذلك المذلة من أخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين قال أبو بكر الوراق الحكيم رضى الله تعالى عنه لو قيل للطمع من أبوك قال الشك فى المقدور ولو قيل له ماحرفتك قال اكتساب الذل ولو قيل ماغايتك قال الحرمان وقال أبو الحسن الوراق النيسابورى رضى الله تعالى عنه من أشعر فى نفسه محبة شئ من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع فى شئ ذل وبذله هلك وقد قيل فى ذلك (مفرد)

أتطمع فى ليلى وتعلم أنما * تقطع أعناق الرجال المطامع

فالطامع لامحالة فاسد الدين مفلس من أنوار اليقين قال فى التنوير وتفقد وجود الورع

الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه وتطهر من الطمع في الخلق فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره الا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم قال وقدم على ابن أبي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء الى الحسن البصري رضي الله عنه فقال يا فتى اني سائلك عن أمر فان أجبتني عنه أبقيتك والا أقتلك كما أقمت أصحابك وكان قد رأى عليه سمتا وهديا فقال الحسن سل عما شئت قال ما ملاك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس قال وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول كنت في ابتداء امري بثغر الاسكندرية جئت الى بعض من يعرفني فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي لعله لا يأخذه مني فهتف بي هاتف السلامة في الدين بترك الطمع في المخلوقين قال وسمعته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبدا ألا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال بعد هذا فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذل لهم فقد سبقت قسمته وجودك وتقدم ثبوته ظهورك واسمع مقاله بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لما ضغيك أن يضغاه فلا بد أن يضغاه فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل قلت تقدم الآن من كلامه في التنوير ذكر الورع في مقابلة الطمع وكذلك في جواب الحسن لعلي رضي الله عنهما لما سأله مستخبرا له عن صلاح الدين وفساده في الكلام الذي حكاه عنهما ولا شك ان الورع الظاهر لعامة الناس وهو ترك الشبهات والتحرج من اقتحام المشكلات لا يقابل الطمع كل المقابلة وقد ذكرنا الطمع ما هو وانما يقابله ورع الخاصة وهو عندهم صحة اليقين وكمال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهمم عليه وطمأنينة القلب به ولا يكون له ركون الى غيره ولا انتساب الى خلق ولا كون فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد كما نبه عليه الحسن رضي الله عنه في جوابه المذكور قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر أن لا يتحرك الا لله وورع في الباطن وهو أن لا يدخل قلبك الا الله ذكر ان بعضهم كان حريصا على أن يرى أحدا ممن هذه صفته فجعل يجتهد في طلبه ويحتال على التوصل اليه بان يأخذ الشئ بعد الشئ من ماله ويقصد به الفقراء والمساكين ويقول لمن يعطيه منهم حين المناولة خذ لالك فكانوا يأخذون ولا يسمع من أحد منهم جوابا مطابقا لما أراده بكلامه الى أن ظفر ذات يوم بغيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك انه قال لاحدهم خذ لالك فقال له آخذه لامنك فان كان للعبد استشراف الى خلق أو بقية نظر اليهم قبل مجيء الرزق أو بعده فمقتضى هذا الورع والواجب في حق الادب ان لا يذيل نفسه شيأ مما يأتيه على هذه الحال عقوبة لنفسه في نظره الى ابناء

جنسه كقصة أيوب الجمال مع أحمد بن حنبل رضى الله عنهما وهى معروفة وكما روى
عن الشيخ أبى مدين رضى الله عنه انه اتاه جمال بقمح فنازعته نفسه وقالت له
ياترى من أين هذا فقال لها أنا أعرف من أين هو ياعدوة الله وأمر بعض أصحابه أن
يدفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل
أحل الحلال مالم يخطر لك على بال ولا سألت فيه أحدا من النساء والرجال وقد
صرح بهذا المعنى الذى ذكرناه وأوضح الغرض الذى قصدناه شيخ الطريقة وامام
أهل الحقيقة من المتأخرين أبو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه فانه قال اعلم
ان الورع أن لا يكون بينك وبين الخلق نسبة فى أخذ أو عطاء أو قبول أورد وأن
يكون السبق لله تعالى وهو أن يأتى اليه طاهرا من جميع الاشياء والعلم والعمل كما
قال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقال أيضا الورع أن لا يخطر الرزق
بالبال ولا يكون بينه وبينه نسبة لا فى التحصيل ولا عند المباشرة لانه لا يدرى
أيأكله أم لا وقال أيضا الورع أن لا تتحرك ولا تسكن الا وترى الله فى الحركة
والسكون فاذا رأى الله ذهبت الحركة والسكون وبقى مع الله فالحركة ظرف لما
فيها كما قال بعضهم مارأيت شيأ الا رأيت الله فيه فاذا رأى الله ذهبت الاشياء
وقال أيضا أجمع العلماء على أن الحلال المطلق ما أخذ من يد الله بسقوط الوسائط
وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذى لا يعصى الله فيه الى غير هذا
من العبارات التى عبر بها فى هذا المعنى وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم
يأكلون أرزاقهم ثم يفترقون فى المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من
يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بعز بلا
مهنة ولا انتظار ولا ذلة فأما الذين يأكلون أرزاقهم بذل فالسؤال يشهدون أيدى
الخلق فيذلون لهم وأما الذين يأكلون أرزاقهم بامتهان فالصناع يأكل أحدهم
رزقه بمهنة وكد وأما الذين يأكلون أرزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر أحدهم
نفاق سلعته فهو متعذب القلب معذب بانتظاره وأما الذين يأكلون أرزاقهم
بعز من غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون
قسمتهم من يده بعزة قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ليس مع الايمان
أسباب انما الاسباب فى الاسلام قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه معناه ليس
فى حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها انما رؤيتها والطمع فى الخلق
يوجد فى مقام الاسلام وقد عقد المؤلف رحمه الله تعالى فى لطائف المنن فصلا فى هذا
المعنى وجعله لجميع وظائف الآداب الدينية اصلا ومبنى فرأينا نقله فى هذا الموضع
من صواب العمل المتكفل ان شاء الله بنجاح الامل قال رضى الله عنه اعلم رحمك الله
ان ورع الخصوص لا يفهمه الا قليل فان من جملة ورعهم تورعهم عن أن يسكنوا

لغيره

لغيره أو يميلوا بالحب لغيره أو تمتد اطماعهم في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع الوسايط والاسباب وخلع الانداد والارباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتماد على الطاعات والسكون الى أنوار التجليات ومن ورعهم ورعهم عن أن تقتنهم الدنيا وترفعهم الآخرة تورعوا عن الدنيا رفعا وعن الوقوف مع الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير واذا أنا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاهها ورفعتها ومراكبها وملابسها وزيناتها ومشتهياتها فأعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها وثمارها فلم أشتغل بها فقيل لي يا عثمان لو وقفت مع الاولى لحجبناك عن الثانية ولو وقفت مع الثانية لحجبناك عنا فها نحن لك وقسطك من الدارين يأتيك وقال الشيخ عبد الرحمن المغربي وكان مقيما بشرقي الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع الى الاسكندرية فاذا على يقول لي انك في العام القابل عندنا فقلت في نفسي اذا كنت العام القابل ههنا فلا أعود الى الاسكندرية فخطر لي الذهاب الى اليمن فأتيت الى عدن فأقمت يوما على ساحلها واذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومتاجرهم ثم نظرت فاذا رجل فرش سجادته على البحر ومشى على الماء فقلت في نفسي لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فاذا على يقول لي من لم يصلح للدنيا ولا للآخرة يصلح لنا وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه الورع نعم الطريق لمن عجل ميراثه وأجل ثوابه وقد انتهى بهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون هجم بهم العلم على حقيقة الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا فيما هو أدنى وأما أدنى الأدنى فالله يورعهم عنه تورعا لورعهم مع الحفظ لمنازلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعلمه وعمله ميزان فهو محسوب بدنيا أو مصروف بدعوى وميراثه التعزز لخلقه والاستكبار على مثله والدلة على الله بعمله فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم من ذلك والاكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله احتقارا لنفسه وافتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ بالله انه هو السميع العليم قال فانظر فهمك الله سبيل أوليائه ومن عليك بمتابعة أحبائه هذا الورع الذي ذكره الشيخ رضي الله عنه هل كان يصل فهمك الى مثل هذا النوع من الورع الاترى

(ما قادك شيء مثل الوهم) يعني ان الوهم هو السبب في الطمع في الناس وذلك كاف في وجهه لان الوهم الذي هو أصله أمر عدمي اذ هو عبارة عن التخيل والحسبان التقديري لكن النفوس منقادة له أتم من انقيادها الى العقل الا ترى * (٧٢) * ان الطبع ينفر من الحية لتوهمه الضرر فيها بل من الحبل الابرقش لكونه على صورتها ولو انقادت للعقل لم تنفر لان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن فلا يسلم من طمع في الخلق والرغبة فيما بأيديهم الا أهل الورع الخاص وهم أهل القناعة والتوكل الذين سقط من قلوبهم علاقات الخلق فلا يهتمون للرزق (أنت حر مما أنت عنه آيس) أي من كل ما أنت آيس منه (وعبد لما أنت له طامع) أي لكل ما أنت طامع فيه فعن بمعنى من ولام له بمعنى في وهذا دليل آخر لقبح الطمع ومدح الاياس من الخلق والقناعة بالرزق المقسوم وبيانه ان الطمع في الشيء عبودية له كما ان اليأس من الشيء حرية منه لانه يدل على فراغ القلب منه وغناه عنه فالطامع عبد واليائس حر ولذلك قيل العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع بشرط والقناعة هي السكون عند عدم المألوفات وهي أول الزهد

قوله قد انتهى بهم الورع الى لا اخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة لفائقة فهذا هو ورع الابدال والصديقين لا ورع المنقطعين الذي نشأ عن سوء الظن وغاية الوهم انتهى وانما أوردنا هذه المعاني ههنا تتميما للفائدة المتعلقة بكلام صاحب التنوير من كون الورع مقابلا للطمع وسيأتي مزيد بيان فيها في موضع أنسب من هذا عند قوله لا تمدن يدك الى الاخذ من الخلائق الى آخره فانظره فيه (ما قادك شيء مثل الوهم) الوهم أمر عدمي وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها الى الامور الوهمية الباطلة أشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة بينهما والطمع في الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم طمع في غير مطمع وأرباب الحقائق بمعزل عن هذا فلا تتعلق هممهم الا بالله ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به قد سقط اعتبار الاوهام والخيالات التي هي متعلقة بالاغيار عن قلوبهم فزال عنهم الطمع فاتصفوا بصفة القناعة والورع فكانت لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية والقناعة مقام عظيم من مقامات اليقين وهي من بدايات أحوال الراضين قال بعض العارفين لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء الى باب منزله جميع ما رغب فيه أهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في معنى قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة قال هي القناعة (أنت حر مما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع) الطمع في الشيء دليل على الحب له وفرط الاحتياج الى دليله وذلك عبودية له كما ان اليأس من الشيء دليل على فراغ القلب منه وغناه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد واليائس حر ولهذا قيل

العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع
فاقنع ولا تطمع فما * شيء يشين سوى الطمع

وقيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شيء لا خطر له وقيل ان العقاب يطير في فضاء عزه بحيث لا يرتقي طرف الى مطاره ولا تسمو همة الى الوصول اليه فيرى قطعة لحم معلقة على شبكة فينزله الطمع من مطاره فيعلق بالشبكة جناحه فيصيده صبي يلعب به وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه كان قاعدا فسئل عمن تابع الشهوات كيف صفته وكان بقربه صبيان مع أحدهما خبز بلا أدم ومع الآخر خبز مع كامخ فقال الذي لم يكن معه كامخ لصاحبه أطعمني من الكامخ فقال له

بشرط أن تكون كلبي فقال نعم فجعل في رقبته خيطا وجعل يجره كما يقاد الكلب فقال فتح للسائل أما انه لو رضي بخبزه ولم يطمع في كامخ صاحبه لم يصر كلبا لصاحبه وحكي عن بعضهم انه دخل على تلميذ له فقدم التلميذ اليه خبزا قفارا ولم يكن له ادم فاخذ يتمنى بقلبه أن ليت كان له ادم يقدمه الى أستاذه فقام الاستاذ وقال تعال معي فحمله الى باب السجن فرأى الناس يضرب واحد ويقطع آخر ويعذب كل واحد بأنواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ ترى هؤلاء هم الذين لم يصبروا على الخبز القفار وقيل ان رجلا أخرج من السجن وفي رجله قيد يسأل الناس فقال لانسان أعطني كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك ورأى رجل رجلا من الحكماء يأكل ما تساقط من البقل على رأس الماء فقال لو خدمت السلطان لم تحتج الى أكل هذا فقال الحكيم وأنت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقد أردت أن أذكر هنا حكاية مناسبة لما نحن فيه لتعرف بها كيف تكون الهمة السنية والآداب المرضية في أخذ البلاغ من الدنيا والقناعة باليسير من الاشياء ورؤية منة الله تعالى في تيسير القليل والشكر له على ذلك قال بعضهم خرجنا من المدينة حجاجا فلما كنا بالزاوية نزلنا فوقف بنا رجل عليه ثياب رثة وله منظر وهيئة وصورة حسنة ومروأة فقال من يبغي خادما من يبغي ساقيا فقلت دونك هذه القربة فاخذها وانطلق فلم يلبث الا يسيرا حتى أقبل وقد امتلأت أثوابه طينا وأثرت القربة في كتفيه فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال ألكم غيرها قلنا لا وأطعمناه قرصا باردا فاخذه وحمد الله سبحانه وشكره كثيرا ثم اعتزل وقعد يأكل أكل جائع فادركتني عليه الشفقة فقمت اليه بطعام طيب كان معنا وأكثرت له منه فقلت قد علمت انه لم يقع منك القرص بموقع فدونك هذا الطعام فنظر في وجهي وتبسم وقال يا عبد الله انما هي فورة جوع فلا أبالي بأي شيء رددتها عني فرجعت عنه فقال لي رجل الى جنبي أتعرفه قلت لا قال انه رجل من بني هاشم من ولد العباس بن عبد المطلب هذا من ولد سليمان بن أبي جعفر المنصور كان يسكن البصرة فتاب فخرج منها ففقد فما عرف له أثر فاعجبني قوله ثم اجتمعت به وآنسته وقلت له يا فتى أنا رجل من اخوانك وقد بلغني موضعك فاحببت الاتصال بك فهل لك أن تعادلني فان معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان لي معدا ثم أنس الي وجعل يحدثني فقال أنا رجل من ولد العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد وبطر وبذخ واني أمرت خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير فبينما أنا نائم اذا بقمع ورد قد غفلت عنه الخادمة فقمت اليها فاوجعتها ضربا ثم عدت الى مضجعي بعد اخراج القمع من المخدة فاتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال لي أفق من غشيتك وابصر من حيرتك ثم أنشأ يقول

يا خذ انك ان توسد لينا * وسدت بعد الموت صم الجندل

فامهد لنفسك صالحا تسعد به * فلتندمن غدا اذا لم تفعل

قال فانتبهت فزعا فخرجت من ساعتي الى ربي هاربا فهذا خبري قال الراوي فلما قضى حديثه هذا الشخص عني ومضى *(من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان)* النفوس الكريمة تقبل على الله تعالى بملاطفات احسانه وموالاة فضله وامتنانه والنفوس اللئيمة لا تنقاد الا بسلاسل الامتحان ووقوع المصائب في الاموال والابدان والقود بالسلاسل استعارة حسنة قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه سنة الله عزوجل استدعاء العباد لعبادته بسعة الارزاق ودوام المعافاة ليرجعوا اليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون لان مراده عزوجل رجوع العبد اليه طوعا أو كرها (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) شكر النعم موجب لبقائها او الزيادة منها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها وانفصالها قال الله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي اذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهي شكر النعم غير الله تعالى ما منه اليهم من الاحسان والكرم واجتمعت حكماء العرب والعجم على هذه اللفظة فقالوا الشكر قيد النعم وقالوا الشكر قيد للموجود وصيد للمفقود وكان يقال النعم اذا رعيت بالشكر فهي أطواق واذا رعيت بالكفر فهي أغلال والشكر على ثلاثة أوجه شكر بالقلب وشكر باللسان وشكر بسائر الجوارح فشكر القلب أن يعلم ان النعم كلها من الله تعالى قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وشكر اللسان الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها ونشرها قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه تذكروا النعم فان تذكرها شكر ومن شكر اللسان أيضا شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكر الناس لله أشكرهم للناس وسيأتي الكلام على هذا المعنى في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى عند كلام المؤلف عليه وشكر سائر الجوارح أن يعمل

(من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان) أي بملاطفاته اياه بأنواع الاحسان (قيد اليه بسلاسل الامتحان) أي بالامتحانات والمصائب الشبيهة بالسلاسل يعني ان المقتضي لاقبال المريد وغيره على الرب بأنواع الطاعات والتضرع اليه وجمعية القلب عليه أمران الاول ايراد النعم عليه فيشكر الله عليها ويقبل على خدمته والثاني انزال المصائب في بدنه أو ماله فيرجع الى الرب ويتضرع اليه برفعها وربما كان ذلك سببا في ترك الاشتغال بالدنيا والتعلق به سبحانه ومراد الرب من العبد رجوعه اليه طوعا أو كرها (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) يعني ان شكر النعم موجب لبقائها والزيادة منها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم بها وكفرانها وعدم شكرها موجب لزوالها قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أي اذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعات وهي شكر النعم غير الله ما منه من الاحسان والكرم والشكر اما بالقلب بأن تعلم أن النعم كلها من الله تعالى قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله واما باللسان بأن تحدث بنعمة الله قال تعالى وأما بنعمة ربك فحدث واما بالجوارح بان تصرفها في طاعة الله وتكفها عما لا يرضيه

بها العمل الصالح قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا فجعل العمل شكرا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وسأل رجل أبا حازم رضي الله عنه فقال له ما شكر العينين قال اذا رأيت بهما خيرا أعلنته واذا رأيت بهما شرا سترته قال فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فيهما قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلاه علما قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيأ غبطته استعملتهما فيه وان رأيت شيأ مقته كففتهما عن عمله وأنت شاكر لله تعالى فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذه بطرفه ولم يلبسه فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر واجمع العبارات للشكر قول من قال الشكر معرفة بالجنان وذكر باللسان وعمل بالاركان والقدر اللازم من شكر النعم ما قاله الجنيد رضي الله عنه حين سأله السري رضي الله عنه قال الجنيد رضي الله عنه كنت بين يدي السري رضي الله عنه وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت ان لا يعصي الله بنعمه فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك فلا أزال أبكي على هذه الكلمة

(خف من وجود احسانه اليك ودوام اساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الخوف من الاستدراج بالنعم من صفات المؤمنين وعدم الخوف منه مع الدوام على الاساءة من صفات الكافرين يقال من امارات الاستدراج ركوب السيئة والاغترار بزمن المهملة وطول تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة وهذا من المكر الخفي قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون أي لا يشعرون بذلك وهو أن يلقي في أوهامهم انهم على شئ وليسوا كذلك يستدرجهم في ذلك شيأ شيأ حتى يأخذهم بغتة كما قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اشارة الى مخالفتهم وعصيانهم فتحنا عليهم أبواب كل شئ أي فتحنا عليهم أسباب العافية وأبواب الرفاهية حتى اذا فرحوا بما أوتوا من الحظوظ الدنيوية ولم يشكروا عليها ابرجوعهم عنها الينا أخذناهم بغتة أي فجأة فاذا هم مبلسون أي آيسون قانطون من الرحمة قال سهل بن عبد الله رضي الله عنه في قوله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها فاذا ركنوا الى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء الله كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة فاذا ركنوا الى النعم وحجبوا عن المنعم اخذوا وقيل كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ومن أنواع الاستدراج ما ذكره بقوله

(ان يكون ذلك استدراجا) أي تدريجا لك شيأ فشيأ حتى يأخذك بغتة وهذا جواب سؤال ناشئ مما قبله حاصله انا نرى كثيرا من الناس لا يشكر النعم ولا تزول عنه فأجاب بأن ذلك ربما كان استدراجا ومكرا من الله به قال تعالى (سنستدرجهم) أي ندرجهم في ذلك شيأ فشيأ حتى نأخذهم بغتة (من حيث لا يعلمون) انه استدراج ومكر أي لا يشعرون بذلك لانه يأخذهم بغتة وقيل نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها

وأنسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ❊ من جهل المريد أن يسيء الادب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب الابعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن الا منع المزيد وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري ولو لم يكن الا أن يخليك وما تريد ❊ هذا نوع من الاستدراج الذي تقدم ذكره وسوء أدب المريد موجب لعقوبته ولكن العقوبات مختلفة فمنها معجلة ومنها مؤجلة ومنها جلية ومنها خفية فالعقوبة الجلية العقوبة بالعذاب والعقوبة الخفية العقوبة بوجود الحجاب فانه عقوبة بالعذاب لاهل الخطايا والذنوب والعقوبة بالحجاب لاهل اساءة الادب بين يدي علام الغيوب وقد تكون العقوبة الخفية والمؤجلة أشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة ومثال العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه واقامته مقام البعد منه وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب الذي ذكرناه فاذا ابتلى به المريد ولم تتداركه رحمة من الله تعالى في الحال العتيد كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة وانتساخ الضياء بالظلمة ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحال الاولى لانه اذ ذاك تنقطع عنه الامدادات المتصلة والواردات المتحصلة فتنكسف عنه حينئذ شمس العرفان وتستتر عنه المكشوفات والبيان وهذه جنود الله تعالى في قلب العبد فاذا فقد

(من جهل المريد ان يسيء الادب) اما مع الله تعالى كالاعتراض عليه وتعاطى التدبير معه والتضجر باحكامه المؤلمة له في نفسه أو غيره وتصريح لسانه بالشكوى الى الخلق أو مع المشايخ كالاعتراض عليهم وعدم قبول اشاراتهم فيما يشيرون به عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة له وقالوا أيضا من قال لاستاذه لم فانه لا يفلح وقال القشيري من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقي من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه في بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة اسفراء للمريدين اه واما مع بعض الناس فالاعتراض عليهم كما وقع للجنيد أنه رأى فقيرا يسأل الناس فقال في نفسه لو عمل هذا عملا يصون به نفسه لكان أجمل به فثقلت عليه أوراده في تلك الليلة ورأى جماعة أتوا له بذلك الفقير على خوان وقالوا له كل من لحمه فقد اغتبته فاصبح يفتش عليه حتى النصرة وجده فسلم عليه فقال له تعود يا أبا القاسم فقال لا فقال لا غفر الله لك واما مع نفسه كأن يتعاطى شهواتها المباحة ولا ينهض الى ما يقربها من مولاها (فتؤخر العقوبة عنه) بأن لا يعاقب في ظاهره بالبلايا والاسقام ولا في باطنه بحسب زعمه (فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد) الوارد علي من حضرة الحق سبحانه (وأوجب الابعاد) أي بعدي عنه بعدم حضوري معه وهذا لازم لما قبله (فقد) أي انما كان ذلك من الجهل لانه قد (يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن) من قطع المدد عنه (الا منع المزيد) أي الزيادة من المدد لكان ذلك كافيا في قطع الامداد وقطعه مبدأ الحجاب فاذا ابتدأ به المريد ولم تتداركه رحمة الله تعالى في الحال كان ذلك موجبا لسقوطه من عين الله ووقوع الحجاب على قلبه وتبدل الانس بالوحشة (وقد يقام مقام) أي في مقام (البعد وهو لا يدري ولو لم يكن) من اقامته مقام البعد (الا أن يخليك وما تريد) بأن يسلط نفسك عليك ويمنع نصرتك عليها لكان ذلك كافيا في البعد فان ذلك مبدأ الحجاب ومانع للقلب عن الدخول في حضرة الرب سبحانه ومن اساءة الادب مع بعض الناس ما ذكره بقوله

النصرة من الله تعالى بذلك وقع فى الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فأنساه الذكر
وحاق به سيئ المكر ورجع الى متابعة هوى نفسه الامارة وخرج من دائرة الصفوة
المختارة فنعوذ بالله من سوء المقدور وعدم التوفيق الى مراعاة أوائل الامور وما احتج
به المريد لنفسه من الكلام الذى ذكره المؤلف رحمه الله يقتضى توجه هذه العقوبة
اليه ضربة لازب لان قوله لو كان هذا سوء أدب الى آخره دليل على رضاه بحاله
واستحسانه لاعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذى اقتضاه قطع المدد عنه ولو
كان المدد متواصلا اليه لازداد عند ما يقع منه سوء الادب تواضعا لربه وافتقارا
اليه وخوفا من مكره ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها قال سيدى أبو العباس رضى
الله عنه كل سوء أدب يثمر لك أدبا مع الله تعالى فهو أدب وهو الذى أوجب له أيضا
التخلية بينه وبين ما يريد الذى اقتضى له اقامته مقام العبد اذ لو كان مقاما فى القرب
لبعد عن رؤية نفسه وكان متهما لها فى ارادتها وكان واقفا مع مراد الله به فان أقدم
على أمر بارادته وشهوته تداركه الله تعالى بالعصمة وعوق عليه ما أراده وسد عليه
مسالكه ولم يخله وما أراد من ذلك ويقال من علامة التوفيق ثلاث دخول اعمال
البر عليك من غير قصد منك اليها وصرف المعاصى عنك مع السعى فيها وفتح باب
اللجا والافتقار الى الله تعالى فى كل الاحوال ومن علامة الخذلان ثلاث تعسر
الطاعات عليك مع السعى فيها ودخول المعاصى عليك مع الهرب منها وغلق باب اللجا
الى الله تعالى وترك الدعاء فى الاحوال والادب له موقع عظيم فى التصوف ولذلك قال
أبو حفص رضى الله عنه التصوف كله أدب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل
مقام أدب فمن لزم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد
من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول وقال أبو عبد الله بن خفيف
قال لى رويم يا بنى اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال بعضهم الزم الادب ظاهرا
وباطنا فما أساء أحد الادب ظاهرا الا عوقب باطنا وما أساء أحد الادب باطنا
الا عوقب باطنا وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه اذا خرج المريد عن حد الادب
فانه يرجع من حيث جاء وقال الثورى رضى الله عنه من لم يتأدب للوقت فوقته
مقت وقال ابن المبارك رضى الله عنه نحن الى قليل من الادب أحوج منا الى كثير
من العلم وقيل لبعضهم ياسيئ الادب فقال لست بسيئ الادب فقيل له ومن أدبك
فقال الصوفية والآداب اللازمة للمريد عامة فى ظاهره وباطنه وآداب الظاهر
تبع لآداب الباطن وآداب الباطن هى التحلى بمحاسن الاخلاق كلها وفى
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أدبنى ربى فأحسن تأديبى ثم أمرنى
بمكارم الاخلاق فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ولا يحصل
لك ذلك بعد توفيق الله تعالى وتأييده الا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء الله

رضى الله عنه النفس مجبولة على سوء الادب والعبد مأمور بملازمة الادب فالنفس تجرى بطبعها فى ميدان المخالفة والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها فى فسادها ويختلف ماذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الاشخاص فرب شخص زكى الفطرة كريم السجية سهل المقادة لايحتاج فى ذلك الى كثير معاناة ولا تعب ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلاجرم يحتاج الى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته وبين هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد الى صحبة المشايخ والتأدب بآدابهم واتباع أوامرهم ونواهيهم لانه ان لم تجر افعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى ولو بالغ فى الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه وقد سئل الدقاق رضى الله عنه بماذا يقوم الرجل اعوجاجه فقال بالتأدب بامام فان من لم يتأدب بامام بقى بطالا فاذا دام العبد على ذلك تزكت نفسه وطهر قلبه وتهذبت أخلاقه وظهر على ظاهره أنوار ذلك فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الادب حتى تنتهى به الى المحافظة على اجتناب أمور غير مستنكرة فى ظاهر العلم ويكون ترك محافظته عليها ذنبا من مثله وقد يعاقب عليه وقد يعاقب من أجله قال السرى رضى الله عنه صليت العشاء واشتغلت بوردى ليلة من الليالى ومددت رجلى فى المحراب فنوديت ياسرى هكذا تجالس الملوك فضممت رجلى ثم قلت وعزتك وجلالك لامددت رجلى أبدا قال الجنيد رضى الله عنه فبقى ستين سنة مامد رجله ليلا ولانهارا (وقال) أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه كان الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله تعالى عنه لا يستند الى شئ فكان يوما فى مجمع فاردت أن أضع وسادة خلف ظهره لانى رأيته غير مستند فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لانه لم يكن عليها خرقة ولا سجادة فقال لا اريد الاستناد فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند الى شئ أبدا وقال أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه كنت جالسا فى مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلى عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجل به فلما انصرفت الى منزلى وكان لى شئ من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك ثقل على جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد فغلبتنى عينى فرأيت ذلك الفقير جاؤابه على خوان ممدود وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبته وكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبته وانما قلت فى نفسى شيأ فقيل لى ما أنت ممن يرضى منك بمثله اذهب واستحله فاصبحت ولم ازل اتردد حتى رأيته فى موضع يلتقط من الماء عند ترداد الماء أوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال أتعود يا أبا القاسم فقلت لا فقال

غفر الله لنا ولك الى غير ذلك من آدابهم رضى الله عنهم أجمعين والظاهر ان مراد المؤلف رحمه الله باساءة الادب ما كان فيه نوع من الرعونة واظهار الدعوى واتصاف العبد بصفة المولى وانبساطه وادلاله فى موقف الهيبة والحياء وما أشبه ذلك مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به ولكن ينبغى للمريد أن لا يتهاون بشئ من الآداب ولا يستحقرها فان التهاون بذلك والاستهتار له من مخامرة الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا أقبح أنواع سوء الادب فان وقعت منه اساءة أدب فليكن خائفا من ذلك مستعظما للامر فيه وليبادر الى التوبة والاعتذار والتنصل منها خشية أن توجه اليه العقوبة من حيث لا يشعر وآكد ما ينبغى أن يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجملة التى ظهر لنا انها مراد المؤلف رحمه الله تعالى من أنواع سوء الادب أن يوطن خاطره على شئ من الاعتراض على الله تعالى وتعاطى التدبير معه والتبرم باحكامه المؤلمة فى نفسه أو غيره وأن يسرح لسانه بالشكوى الى الخلق والعيب لما يوافق هواه أو نقص فى نظره مما يراه من الحق فان خطر بباله أو جرى على لسانه شئ من ذلك فليبادر الى الاستغفار منه والتنصل عنه وليعلم ان تشاغله بذلك من أعظم الحسنات وأفضل القربات وذلك يدخله فى مقامات الرضا ويوصله الى غاية النعيم والعطا كما ان توطينه عليه وتهاونه به من أعظم خطاياه وأكبر ذنوبه ويؤديه ذلك الى تسخط الاقدار والوقوع فى دركات النار نعوذ بالله من ذلك * ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له خبرا ثلاثة أيام فقيل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعتراضى عليه فيما قضى أشد على من ذهاب ولدى وقال بعض السادة أذنبت ذنبا فأنا أبكى عليه منذ ستين سنة وكان قد اجتهد فى العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما ذلك الذنب قال قلت مرة لشئ ليته كان وقال بعض السلف لو قرض جسمى بالمقاريض كان أحب الى من أن أقول لشئ قضاه الله ليته لم يقضه وقال بعضهم مرض الجنيد رضى الله عنه فقال اللهم عافنى فسمع هاتفا يقول ملكك والدخول بينى وبين ملكى ومن مقتضياتها أيضا أن يعلق بقلبه شئ من الاعتراض على المشايخ والاولياء وأن يترك تعظيمهم واحترامهم وأن لا يقبل اشارتهم فيما يشير وينبه عليه فقد قالوا عقوق الاستاذين لا توبة له وقالوا أيضا من قال لاستاذه لا يفلح وقال أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه من صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة وان بقى من أهل السلوك قاصدا لم يصل الى مقصوده فليعلم ان موجب حجبه اعتراض خاطر قلبه على بعض شيوخه فى بعض أوقاته فان الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين قال وفى الخبر ان الشيخ فى أهله كالنبى فى أمته وكذلك من سوء أدبه تصدره للتعليم والهداية وتصديه للامر والولاية

ومحبته للاستتباع والرياسة وتربيته للجاه والحشمة والقبول بين الناس واستدعاؤه بسره أن يكرم ويعظم ويتبرك به وتقبل يده ويسارع فى قضاء حوائجه وذلك من أضر الاشياء به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه واتهام نفسه فى كل حال من أحواله وذلك مذموم منه وقال أبو عثمان رضى الله عنه لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيأ وانما يرى عيوب نفسه من يتهمها فى جميع الاحوال وقال أبو عبد الله السجزى رضى الله عنه من استحسن شيأ من أحواله فى حال ارادته فسدت عليه ارادته الا أن يرجع الى ابتدائه ويروض نفسه ثانيا وقال أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه سمعت جدى يقول آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه فان استشعر المريد من نفسه شيأ مما ذكرناه فليبادر الى قطع مواده واستئصال عروقه من قبل أن يستحكم ذلك فيه ويرسخ فيه فمبدايات الامور هى التى ينبغى أن تراعى كثيرا * ومن أنواع سوء أدب المريد المفضى الى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة الى رخص الشريعة فقد عدوا هذا من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القرب ولهذا قالوا اذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة الى رخص الشريعة فاعلم انه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله وقال ابن خفيف رضى الله عنه الارادة استدامة الكد وترك الراحة وليس شئ أضر على المريدين من مسامحة النفس فى قبول الرخص والتأويلات وقال يوسف بن الحسين رضى الله عنه اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لايجيء منه شئ وقال أبو اسحق ابراهيم بن شيبان من أراد أن يتعطل ويتبطل فليلزم الرخص ويعنى بالرخصة ههنا ما كان مضادا لحال المريد من تناول الشهوات واللذات والميل الى المألوفات والمعتادات والركون الى الدعة والراحات وارتكاب الشبهات والتأويلات فان حال المريد يقتضى مباينته لهذا كله وان كان بعض ذلك مباحا فى رخص الشرع لعامة الناس وكان ابراهيم الخواص رضى الله عنه يقول ألا ان هذه الشهوات التى أظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها وفترت أبدانهم بعد اجتهادها وحجبت قلوبهم بعد قربها وأطالت آمالهم بعد قصرها وأنسوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم وتوطؤا الفرش بعد الترك فسقتهم الدنيا بكأس سمها فنظروا الى ظاهرها بعد باطنها فناموا بعد السهر وشبعوا بعد الجوع واكتسوا بعد العرى * وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام انى انما خلقت الشهوات لضعفاء خلقى فاياك أن تعلق قلبك منها بشئ فأيسر ما أعاقبك به ان أنزع حلاوة حبي من قلبك * وفى أخبار داود عليه السلام يا داود تمسك بكلامي وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فاحجب محبتى عنك اقطع

شهوتك

شهوتك الى فانى انما أبحت الشهوات لضعفة خلقى ما بال الاقوياء أن ينالوا الشهوات فانها تنقص حلاوة مناجاتى فانى لم أرض الدنيا لحبيبى ونزهته عنها يا داود لا تجعل بينى و بينك عالما سكران بحبها يحجبك بسكره عن محبتى أولئك قطاع الطريق على عبادى المريدين استعن على ترك الشهوات بادمان الصوم يا داود تحبب الى بمعاداة نفسك وامنعها الشهوات أنظر اليك وترى الحجب بينى و بينك مرفوعة وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولاها أن يغلق باب العز و يفتح باب الذل والثانية أن يغلق باب النعمة و يفتح باب الشدة والثالثة أن يغلق باب الراحة و يفتح باب الجهد والرابعة أن يغلق باب النوم و يفتح باب السهر والخامسة أن يغلق باب الغنى و يفتح باب الفقر والسادسة أن يغلق باب الامل و يفتح باب الاستعداد للموت وقال ابراهيم الخواص رضى الله عنه كنت فى جبل لبنان فرأيت رمانا فاشتهيته فدنوت منه فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتنى فقال من عرف الله تعالى لم يخف عليه شئ فقلت أرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك و يقيك من هذه الزنابير فقال وأرى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك و يقيك من شهوة الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه فى الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه فى الدنيا وقال السرى رضى الله عنه ان نفسى تطالبنى منذ ثلاثين سنة أو أربعين ان أغمس جزرة فى دبس فما أطعمتها فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن مقتضى حاله لزمه الوفاء به وكان عمله على خلافه نقضا وفسخا كما تقدم قال جعفر بن نصير رضى الله عنه دفع الى الجنيد درهما وقال اشتر به التين الوزيرى فاشتريته فلما أفطر أخذ واحدة و وضعها فى فيه ثم ألقاها و بكى وقال احمله فقلت له فى ذلك فقال هتف بى هاتف أما تستحى شهوة تركتها من أجلى ثم تعود اليها وعن شقيق بن ابراهيم قال لقيت ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه بمكة فى سوق الليل عند مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس ناحية من الطريق يبكى فعدلت اليه وجلست عنده وقلت له أى شئ هذا البكاء يا أبا اسحق فقال خير وعافية فعاودته مرة واثنتين وثلاثة فلما أكثرت عليه قال يا شقيق استر على فقلت يا أخى قل ما شئت قال لى اشتهت نفسى سكباجا فمنعتها جهدى فلما كان البارحة كنت جالسا وقد غلبنى النعاس فاذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار و رائحة سكباج قال فاجتمعت بهمتى عليه فقرب منى وقال يا ابراهيم كل فقلت ما آكل شيأ قد تركته لله تعالى فقال لى فاذا أطعمك الله تأكل فما كان لى جواب الا أن بكيت فقال لى يرحمك الله كل قال

ابراهيم فقلت له قد أمرنا أن لا نطرح فى وعائنا الا من حيث نعلم فقال لى كل برحلك الله فانما أعطيته وقد قيل لى يا خضر اذهب بهذا وأطعم نفس ابراهيم بن أدهم فقدرحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها اعلم يا ابراهيم انى سمعت الملائكة يقولون من أعطى فلم يأخذ طلب فلم يعط فقلت فان كان كذلك فها أنا بين يديك لا أحل العقد مع الله عز وجل ثم التفت فاذا أنا بفتى آخر ناوله شيأ وقال له يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمنى حتى شبعت فانتبهت وحلاوته فى فمى قال شقيق رضى الله عنه فقلت أرنى كفك فاخذت كفه بكفى فقبلتها وقلت يا من يطعم الجياع الشهوات اذا صحوا والمنع يا من يقدح فى الضمير اليقين يا من سقى قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالا ثم رفعت يد ابراهيم الى السماء فقلت الهى بقدر هذه الكف وبقدر صاحبها وبالجود الذى وجد منك جد على عبدك الفقير بفضلك واحسانك ورحمتك وان لم يستحق ذلك قال فقام ابراهيم رضى الله عنه ومشى حتى دخل المسجد الحرام وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد رضى الله عنهما ان فلانا يصف من قلبه منزلة ما أعرفها قال لانك تأكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيأ فقلت ان تركت أكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكى فقال له بعض أصحابه لا أبكى الله عينيك أعلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك هو اذا ترك شيأ لم يعاود فيه أبدا وقال أحمد بن أبى الحوارى اشتهى أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه رغيفا حارا بملح فجئت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال عجلت لى شهوتى بعد اطالة جهدى وشقوتى قد عزمت على التوبة فاقبلنى قال أحمد فما لقيته أكل الملح حتى لقى الله تعالى وقال أبو بكر بن الجلاء رضى الله عنه أعرف انسانا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طى عشرة أيام واطعمنى بعد ذلك شهوة أشتهيها فيقول لها لا أريد ان أطوى عشرة أيام ولكن أتركى هذه الشهوة وقال أبو سليمان رضى الله عنه ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال أبو حامد الغزالى رضى الله عنه وقد اشتد خوف السلف رضى الله عنهم من تناول لذائذ الاطعمة وتمرين النفس عليها ورأوا ان ذلك علامة الشقاوة ورأوا أن منع الله منه غاية السعادة حتى روى ان وهب بن منبه رضى الله عنه قال التقى ملكان فى السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين فقال أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودى وقال الآخر أمرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وقال وهذا تنبيه على ان تيسير الشهوات ليس من علامات الخير قال الشيخ أبو حامد الغزالى رضى الله عنه والاصل المهم فى المجاهدة الوفاء بالعزم فاذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت أسباب ذلك ويكون ذلك من الله ابتلاء واختبارا فينبغى أن يصبر ويستمر فانه ان عود

نفسه

نفسه كسر العزم الفت ذلك وفسدت ولذا اتفق منه كسر عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبة فاذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد الرياضة عليه بالكلية هذا كلام أبي حامد وهو حسن ومعناه صحيح مجرب فلتعتمد عليه أيها المريد وقد يجعل الله تعالى لبعض هؤلاء العقوبة رحمة له ومنة عليه قال أبو تراب النخشبي رضي الله عنه ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات الا مرة واحدة تمنيت خبزا وبيضا وأنا في سفر فعدلت الى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة ثم عرفني رجل منهم فقال هذا أبو تراب النخشبي فاعتذروا الي فحملني رجل منهم الى منزله وقدم الي خبزا وبيضا فقلت في نفسي كلي بعد سبعين درة وقال بعضهم اشتهى أبو الخير التعسقلاني رضي الله عنه السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده اليه ليأكل دخلت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت في ذلك يده فقال يارب هذا من مد يده بشهوة الى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة الى حرام وقال ابراهيم الخواص رضي الله عنه كنت جائعا في الطريق فوافيت الري فخطر ببالي أن لي بها معارف فاذا دخلتها أضافوني وأطعموني فلما دخلت البلد رأيت فيه منكرا احتجت أن آمر فيه بالمعروف فاخذوني وضربوني فقلت في نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جوعي فنوديت في سري انما أصابك ذلك لانك سكنت الى معارفك بقلبك. قلت انهم يطعمونني اذا دخلت البلد وحكي عن ابراهيم ابن سفيان رضي الله عنه أنه قال كنت بحلب واشتهيت شبعة من الخبز والعدس فاتفق ذلك فاكلت حتى شبعت فرأيت على باب المسجد قوارير معلقة شبه نموذجات فتوهمتها خلا فقال لي قائل أما تنظر اليها انها خمر فقلت لزمني فرض فدخلت الحانوت فلم أزل أصب دنا دنا حتى أتيت على الجميع فاخذوني وضربوني مائتي خشبة وطرحوني في السجن أربعة أشهر حتى دخل استاذي أبو عبد الله المغربي البلد فسمع بحالي فشفع لي فلما وقع بصره علي قال ما شأنك قلت شبعة خبز وعدس وضربت مائتي خشبة وسجنت أربعة أشهر فقال لي نجوت مجانا أي وردت عقوبة هذه الاكلة على ظاهرك ولم تقدح فيما كنت فيه من سرائرك فكان ذلك رفقا من الله بك قال الامام أبو القاسم القشيري وما أصدق ما قال فان من أدب في دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه بل ظهر لتأدب جوهره ومعناه وحكاية خيرا النساج رضي الله عنه المشهورة من معنى ما ذكرناه فانظرها ففيها عبرة للمعتبرين قال الحافظ أبو نعيم رضي الله عنه حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال سألت خيرا النساج أكان النسج حرفتك قال لا قلت فمن أين سميت به قال عاهدت الله واعتقدت

انى لا آكل الرطب أبدا فغلبتنى نفسى يوما فأخذت نصف رطل فلما أكلت واحدة اذا برجل نظر الىّ وقال ياخير أين هربت منى وكان له غلام اسمه خير فوقع على شبهه وصورته فخنقنى واجتمع الناس فقالوا والله هذا غلامك خير فبقيت متحيرا وعلمت بماذا أخذت وعرفت جنايتى فحملنى الى حانوته الذى كان ينسج فيه صناعه فقالوا ياعبد السوء تهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذى كنت تعمل وأمرنى بعمل الكرباس فدليت رجلى على ان أعمل فاخذت بيدى آلته فكأنى كنت أعمل من سنين فبقيت معه شهرا أنسج له فقمت ليلة فنسجت وقت الى صلاة الغداة فسجدت وقلت فى سجودى الهى لا أعود الى ما فعلت فأصبحت فاذا الشبه قد ذهب عنى وعدت الى صورتى التى كنت عليها فأطلقت فثبت على هذا الاسم فكان سبب النسج اتباعى شهوة عاهدت الله تعالى ان لا آكلها فعاقبنى بما سمعت وفى بعض الاخبار عن الله تعالى ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى ان أحرمه لذيذ مناجاتى وستأتى ان شاء الله تعالى كيفية مجاهدة النفس عند قوله لولا مياعين النفوس ما تحقق سير السائرين ولهذا المعنى كره والد التزويج من غير ضرورة محققة لانه انما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته وذلك فى الضرر به بمنزلة السم القاتل وقد قالوا من وافق شهوته عدم صفوته وقال بعضهم من هم بشئ مما أباحه العلم تلذذا عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا وقال أبو سليمان الدارانى رضى الله عنه ثلاث من طلبهن فقد ركن الى الدنيا من طلب معاشا أو تزوج امرأة أو كتب الحديث وقال ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته وكان ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه يقول من تعود أخفاذ النساء لا يفلح وقيل لبعضهم لم لا تتزوج فقال المرأة لا تصلح الا للرجال وأيا ما بلغت مبلغ الرجال ثم فيه من مكابدة أمر غيره ومن مراعاة توفية حقوقه ومعاناة أخلاقه واتباع مرضاته ما يشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته وقد كان له فى معاناة أمر نفسه اعظم شاغل من أن تضاف الى نفسه نفس أخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف الفقر ومحبة الجمع والمنع وما يركبه بسبب ذلك من التأويلات والرخص وذلك كله مضاد لحال المريد وقد قالوا اذا تزوج الصوفى فقد ركب السفينة فاذا ولد له فقد غرقت السفينة وكان بشر الحافى رضى الله عنه يقول لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلوازا على الجسر وفى الخبر فى فتن آخر الزمان قال وفى ذلك الوقت حلت العزبة فقيل وكيف قال يعيرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ قيل يارسول الله وما خفيف الحاذ قال الذى لا أهل له ولا ولد وقال سهل بن عبد الله رضى الله عنه اياكم

والاستماع

والاستماع الى النساء والميل اليهنّ فان النساء مبعدات من الحكمة قريبات من الشيطان وهنّ مصايده وحظه من بنى آدم فمن عطف اليهنّ بكليته فقد عطف على حظ الشيطان ومن حاد عنهنّ يئس منه وما مال الشيطان الى أحد كميله الى من احترق بالنساء وان الشر معهنّ حيث كن فاذا رأيتم فى وقتكم من قد ركن اليهنّ فايأسوا منه قيل له فحديث النبى صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم ثلاث فذكر النساء فقال النبى صلى الله عليه وسلم معصوم وقد بلغكم ما كان فيه معهنّ هى عدوّة الرجل ظاهرا او باطنا ان أظهرت له المحبة أهلكته وان أضمرتها له أغوته وانّ الله عزوجل جعلهنّ فتنة فنعوذ بالله من فتنتهنّ انتهى كلام سهل رضى الله عنه وقال حذيفة المرعشى رضى الله عنه كان ينبغى للرجل لو خير بين ان يضرب عنقه و بين ان يتزوج امرأة فى الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج امرأة فى الفتنة وانما قال ذلك لما يؤل اليه أمر المتزوج من اكتساب الحرام وارتكاب الآثام فى زمان الفتنة وضرب العنق أحسن حالا وأحمد عاقبة من التعرض لارتكاب شئ من معاصى الله عزوجل فان قارب شيأ من ذلك المريد فهو داء عضال فى حقه فقد قالوا زلة بعد الارادة أقبح من سبعين زلة قبل الارادة وفى المثل من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه فى الامانة وقال بعض الانبياء فى مناجاته لربه لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم نعمك فأوحى الله اليه ليس الذنب فى القرب كالذنب فى البعد وسئل بعضهم هل يجد العاصى حلاوة الطاعة فقال لا ولا من هم بالمعصية ومن عظيم سوء أدب المريد ان يميل الى أهل الدنيا وان يتقرب منهم أو أن يصاحبهم قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم قال الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله لا تصحب من لا ينهضك حاله ومن ذلك أيضا معاشرته للاحداث والشبان وقبول ارفاق النسوان فان تعرض لاستجلاب ذلك منهنّ فهو أشدّ قال يوسف بن الحسين الرازى رضى الله عنه رأيت آفات الصوفية فى صحبة الاحداث ومعاشرة الاضداد ورفق النسوان قال الامام أبو القاسم ومن أصعب الآفات فى هذه الطريق صحبة الاحداث ومن ابتلاه الله بشئ من ذلك فبأجماع من الشيوخ ان ذلك عبد أهانه الله عزوجل وخذله بل عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهله ثم قال بعد كلام كثير فليحذر المريد من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء وآداب المريد كثيرة وانما نبهنا ههنا على بعض ما يعظم فيه الخطر والضرر مما حذر منه أئمتنا رضى الله عنهم وبالغوا فى الوصية به والنهى

عنه وجميع ذلك محتمل لان يكون مراد المؤلف رحمه الله تعالى في قوله من جهل المريد ان يسيء الادب فرأينا أن لا يخلو هذا الموضع من هذا التنبيه لان ذلك يقع للمريدين كثيرا والله ولي التوفيق (اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الاوراد وأدامه عليها مع طول الامداد فلا تستحقرن ما منحه مولاه لانك لم تر عليه سيما العارفين ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد) عباد الله المخصوصون ينقسمون الى قسمين مقربين وأبرار فالمقربون هم الذين أخذوا عن حظوظهم وارادتهم واستعملوا في القيام بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار هم الذين بقوا مع حظوظهم وارادتهم وأقيموا في الاعمال والطاعات ليجزون عليها برفيع الدرجات في الجنات وهؤلاء هم الزاهدون والعابدون وكل واحد منهم ممدود في مقامه الذي هو فيه بمدد الهي اقتضى منهم القيام بحقوق مقاماتهم على اختلافها فاذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى في أعمال البر الظاهرة ومواصلة الاوراد المتواترة وأمده في ذلك بالمعونة والتيسير فذلك من اختيار الله تعالى له فلا تحتقرن ذلك لاجل انك لم تر عليه سيما العارفين من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات بين يدي المريد المختار ولا بهجة المحبين من الشغف بمرضاة محبوبهم والانبساط والادلال بين يدي حبيبهم فلولا الوارد الالهي الذي أورده الله تعالى عليه ما استقام على عمله وورده فهو لم يخرج عن دائرة عنايته وحفظه ورعايته فلا تستحقر خطير ما منحه وتستقل كثير ما ربحه وهل ذلك الا من وجود جهلك ونقصان عقلك وسيأتي من كلام المؤلف رحمه الله لا يستحقر الوارد الا جهول (قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته

(اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى) أي جعله قائما (بوجود الاوراد) بان أظهرها منه (وأدامه عليها) أي جعله مداوما عليها (مع طول الامداد) أي المعونة والتيسير وصرف الشواغل التي تشغله عن القيام بها والمراد بطول ذلك توالية عليه مع طول الزمان فطوله بطول الزمان الذي يحصل فيه وهذه صفة العباد والزهاد (فلا تستحقرن ما منحه) أي أعطاه (مولاه) وعلل الاستحقار بقوله (لانك) أي لكونك (لم تر عليه سيما العارفين) أي علامتهم من ترك الاختيار والبراءة من الحظوظ والارادات ودوام الحضور بين يدي الله (ولا بهجة المحبين) وهي ما يعلوهم من شواهد المحبة وآثارها فان محبة الله اذا تمكنت من القلب ظهرت آثارها على *(٨٦)* الجوارح كدوام ذكره والمسارعة لامتثال أمره والنهي عن غيره فيجتهد في خدمته ويتلذذ بمناجاته ويؤثره على كل ما سواه ثم علل عدم الاستحقار بقوله (فلولا وارد) الهي أورده الله على قلبه أي تجل الهي (ما كان ورد) وهو ما يقع بكسب العبد من أنواع العبادات كصلاة وصيام وذكر الى غير ذلك أي فيكون استحقارك له قلة الادب معه والحاصل ان عباد الله المخصوصين ينقسمون قسمين كالا مقربين وابرارا فالمقربون هم الذين أخذوا عن حظوظهم وارادتهم وقاموا بحقوق ربهم عبودية له وطلبا لمرضاته وهؤلاء هم العارفون والمحبون والابرار هم الباقون مع حظوظهم وارادتهم وقاموا بعبادة ربهم طمعا في جنته وهربا من ناره وكل واحد منهم ممدود في مقامه الذي هو فيه بمدد الهي اقتضى منه القيام بحقوق ذلك المقام والى ذلك أشار بقوله (قوم أقامهم الحق) أي اختارهم (لخدمته) بطاعته الظاهرة حتى صلحوا للجنة وهم الزاهدون والعابدون كما مر (وقوم اختصهم بمحبته) حتى صلحوا للقرب والدخول في حضرته وهم المحبون والعارفون والكل مشتركون في الانتساب اليه وخدمته لكن خدمة الاولين أكثرها بالجوارح والآخرين أكثرها بالقلب

(كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) أى ممنوعا فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك عما ذكر من الاحتقار قال أبو يزيد اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة (قلما تكون الواردات الالهية) أى قل حصولها (الابغتة) أى غير بغتة والمراد بها العلوم الوهبية والاسرار العرفانية التى يتحف الله بها عباده ولا تكون فى الغالب الا بغتة أى فجأة من غير استعداد لها بعبادة من صلاة وصيام وغيرها لئلا يدعيها العباد) أى يرون أنهم أهل لها * (٨٧) * (بوجود الاستعداد) لها بالاجتهاد فى الاوراد

كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) الحق تعالى له الاختيار تام والمشيئة النافذة لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فطائفة أقامهم الحق تعالى لخدمته حتى صلحوا لجنته وهم الزاهدون والعابدون كما تقدم وطائفة اختصهم بمحبته حتى صلحوا لقربه والدخول الى حضرته وهم العارفون والعلماء قال يحيى بن معاذ رضى الله عنه لزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة فاذا شهد العبد انفراد الله تعالى بهذه الاقامة والتخصيص منعه ذلك مما ذكرنا من الاستحقار وسلم الامر لمن بيده التدبير والاختيار قال أبو يزيد رضى الله عنه اطلع الله تعالى على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا فشغلهم بالعبادة وذكر الحافظ أبو نعيم فى كتابه حلية الاولياء عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه انه قال ان الله تعالى يطلع على أهل قرية أو بلدة فيريد أن يقسم لهم من نفسه قسما فلا يجد فى قلوب العباد ولا قلوب الزهاد موضعا لتلك القسمة من نفسه فيمن عليهم ان يشغلهم بالتعبد عن نفسه وقال أبو العباس الدينورى رضى الله عنه ان لله عبادا لم يستصلحهم لمعرفته فشغلهم بخدمته وله عبادا لم يستصلحهم لخدمته فاهلهم لمعرفته والاشارة بالآية الكريمة التى ذكرها المؤلف رحمه الله بينة فى هذا المعنى وقال رضى الله عنه (قلما تكون الواردات الالهية الابغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد) الواردات الالهية هدايا من الله تعالى وتحف وكرامات يكرم بها عباده فلا تكون فى الغالب الا بغتة أى فجأة لئلا يدعوها ويرون أنفسهم أهلا لها بوجود استعدادهم وتهيئهم وتحف الله تعالى وهداياه مقدسة عن أن تعالل بامر ومنزهة عن أن تقابل باعمال بل هى محض كرم وفضل من الكريم المتفضل (من رأيته مجيبا عن كل ماسئل ومعبرا عن كل ماشهد وذاكرا كل ماعلم فاستدل بذلك على وجود جهله)

والعبادات تمسكا بخبر قوله صلى الله عليه وسلم ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه يغفلوا عن كون همتهم متعلقة بالدار الآخرة لانه فلا تحصل لهم معرفته الخاصة ولا واردات الهية وحاصله أن الواردات هدايا من الله تعالى ومنح منه فلا تحصل عقب العبادات الصادقة وبفورها بل تحصل بعد ذلك بغتة وحصولها عقب العبادات نادر قليل (من رأيته) من المريدين أو العارفين (مجيبا عن كل ما سئل) أى سئل عنه من العلوم التى يفيضها الله على قلوب السالكين والمواهب اللدنية التى يخص بها العارفين (ومعبرا عن كل ماشهد) أى شهده وذاقه بباطنه وهى تلك العلوم والمواهب (وذاكرا كل ماعلم) من تلك العلوم (فاستدل بذلك على وجود جهله) لان اجابته عن كل سؤال تقتضى احاطته بكل المعلومات وذلك محال فى حقه قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولانه يجب مراعاة حال السائل فقد لا يكون فى بعض السائلين أهلية لمسئول عنه فتكون اجابة مثله من الجهل وتعجيزه عن

كل مشهود له فيه نوع من افشاء السر الذي يجب كتمانه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة وأيضا فالامور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها اشهارها وفيه ابتذالها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل ادراكها بالعبارات النطقية وذكره لكل معلوم له دليل على عدم تفرقته بين المعلومات وقد يكون فيها ما لا يصح ذكره لما يلزم عليه من الضرر والفساد وانكار الناس له قال صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون * (٨٨) * لا يعرفه الا العلماء بالله فاذا أظهروه أنكره

الاجابة عن كل سؤال والتعبير بكل مشهود والذكر لكل معلوم أمارات على وجود جهل من اتصف بها كما قال أما الاجابة عن كل سؤال فلاقتضائها منه الاحاطة بجميع المعلومات وذلك محال في حقه قال الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فكيف يتصور منه مع هذا الاجابة عن كل سؤال لولا وجود جهله وأيضا فانه يجب عليه أن يراعي حال السائل من وجود الاهلية لما سأل عنه فيمتنع عن اجابة من لا أهلية فيه لذلك ويفعل ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه مع السائل الذي جاء يسأله أن يعلمه من غرائب العلم فانه استفصله وقال له ما فعلت في رأس العلم وفي كذا وفي كذا فاجابه السائل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب فاحكم ما هنالك ثم تعال حتى أعلمك من غرائب العلم وكما أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يكتموا العلم عن أهله كذلك أخذ عليهم أن يصونوه عن غير أهله فمن لا يسلك هذا المسلك فهو جاهل وأما التعبير بكل مشهود فلان فيه نوعا من افشاء السر الذي يجب كتمه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار والسر أمانة الله تعالى عند العبد فافشاؤه بالتعبير عنه خيانة والله تعالى لا يحب الخائنين وأيضا فان الامور المشهودة لا يستعمل فيها الا الاشارة والايماء واستعمال العبارة فيها افصاح بها واشهار لها وفي ذلك ابتذالها واذاعتها ثم ان العبارة عنها لا تزيدها الا غموضا وانغلاقا لان الامور الذوقية يستحيل ادراكها بالعبارات النطقية فيؤدي ذلك الى الانكار والقدح في علوم السادة الاخيار قال أبو علي الروذباري رضي الله تعالى عنه علمنا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي وأما الذكر لكل معلوم فلعدم تفريقه بين المعلومات وقد يكون له علم يختص به فاذا ذكره لغيره استغربه وان كان ينتفع به هو فعدم تفريقه بين المعلومات في ذكرها من وجود جهله (انما جعل

الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم

أهل الغرة بالله * وقال علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه يا رب جوهر علم لو أبوح به * لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا ولاستحل رجال مسلمون دمي * يرون أقبح ما يأتونه حسنا اني لاكتم من علمي جواهره * كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقال أبو هريرة رضي الله عنه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين من العلم أما أحدهما فبثثته للناس وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني هذا الحلقوم ولذا قتل الحلاج بافشاء شئ من ذلك حيث قال ما في الجبة الا الله وذلك أن أهل الله يدركون وجود الله في الاشياء أي فيامه بها وظهوره فيها وهذا غاية ما يمكن أن يعبر به عن مقصوده والا فهو أمر لا يدرك الا بالذوق وقد ذقناه بحمد الله فصدق ما سئل وما شهد وما علم واحد وانما يختلف باعتبار السؤال عنه وافشائه بالعبارة وعموم ذكره (انما جعل) تعالى (الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لان هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم) من أنواع النعيم حسا ولا معنى أما الاول فلانها ضيقة الاقطار ويعطي الله الآحاد المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم مسيرة سبعمائة عام كما ورد في الخبر

فما ظنك بخواصهم فتضييق لا محالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما الثاني فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والأشياء التي يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء في الاخبار ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا ومافيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا (ولانه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها) لان كل ما يفنى وان طالت مدته كلا شئ بل أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم *(٨٩)* (من وجد) من المريدين (ثمرة عمله) أي من الحلاوة فيه والنعيم (عاجلا) أي في الدنيا (فهو دليل على وجود القبول آجلا) أي قبول الله له قال أبو تراب اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله واذا أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والأعمال الموصوفة بهذه الصفات مقبولة بفضل الله وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه العمل وذلك علامة على وجود الجزاء عليه في الدار الآخرة كما سيأتي واذا وجد تلك الحلاوة لا ينبغي أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذا لا ينبغي أن يقصد بعمله حصولها لما فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته وصدق ارادته ولكن اعتناؤه بها لتكون ميزانا لاعماله وتصحيحا لاحواله

ولانه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا بقاء لها) انما جعل ثواب المؤمنين في الدار الآخرة لما ظهر لنا لوجهين أحدهما ان الدنيا لا تسع ما يريد أن يعطيهم من أنواع النعيم حسا ولا معنى أما الحس فلان الدنيا متدانية المسافات ضيقة الاقطار ويعطي الله تعالى لآحاد المؤمنين في الدار الآخرة في ملك واحد منهم كما ورد في الخبر مسيرة خمسمائة عام فما ظنك بخواصهم فتضيق لا محالة مسافة الدنيا عن كلية جزائهم وأما المعنى فلان الدنيا موسومة بالدناءة والنقص والخساسة والحقارة والأشياء التي يتنعم بها أهل الجنة أمور شريفة رفيعة كما جاء في الاخبار ان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها وان نور سوار حوراء يطمس نور الشمس وما أشبه هذا ويكفي في ذلك قوله عز من قائل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والثاني ان الله تعالى أجل اقدار عباده المؤمنين فلم يجعل لهم الجزاء على طاعاتهم في دار فانية منقضية متصرمة لان كل ما يفنى وان طالت مدته كلا شئ بل أعطاهم الخلود في النعيم والبقاء الدائم في الملك المقيم وناهيك به شرفا تسميته اياهم باسمه الكريم وهو الحي الذي لا يموت * جاء في تفسير قوله تعالى وملكا كبيرا أنه يرسل الله تعالى الملك الى وليه ويقول له استأذن على عبدي فان أذن لك فادخل والا فارجع فيستأذن عليه من سبعين حجابا ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل عنوانه من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فاذا افتتح الكتاب وجد مكتوبا فيه عبدي اشتقت اليك فزرني فيقول هل جئت بالبراق فيقول نعم فيركب البراق فيغلب الشوق على قلبه فيحمله شوقه ويبقى البراق الى أن يصل الى بساط اللقاء

(من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول آجلا) ثمرة العمل وجدان الحلاوة فيه والنعيم به ويتصور ذلك في أكثر الاعمال بالمواظبة عليه على حال تكره واستثقال له هذا هو غالب الامر قال بعض العارفين ليس شئ من البر الا ودونه عقبة يحتاج الى الصبر فيها فمن صبر على شدتها أفضى الى الراحة والسهولة وانما هي مجاهدة النفس ثم مخالفة الهوى ثم مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتنعم وقال

عتبة الغلام رضى الله تعالى عنه كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة
وقال ثابت البنانى رضى الله تعالى عنه كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به
عشرين سنة وقال بعض العلماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته
كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه رضى الله عنهم
ثم رفعت الى مقام فوقه وكنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تصدق الله تعالى بمنزلة أخرى فأنا الآن كأنى
أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وماذكرناه من الحلاوة
والنعيم انما هو ثمرة الاعمال الصحيحة المستقيمة السالمة من الرياء والدعوى قال أبو
تراب رضى الله تعالى عنه اذا صدق العبد فى العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله واذا
أخلص فيه وجد حلاوته وقت مباشرة العمل والاعمال الموصوفة بهذه الصفات
مقبولة بفضل الله تعالى ورد فى الخبر لا يقبل الله تعالى من مسمع ولا مراء دليل خطابه
أن العمل السالم من الرياء والسمعة مقبول من قوله عز من قائل انما يتقبل الله من
المتقين وقبول الله تعالى لعمل العبد ورضاه به هو ثوابه المعجل كما يقول المؤلف بعد
هذا وذلك علامة على وجود الجزاء عليه فى الدار الآخرة حسبما يأتى فى قوله وجدان
ثمرات الطاعات عاجلا بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا وقال أبو سليمان
الدارانى رضى الله تعالى عنه كل عمل ليس له ثواب فى الدنيا ليس له جزاء فى الآخرة
فحصل من هذا ان وجدان الحلاوة علامة على وجود القبول المقتضى لوجود الرضا
والجزاء ولذلك قال الحسن رضى الله تعالى عنه تفقدون الحلاوة فى ثلاث فان
وجدتموها فأبشروا وامضوا القصد كم وان لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق عند
تلاوة القرآن وعند الذكر وعند السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار
وقيل فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال جنة معجلة وهى حلاوة
الطاعات ولذاذة المناجاة والاستئناس بفنون المكاشفات وجنة مؤجلة وهى فنون
المثوبات وعلو الدرجات قلت وهذه الحلاوة المذكورة لا تكون الا فى مقام المعرفة
الخاصة وهى التى تنافيها المعصية قيل لبعضهم هل تعرف الله تعالى فغضب على
السائل وقال أترانى أعبد من لا أعرفه فقال له أو تعصى من تعرفه وقيل لبعضهم بم
تعرف أنك عرفته فقال لم أقصد مخالفته الا ورد على قلبى استحياء منه وقال
اسمعيل بن نجيد رضى الله تعالى عنه التهاون بالامر من قلة المعرفة بالآمر فان
العصيان فى حال العرفان بعيد فان وقعت منه زلة أو هفوة بحكم وكان أمر الله قدرا
مقدورا وجد لامحالة لذلك مرارة وألما فى قلبه فوجدان هذه المرارة والالم فى
المعصية علامة على صحة ما وجد من الحلاوة والنعيم فى الطاعة فهذه هى الحلاوة
التى هى الميزان للاعمال المقبولة وغير المقبولة كما ذكرناه وأما الحلاوة التى يجدها

(اذا أردت أن تعرف قدرك عنده) هل أنت من المقبولين السعداء أو من المردودين الأشقياء (فانظر فيماذا يقيمك) من طاعة أو ضدها فمن كان من أهل السعادة والقبول استعمله مولاه فيما يرضيه عنه من أنواع الطاعات ومن كان من أهل *(٩١)* الشقاوة استعمله فيما يسخطه عليه من أنواع المخالفات وهذا يناسب العامة وأما الخاصة فيقال فيه ان أردت أن تعرف قدرك أي منزلتك عنده هل أنت من المقربين أولا فانظر فيماذا يقيمك أي يورده على قلبك من ادراك جلالته وعظمته قال عليه الصلاة والسلام من أراد أن يعلم منزلته عند الله فليعلم منزلة الله من قلبه (متى رزقك الطاعة) أي امتثال الاوامر واجتناب النواهي في ظاهرك (والغنى به عنها) بانه لا تركن اليها في نيل مطلوبك بل تعلق قلبك بمولاك وتغيب عن كل شئ سواه (فاعلم انه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة) وهي تلك الطاعة (وباطنة) وهي معرفتك التي أوجبت لك الغيبة عنها وعدم رؤيتها

من دون أهل هذا المقام في بعض العبادات فدخوله معلولة الا انهما من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة والحلاوة على الاطلاق اذا وجدها العامل في العمل لا ينبغي له أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن اليها وكذلك أيضا لا ينبغي له أن يقصد بعمله الى نيلها لما له فيها من اللذة والحظ فان ذلك مما يقدح في اخلاص عبادته وصدق ارادته وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانا لاعماله ومحكا لاحواله فقط * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه استحلاء الطاعات سموم قاتلة قال في لطائف المنن وصدق الواسطي فانظر ما في ذلك انك اذا فتح لك باب حلاوة الطاعة تصير قائما فيها متطلبا لحلاوتها فيفوتك صدق الاخلاص في نهوضك لها وتحب دوامها لا قياما بالوفاء ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائما لله وفي الباطن انما قمت لحظ نفسك ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا فتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك

* اذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيماذا يقيمك *

هذا ميزان صحيح وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله عز وجل ينزل العبد عنده حيث أنزله العبد من نفسه وهذا الانزال المذكور المنسوب الى العبد هو معنى الاقامة المذكورة اذ العبد لا فعل له على التحقيق قال الفضيل بن عياض رضي الله تعالى عنه انما يطيع العبد ربه على قدر منزلته منه وقال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه فاذا كان العبد ناظرا لمولاه مكرما لحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته مسارعا كان الله عز وجل له في الآخرة لوجهه مكرما ولشأنه معظما والى مسرته من النعيم المقيم مسارعا واذا كان العبد بحق مولاه متهاونا وبأمره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان الله عز وجل له مهينا وبشأنه متهاونا والى ما يكره من العذاب الأليم له مسارعا والعياذ بالله من ذلك وقال وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه قرأت في بعض الكتب يا ابن آدم أطعني فيما أمرتك ولا تعلمني بما يصلحك اني عالم بخلقي انما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمري لست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقي

* متى رزقك الطاعة والغنى به عنها فاعلم انه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة *

المطلوب من العبد شيئان اقامة الامر في الظاهر والتعلق بالله في الباطن وهو الاستغناء به عن غيره فاذا رزق الله تعالى العبد هذين الامرين فقد أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة وأوصله الى

(خير ما تطلبه منه) أى أفضل الاشياء التى تطلبها منه (ما هو طالبه منك) من الاستقامة على سبيل العبودية له فهذا خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك دنيوية كانت أو أخروية فان فى ذلك حظا لنفسك (الحزن على فقدان الطاعة) *(٩٢)* بضم الفاء وكسرها أى عدم وجودها فى الحال

غاية الامل فى الدنيا والآخرة سبحانه جل وعلا وقال رضى الله تعالى عنه (خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك) ان كان لابد من الطلب منه فاطلب ما هو طالبه منك من الاستقامة على سبيل العبودية له فذلك خير لك من طلبك لحظوظك ومراداتك لانك حينئذ تكون به وله ويسعفك بطلوبك عاجلا من غير تأخير وأما ان طلبت منه حظ نفسك ونيل مرادك فقد يحصل فى ذلك تأخير ومنع مع ما يفوتك حينئذ من حسن الادب فى الطلب * يحكى عن أبى الحسين الديلمى رضى الله تعالى عنه أنه قال وصف لى بانطاكية انسان أسود يتكلم على القلوب قال فقصدته فلما رأيته رأيت معه شيأ من المباحات يريد أن يبيعه فساومته وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الى ثم قال اقعد فانك جائع منذ يومين حتى اذا بعناه نعطيك من ثمنه شيأ قال فمضيت الى غيره وتغافلت كأنى لم أسمع ما قال وساومت غيره ما كان بين يديه ثم رجعت اليه وقلت له بكم تبيع هذا فنظر الى وقال اقعد فانك جائع منذ يومين حتى اذا بعناه نعطيك من ثمنه شيأ قال فوقع فى قلبى منه هيبة فلما باع ذلك أعطانى شيأ ومضى قال فمضيت خلفه لعلى أستفيد منه شيأ قال فالتفت الى وقال اذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله الا أن يكون لك فيها حظ فتحجب بها عن الله تعالى ومن دعاء أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه اللهم وكل سؤال سألتك فعن أمرك لى بالسؤال فاجعل سؤالى اليك سؤال محابك ولا تجعلنى ممن يتعمد بسؤاله مواضع الحظوظ بل يسأل القيام بواجب حقك ومن دعائه أيضا اللهم انى أسألك منك ما هو لك واستعيذك من كل أمر يسخطك اللهم ولا تشغلنى بشغل من شغله عنك ما أراده منك الا أن يكون لك اللهم اجعلنى ممايذكرك ذكر من لا يريد بذكره منك الا ما هو لك اللهم اجعل غاية قصدى اليك ما هو لك ولا تجعل قصدى اليك ما أطلبه منك (الحزن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامات الاغترار) هذا هو الحزن الكاذب الذى يكون معه البكاء الكاذب كما قالوا كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن مكر الله تعالى الخفى حيث منعه ما ينفعه وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء سمعت رابعة رضى الله تعالى عنها رجلا يقول واحزناه فقالت قل واقلة حزناه لو كنت محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس وأما الحزن الصادق فبخلاف هذا وهو مقام من مقامات السالكين وهو يبعث على الانكماش فى الاعمال والنهوض الى الطاعات على كل حال قال الشيخ أبو على الدقاق رضى الله تعالى عنه صاحب الحزن يقطع من طريق الله عزوجل فى شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه

(مع عدم النهوض اليها) فى المستقبل (من علامات الاغترار) أى التعويل على ما لا حقيقة له وهذا هو الحزن الكاذب الذى يكون معه البكاء الكاذب كما قيل كم من عين جارية وقلب قاس وهو آمن مكر الله الخفى حيث منعه ما ينفعه وأعطاه ما يغتر به من الحزن والبكاء فانه قد يستحسن بذلك حاله ويعد نفسه شيأ أما الحزن الصادق وهو الذى يبعث على الطاعات ويكون معه البكاء الصادق فهو من مقامات السالكين قال أبو على الدقاق صاحب الحزن يقطع من طريق الله فى شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه فى سنين

فى

(ما العارف من اذا أشار) الى شيء من أسرار الحق سبحانه (وجد الحق أقرب اليه من اشارته) بأن كان حاضرا معه لم يغب عنه بل هو ملاحظه فى حال اشارته وأقرب اليه منها فهذا ليس بعارف حقيقة لبقائه مع نفسه لانه حينئذ ملاحظ ان هنا مشيرا ومشارا اليه ومشارا به وما دام يتعقل انه مشير والحق مشار اليه وذلك الكلام الذى صدر منه اشارة فهو الى الآن لم يفن عن نفسه ولم يخرج عن دائرة حسه والاشارة ألطف من العبارة لانها ايماء فقط وتلويح لا تصريح وهى (التى يستعملها أهل الطريق رضى الله تعالى عنهم فيما بينهم عند ذكرهم لما يفتح الله به عليهم من الاسرار التوحيدية والعلوم اللدنية والمواجيد والاذواق فالمشير الى شئ من *(٩٣)* ذلك الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى

فى سنين وفى الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفى التوراة ان الله اذا أحب عبدا نصب فى قلبه نائحة واذا ابغض عبدا نصب فى قلبه مزمارا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكر وقيل الحزن اذا فقد من القلب خرب ومن لم يذق طعم الحزن لم يذق لذة العبادة فاذا الحزن الذى يجده العبد من نفسه ان لم يبعثه على النهوض والانكماش والاجتهاد فذلك من علامات الاغترار وليس بمقام السالكين الابرار

(ما العارف من اذا أشار وجد الحق أقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارة له لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده) الاشارة ألطف من العبارة وهى كناية وتلويح وايماء لا تصريح وهى التى يستعملها أهل هذه الطريقة فيما بينهم عند ذكرهم لاسرار التوحيد كما تقدم عند قوله من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ومعبرا عن كل ما شهد فالمشير الى الله تعالى الملاحظ لاشارته وان وجد الله تعالى أقرب اليه من اشارته غير عارف على التحقيق لانه بوصف التفرقة بشهوده للاغيار بل العارف الفانى فى وجوده المنطوى فى شهوده الذى غاب عن الاشارة والمشير والمشار به * سئل الشيخ أبو على الدقاق رضى الله تعالى عنه عن المريد فقال حقيقة المريد ان يشير الى الله تعالى فيجد الله مع نفس الاشارة قيل له فالذى يستوعب حاله قال هو الذى يجد الله باسقاط الاشارة وسئل أبو على الروذبارى رضى الله تعالى عنه عن الاشارة فقال الاشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار اليه لا غير وفى الحقيقة ان الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من عين الحقائق وقال الشبلى رضى الله تعالى عنه كل اشارة أشار بها الخلق الى الحق فهى مردودة عليهم حتى يشيروا الى الحق بالحق وليس لهم الى ذلك طريق وقال أبو يزيد رضى الله تعالى

أقرب اليه منها بأن لم يغب عنه فى حال الاشارة غير عارف على التحقيق لانه بوصف التفرقة بشهوده للاغيار (بل العارف) حقيقة (من لا اشارة له) أى من لا يشهد أن له اشارة وان وقعت منه (لفنائه فى وجوده وانطوائه فى شهوده) الضمير لذلك العارف وفى بمعنى عن أى لفنائه عن وجود نفسه وانطوائه عن شهودها ويحتمل عوده للحق سبحانه وتعالى اى ان العارف حقيقة هو الذى غاب عن الاشارة والمشير والمشار به فاذا وقعت منه اشارة لا يشهدها ولا يشعر بها لكون المشير والمشار اليه حينئذ هو الله تعالى لان العارف حينئذ فى مقام الجمع ومن كان كذلك فهو غائب عن رؤية نفسه قال الشيخ يوسف العجمى قدس الله سره من تكلم فى مقام الجمع فليس بمتكلم وانما المتكلم الحق سبحانه على لسان عبده وهو قوله فى الخبر القدسى فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق اه وسئل بعضهم عن الفناء فقال هو أن تبدو العظمة والاجلال على العبد فتنسيه الدنيا والآخرة والدرجات والاحوال والمقامات والاذكار وتفنيه عن كل شئ وعن عقله وعن نفسه وفنائه عن الاشياء وعن فنائه عن الفناء لغرقه فى التعظيم اه

(الرجاء) أي الحقيقي (ما قارنه عمل) أي ما كان باعثا على الاجتهاد في الاعمال كما مر في الحزن لان من رجا شيأ طلبه ومن خاف من شئ هرب منه (والا) يقارنه عمل بل كان يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب (فهو أمنية) أي فليس برجاء حقيقة عند العلماء بل هو أمنية واغترار بالله تعالى ويقال له أيضا رجاء كاذب قال تعالى فخلف من بعدهم (٩٤) * خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والخلف الردىء من الناس وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني (مطلب العارفين من الله تعالى) أعلى من مطلب غيرهم سواء كان عابدا أو زاهدا أو عالما لان مطلبهم أعلاها هو (الصدق في العبودية) وهو التزام آدابها والتخلق بأخلاقها والقيام بحقوق الله فيها كالشكر على ما أولاه والصبر على ما ابتلاه ومعاداة من عاداه وموالاة من والاه وترك الاختيار عليه والتدبير معه ودوام المراقبة له والوقوف ببابه لابسا ثوب التواضع والذلة باسطا يد الفقر ماسكا حبل الرجاء مرتديا برداء الخشية الى غير ذلك من أوصاف العبودية وأخلاقها فمن صدق في ذلك كان موفيا بما عاهد الله عليه (والقيام بحقوق الربوبية) في ظاهرهم

عنه أبعدهم من الله أكثرهم اشارة اليه (الرجاء ما قارنه عمل والا فهو أمنية) الرجاء مقام شريف من مقامات اليقين وهو يبعث على الاجتهاد في الاعمال كما ذكرناه في الحزن لان من رجا شيأ طلبه ومن خاف من شئ هرب منه وأما الرجاء الكاذب الذي يفتر صاحبه عن العمل ويجرئه على المعاصي والذنوب فليس هذا برجاء عند العلماء ولكنه أمنية واغترار بالله تعالى وقد ذم الله قوما ظنوا مثل هذا وأصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا المغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردىء من الناس فقال عز من قائل فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال معروف الكرخي رضي الله تعالى عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحمق وقال معروف الكرخي أيضا رضي الله عنه رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه خذلان وحمق واعلم انه ليس في أفعال الحق سبحانه ما يوجب أن يؤمن عقابه انما في أفعاله ما يمنع اليأس من رحمته وكما لا يحسن أن لا يظهر من لطفه في خلقه لا يحسن الطمع في جانبه ويؤمن أخذه وانتقامه فان من قطع أشرف عضو بربع الدينار لا يؤمن ان يكون عذابه غدا هكذا وقد قالوا من زعم ان الرجاء مع الاصرار صحيح فليزعم ان طلب الريح في القبر وقدح النار في البحر صحيح وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى الاماني وقال الحسن رضي الله تعالى عنه ان قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنة يقول أحدهم أحسن الظن بربي وهو يكذب لو أحسن الظن بربه لاحسن العمل وتلا قول الله عز وجل وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين وكان يقول رضي الله تعالى عنه عباد الله اتقوا هذه الاماني فانها أودية الهلكة تحلون فيها والله ما آتى الله عبدا بأمانيه خيرا في الدنيا ولا في الآخرة وكتب أبو عمير المنصوري الى بعض اخوانه أما بعد فانك قد أصبحت تؤمل بطول عمرك وتتمنى على الله الاماني بسوء فعلك وانما تضرب حديدا باردا (مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية) مطلب العارفين

بالطاعة وفى باطنهم بالمراقبة له ودوام الحضور معه أى أنهم لا يطلبون منه الا هذين الامرين من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس بخلاف من عداهم فانه لم يفارق الحظوظ والاغراض فى مطالبه فلذا كان مطالبهم أعلى المطالب قال أبو مدين قدس الله سره شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور (بسطك) أيها العارف (كى لا يبقيك مع القبض) الذى فيه قهر لنفسك وان كان فيه نفع لك كما سيأتى (وقبضك كى لا يتركك مع البسط) الذى فيه حظ لها (وأخرجك عنهما) بفنائك عن نفسك وبقائك به (كى لا تكون لشئ دونه) فلا تكون باقيا مع شئ من أوصافك المؤلمة ولا المؤنسة فان ذلك حجاب لك عن ربك ويسمى حالك حينئذ اعتدالا لا قبضا ولا بسطا والمعنى لوّن عليك الاحوال لتتمكن وتفنى عنهما فالقبض لاهل البدايات من العارفين ولولاه لما انجمعت حقائقهم وانكفت عن العوائد والشهوات والبسط لاهل الاشراق على مبادى الفتح كى تسترسل قواهم وتستعين عوالمهم بما ترتاح اليه من نسمات الحق وشواهد رضاه والاعتدال *(٩٥)* لاهل النهايات كى تستقيم أحوالهم وتصفو أعمالهم ويدوموا بين يدى مولاهم بلا علة ويؤخذ من ذلك ان القبض والبسط وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما لانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده لكنهما يتوصل بهما الى التمكن فمن لطف الله تعالى بعبده تلوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه فهما من أحوال المبتدئين من العارفين يتلونون فيهما كما يتلون المبتدئون من المريدين فى الرجاء والخوف ويفترقان بأن الرجاء والخوف محلهما بمن يتوقع أمر يحصل فى المستقبل فما معه توقع أمر محذور مخوف أو محبوب فرجاء وما لا توقع معه فقبض فى الاول وبسط فى الثانى وسببهما الواردات التى ترد على باطن العارف وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الوارد وضعفه فاذا تجلى للقلب وارد الجلال حصل فيه القبض واذا تجلى فيه وارد الجمال حصل فيه البسط فالقبض بوارد حاصل فى

من ربهم أعلى من مطالب غيرهم سواء كانوا عبادا أو زهادا أو علماء لان مطالب العارفين من ربهم انما هو الصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية فقط من غير مراعاة حظ ولا بقاء مع نفس وكل من عداهم لم يفارقوا الحظوظ والاغراض فى مطالبهم وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى خير ما تطلبه منه ما هو طالبه منك قال سيدى أبو مدين رضى الله تعالى عنه شتان بين من همته الحور والقصور وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور (بسطك كى لا يبقيك مع القبض وقبضك كى لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كى لا تكون لشئ دونه) القبض والبسط من الحالات التى يتلون بها العارفون وهما بمنزلة الخوف والرجاء للمريدين المبتدئين وسببهما الواردات التى ترد على باطن العبد وقوتهما وضعفهما بحسب قوة الواردات وضعفها والمقصود ههنا انهما وصفان ناقصان بالنسبة الى ما فوقهما فانهما يقتضيان بقاء العبد ووجوده فمن لطف الله بعبده تكوينه فيهما ثم اخراجه عنهما بفنائه عن نفسه وبقائه بربه قال فارس رضى الله تعالى عنه القبض أولا ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لان القبض والبسط يقعان فى الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا وكان الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول الخوف يقبضنى والرجاء يبسطنى والحقيقة تجمعنى والحق يفرقنى اذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى واذا بسطنى بالرجاء ردنى على واذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى واذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى فغطانى عنه فهو فى ذلك كله محركى غير ممسكى وموحشى غير مؤنسى

الوقت وكذلك البسط لان العارف لايهتم لنفسه حتى يراعى مستقبلات الامور (العارفون اذا بسطوا أخوف منهم) أى أكثر خوفا من أنفسهم (اذا قبضوا) وذلك لملاءمة البسط لهوى أنفسهم فيخافون حينئذ من الوقوع فيما تكرهه والبه ٥ (٩٦) * من التحدث بالاحوال والكرامات وغيرها وربما كان فى ذلك الطرد والبعد وأيضا قد يصدر منه فى ذلك الوقت كلام لا يليق بحضرة الرب جل جلاله وحينئذ يتأكد عليهم فى ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك أمر عسر فى هذا الحال ولذا قال (ولا يقف على حدود الادب فى البسط الا قليل) قال فى لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو فى أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به (البسط ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكمه وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هى وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى اه

حضورى لذوق طعم وجودى فليته أفنانى عنى فمتعنى أو غيبنى عنى فروحنى وقد تكلم صاحب كتاب عوارف المعارف فى القبض والبسط بكلام بديع طويل تركت نقله ههنا اختصارا فمن أراده فلينظره هناك (العارفون اذا بسطوا أخوف منهم اذا قبضوا ولا يقف على حدود الادب فى البسط الا قليل) انما اشتد خوف العارفين فى البسط مالم يشتد فى القبض من قبل ملاءمته لهوى أنفسهم بخلاف القبض كما سيقوله المؤلف الآن فيخافون حينئذ من رجوعهم اليه وذوقهم لطعم نفوسهم وفى ذلك الطرد والبعد وقد كتب يوسف بن الحسين الرازى الى الجنيد رضى الله تعالى عنهما لا أذاقك الله طعم نفسك فانك ان ذقتها لا تذوق بعدها خيرا أبدا ومن ثم يتأكد عليهم فى ذلك ملازمة الادب ودوام الانقباض والانكسار وذلك أمر عسير فى هذا الحال ولذلك لا يقف على حدود الادب فى البسط الا قليل كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد قيل قف على البساط واياك والانبساط وقال رجل لابى محمد الجريرى رضى الله تعالى عنه كنت على بساط الانس وفتح على طريق البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامى فكيف السبيل اليه دلنى على الوصول الى ما كنت عليه فبكى أبو محمد وقال يا أخى الكل فى قهر هذه الخطة لكنى أنشدك أبياتا لبعضهم وأنشأ يقول

قف بالديار فهذه آثارهم * تبكى الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بربعها مستخبرا * عن أهلها أو سائلا أو مشفقا
فأجابنى داعى الهوى فى رسمها * فارقت من تهوى فعز الملتقى

وسئل بعض المشايخ عن هذه الزلة فقال انبساط مع الحق بغير أدب قال الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه ومن هذا خشى الاكابر والسادة قال فى لطائف المنن البسط مزلة أقدام الرجال فهو موجب لمزيد حذرهم وكثرة لجئهم والقبض أقرب الى وجود السلامة لانه وطن العبد اذ هو فى أسر قبضة الله واحاطة الحق محيطة به ومن أين يكون للعبد البسط وهذا شأنه والبسط خروج عن حكم وقته والقبض هو اللائق بهذه الدار اذ هى وطن التكليف وابهام الخاتمة وعدم العلم بالسابقة والمطالبة بحقوق الله تعالى قال وأخبرنى بعض الصوفية قال رأى شيخنا شيخه فى المنام بعد موته مقبوضا فقال له يا أستاذ مالك مقبوضا فقال له يا بنى القبض والبسط مقامات من لم يوفهما فى الدنيا وفاهما فى الآخرة قال وكان هذا الشيخ الغالب عليه فى حياته البسط انتهى

(البسط تأخذ النفس منه *(٩٧)* حظها بوجود الفرح والقبض لاحظ للنفس فيه) فهذا اشارة لما تقدم من أن مراعاة الادب فى البسط من الامر العسير فلذا كان لا يقف عند حدود الادب فيه الا القليل بخلاف القبض فكانه يقول انما كان كذلك لان النفس تأخذ منه حظها ومن شأن النفس اذا وجدت حظها الغفلة ونسيان الحقوق والدعوى باطها وماعندها من العلوم والفهوم والاحوال والاسرار والتحدث بالخصوصية والتلذذ بنسبة الخوارق والاشارة الى الكرامات وادراك المقامات كل على حسب حاله وكل ذلك منافٍ للعبودية بخلاف القبض فانه لاحظ للنفس فيه فلا تمالك أن تظهر شيأ من ذلك فهو أقرب للسلامة ووجود الغيرة على الوفاء بآداب العبودية ولذا آثره العارفون على البسط

﴿البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح والقبض لاحظ للنفس فيه﴾ فى هذه الاشارة لما تقدم من أن مراعاة الادب فى البسط أمر عسير وذلك أن فى البسط وجود حظ النفس فيستولى عليها الفرح بذلك فلا يتمالك حتى يقع فى سوء الادب والقبض ليس فيه حظ للنفس فلذلك كان أسلم وكان الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله تعالى عنه يقول القبض حق الحق منك والبسط حق العبد منه ولان يكون بحقه منك أتم من أن يكون بحظك منه وأما آداب القبض والبسط فلا أعلم الآن من استوفى الكلام فيهما من علماء الصوفية ومصنفيهم وانما وجدنا لهم من ذلك اشارات الى أمور جملية كقول الامام أبى القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه بعد أن تكلم على لفظتى القبض والبسط وتبيين معانيهما الى أن قال وقد يكون قبض يشكل على صاحبه سببه يجد فى قلبه قبضا لا يدرى ما موجبه وسببه وسبيل صاحب هذا القبض التسليم حتى يمضى ذلك الوقت لانه لو تكلف نفيه أو استقبل الوقت قبل هجومه عليه باختياره زاد فى قبضه ولعله يعد ذلك منه سوء أدب واذا استسلم لحكم الوقت فعن قريب يزول القبض فان الحق سبحانه قال والله يقبض ويبسط وقد يكون بسط يرد بغتة ويصادف صاحبه فلتة لا يعرف له سببا يهز صاحبه ويستفزه فسبيل صاحبه السكون ومراعاة الادب فان فى هذا الوقت له خطر عظيم فليحذر صاحبه مكرا خفيا كما قال بعضهم فتح على باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامى اهـ كلام الامام أبى القاسم وقد رأيت كلاما مبسوطا مستوفى فى آداب القبض والبسط لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه فاحببت أن أذكره هنا لتتم به الفائدة التى تعرض لها المؤلف رحمه الله تعالى وان كان كلام الشيخ أبى الحسن فى ذلك أعم مما هو عند غيره من أئمة الصوفية قال رضى الله تعالى عنه القبض والبسط قلما يخلو العبد منهما وهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار والحق سبحانه يقتضى منك العبودية فيهما فمن كان وقته القبض فلا يخلو من أن يعلم سببه أو لا يعلم وأسباب القبض ثلاث ذنب أحدثته أو دنيا ذهبت عنك أو نقصت لك أو ظالم يؤذيك فى نفسك أو فى عرضك أو ينسبك لغير دين أو غير ذلك فاذا ورد عليك القبض من أحد هذه الاسباب فالعبودية تقتضى أن ترجع الى العلم مستعملا له كما أمرك الله تعالى أما فى الذنب فبالتوبة والانابة وطلب الاقالة وأما فيما ذهب عنك من الدنيا أو نقص فبالتسليم والرضا والاحتساب وأما فيما يؤذيك به ظالم فبالصبر والاحتمال واحذر أن تظلم نفسك فيجتمع عليك ظلمان ظلم غيرك لك وظلمك لنفسك فان فعلت ما ألزمت به من الصبر والاحتمال أثابك سعة

الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضا ما ترحم به من ظلمك فتدعو له فتصاب فيه دعوتك وما أحسن ذلك اذا رحم الله بك من ظلمك فتلك درجات الصديقين الرحماء وتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين وأما اذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سببا فالوقت وقتان ليل ونهار فالقبض أشبه شئ بالليل والبسط أشبه شئ بالنهار فاذا ورد القبض بغير سبب تعلمه فالواجب عليك السكون والسكون على ثلاثة أشياء عن الاقوال والحركات والارادات فان فعلت ذلك فعن قريب يذهب عنك الليل بطلوع شمس نهارك أو يبدو نجم تهتدي به أو قمر تستضيء به أو شمس تتبصر بها والنجوم نجوم العلم والقمر قمر التوحيد والشمس شمس المعرفة وان تحركت في ظلمة ليلك فقلما تسلم من الهلاك واعتبر بقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فهذا حكم العبودية في القبضين جميعا وأما من كان وقته البسط فلا يخلو من أن يعلم له سببا أولا والاسباب ثلاثة الاول زيادة في الطاعة أو نوال في المطاع كالعلم والمعرفة والسبب الثاني زيادة من دنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة والسبب الثالث بالمدح والثناء من الناس واقبالهم عليك بطلب الدعاء منك وتقبيل يدك فاذا ورد عليك البسط من أحد هذه الاسباب فالعبودية تقتضي أن ترى أثر النعمة والمنة من الله عليك واحذر أن ترى شيأ من ذلك لنفسك وحصنها أن لا يلازمها خوف السلب مما به أنعم عليك فتكون عقوتا هذا في جانب الطاعة والنوال من الله تعالى وأما الزيادة من الدنيا فهي نعمة أيضا كالاولى وخف مما بطن من آفاتها وأما مدح الناس لك وثناؤهم عليك فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستره عليك وخف من الله تعالى أن يظهر ذرة مما بطن منك فيمقتك أقرب الناس اليك فهذه آداب القبض والبسط في العبودية وأما البسط الذي لا تعلم له سببا فحق العبودية فيه ترك السؤال والادلال والصولة على النساء والرجال اللهم الا أن تقول سلم سلم الى المنات فهذه آداب القبض والبسط في العبودية جميعا ان عقلت والسلام انتهى ما ذكره الشيخ أبو الحسن وكلامه في ذلك حسن والحمد لله الذي بيده سوابغ المنن

(ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك) منع الله تعالى عبده من نيل شهواته ولذاته والكون مع شئ من عاداته عطاء جزيل منه لانه أبقاه معه وأقتعطه من حظوظه وأغراضه وجرده منها وعكس هذا هو المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر قال الشيخ محيي الدين بن العربي اذا منعت فذلك عطاؤه واذا أعطيت فذلك منعه فاختر الترك على الاخذ فالواجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار

(ربما أعطاك) شيأ من الدنيا ولذتها (فمنعك) التوفيق لطاعته والاقبال عليه والفهم منه (وربما منعك) من الاول (فأعطاك) الثاني فمنع الله لك من نيل شهواتك ولذاتك والكون مع شئ عاداتك عطاء جزيل منه لانه أبقاك معه واقتطعك من حظوظك وأغراضك وعكس ذلك هو المنع على التحقيق وان كان عطاء في الظاهر فلا تنظر للظاهر العطاء والمنع بل للحقيقة الامر وحينئذ فيجب على العبد أن يترك التدبير والاختيار لمولاه

(متى فتح لك باب الفهم فى المنع) بان فهمت أن ذلك المنع رحمة منه بك ولولا انه يعلم انه خير لك من العطاء ما أنزله بك (عاد المنع) أى صار (عين العطاء) ومن الفهم فى المنع ما سيأتى فى قوله ومتى منعك أشهدك قهره الخ (الاكوان) أى المكونات التى للنفس فيها حظ من متاع الدنيا وزهرتها (ظاهرها غرة) بكسر الغين أى سبب فى الاغترار بها لحسنها وبهجتها (وباطنها عبرة) بكسر العين أى سبب فى الاعتبار بها والانكشاف عن قبحها وخستها والنظر الى * (٩٩) * عاقبتها وهى الفناء فهى حسنة الظاهر قبيحة الباطن فمن نظر الى ظاهرها وجدها حلوة نضرة فيغتر بها ويميل اليها ومن نظر الى باطنها وجدها جيفة قذرة فيعتبر بها وينكف عنها (فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها) أى زينتها الظاهرة فتغتر بها وتهلك صاحبها (والقلب ينظر الى باطن عبرتها) أى الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها ويسلم من شرها (ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى) بأن تستغنى عن جميع الاسباب بوجود مسببها لانه باق فيكون تعلقك به عزا لا يفنى (فلا تستعزن بعز يفنى) بأن تستغنى بها مع الغيبة عن مسببها لانها فانية فيكون تعلقك بها عزا لا يبقى بل تزول بزوالها فان اعتززت بالله دام عزك ولم يقدر أحد أن يذلك وان اعتززت

لمن بيده ذلك فان يعدم منه خيرا * (متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع عين العطاء) سيأتى بيان هذا من كلام المؤلف رحمه الله فى قوله متى أعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره الى آخره * (الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها والقلب ينظر الى باطن عبرتها) الاكوان ههنا كل ما يمكن أن يكون للنفس فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها وهى رائقة الظاهر قبيحة الباطن كما قيل

على وجه مى مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

فهى من حيث ظاهرها محبوبة حلوة خضرة وبالنظر الى باطنها جيفة قذرة فالنفس تنظر الى زينتها الظاهرة فتغتر بها فتهلك صاحبها والقلب ينظر الى قبائحها الباطنة فيعتبر بها فيسلم من شرها وقد روى فى الكتب السالفة أن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام يا روح الله صف لنا أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال عليه السلام هم الذين بهم نطق الكتاب وبه عملوا وبهم قام الكتاب وبه قاموا نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم فصار ذكرهم فيها فوتا وفرحهم فيها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما أشرف لهم بصيرا الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت فى صدورهم فلم يحيوها يعدونها وبنوابها آخرتهم أحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم الخبر العجيب وعندهم الخبر العجيب وكان بعض الاولياء يقول ما سطع لى زينة من زخرف الدنيا الا كشف لى باطنه فظهر لى غرورها قال أبو طالب المكى فهذه عناية من الله تعالى لمن وليه من أوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يحجب بظاهرها ومن كشف له بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن * (ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى) العز الذى لا يفنى هو الغنى عن الاسباب كلها

بغيره من مال أو جاه وغيرهما بأن ركنت اليه وجعلته معتمدك وغفلت عن مولاك فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز ولذا سمع بعض العارفين شخصا يبكى فقال له ما شأنك فقال مات أستاذى فقال له العارف ولم جعلت أستاذك من يموت (الطى* الحقيقى أن تطوى) أيها المريد (مسافة الدنيا عنك) بأن لا تشتغل بلذاتها *(٠ ١*) وشهواتها ولا تركن اليها بل تغيب عنها (حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك) أى تكون نصب عينيك ليست غائبة عن قلبك فهذا هو الطى الحقيقى الذى يكرم الله به أولياءه وبه تحقق عبوديتهم لربهم لا طى مسافة الارض بأن تكون من أهل الخطوة لانه ربما كان استدراجا ومكرا ولا طى الليالى والايام بالقيام والصيام لانه ربما قارنه رياء أو عجب فتكون عاقبته الخسران ولا يمكن أن تطوى عن العبد مسافة الدنيا الا اذا أشرق نور اليقين فى قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا فى نظره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده ومن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الفانى وهو الدنيا واستبداله بالباقى وهو الآخرة أما اذا لم يشرق نور اليقين فى قلبه كان راغبا فى الدنيا مؤثرا لها على الآخرة راكنا اليها وغائبا عن مولاه لضعف يقينه وتقواه

طى

بوجود مسببها لانه باق لا يفنى فالتعلق به عز لا يفنى والعز الذى يفنى هو العز بالاسباب مع الغيبة عن مسببها لانها فانية فالتعلق بها عز فان لا يبقى والتعلق بالله عز لا يفنى وليس لك الا أحدهما لانهما ضدان لا يجتمعان فان اخترت العز الباقى بالله تعالى لم يقدر أحد أن يذلك يحكى ان رجلا أمر بالمعروف لهرون الرشيد فحرد عليه هرون الرشيد وكان له بغلة سيئة الخلق فقال اربطوه معها تقتله برمحها ففعلوا ذلك فلم تضره فقال اطرحوه فى بيت وطينوا عليه الباب ففعلوا ذلك فرؤى فى بستان وباب البيت مسدود فأخبر هرون الرشيد بذلك فأتى بالرجل فقال من أخرجك من البيت فقال الذى أدخلنى البستان فقال ومن أدخلك البستان فقال الذى أخرجنى من البيت فقال أركبوه دابة وطوفوا به فى البلد وليقل قائل ألا ان هرون قد أراد أن يذل عبدا أعزه الله فلم يقدر وان أردت العز بالاسباب خذلك وأسلمك أحوج ما تكون اليها وكنت فى غاية الذل والهوان * حكى عن بعضهم أنه قال رأيت رجلا فى الطواف وبين يديه شاكرية يطردون الناس فبعد ذلك بمدة رأيت انسانا يتكفف الناس على الجسر يسأل شيأ قال فنظرت اليه وشبهته بذلك الرجل فقال لاى شئ تنظر فقلت أشبهك برجل رأيته فى الطواف من شأنه كذا وكذا فقال أنا ذلك الرجل تكبرت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله فى موضع يترفع فيه الناس قال فى التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء لمن أنت به معتز قال وانشدنا بعض الفضلاء لنفسه

اجعل بربك شأن عزك يستقر ويثبت
فان اعتززت بمن يمو *ت فان عزك ميت

قال ودخل انسان على بعض العارفين وهو يبكى فقال ما شأنك قال مات أستاذى فقال له ذلك العارف ولم جعلت أستاذك من يموت ويقال لك اذا اعتززت بغير الله تعالى ففقدته واستندت الى غيره فعدمته وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما

(الطى الحقيقى أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك)

(العطاء من الخلق) أى اذا أعطوك شيأ فاخذته غافلا عن مولاك فهو وان كان اعطاء ظاهرا (حرمان) باطنا أى فى الحقيقة ونفس الامر لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك (والمنع منه الله) أى منع الله لك وعدم اعطائك (١٠١) *(احسان) حيث لم يغب قلبك عنه فهو وان كان منعا ظاهرا عطاء باطنا لانه الزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم فى أخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعله المحبوب محبوب وفى وصية على كرم الله وجهه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما اهـ وهو بناسب المعنى الاول (جل ربنا أن يعامله العبد نقدا) أى حالا بانواع الطاعات (فيجازيه نسيئه) بل لا يعطيه شيأ من جزاء عمله فى الحال فان ذلك ليس شأن الكريم القادر فجزاء العمل لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الله تعالى منه لبعض أوليائه شيأ فى الدنيا يحملهم على الاجتهاد فى الاعمال ويتحققون به قبولهم بين ذلك الجزاء المعجل بقوله (كفى من جزائه) أى مجازاته اياك (على الطاعة أن رضيك لها أهلا) أى توفيقك لها وانك تداركك عليها والا فصفتك الذاتية التكاسل عن الطاعة وعدم الاعتناء بها فاذا وفقك مولاك للقيام بها كان ذلك جزاء

طى مسافة الدنيا انما يتصور من العبد اذا أشرق نور اليقين فى قلبه فحينئذ تنعدم الدنيا فى نظره وتنطوى فى اعتباره ويرى الآخرة حاضرة لديه موجودة عنده بل يراها أقرب اليه منه اذ ذاته فانية منطوية بهذا الاعتبار فمن كانت هذه مشاهدته لا يتصور منه حب الغائب الفانى وهو الدنيا واستبداله بالحاضر الباقى وهو الآخرة ولذلك كان أصل الرغبة فى الدنيا وايثارها على الآخرة ضعف اليقين فمن لم يشرق فى قلبه نور اليقين لم يشاهد الملك الكبير ومن لم يشاهده أحب الدنيا وهى لا شئ فلم تكن قيمته عند الله تعالى شيأ فهذا هو الطى الحقيقى لمسافة الدنيا الذى يكرم الحق به أولياءه وبه تحقق عبوديتهم لربهم عز وجل لا طى مسافة الارض الذى ربما يكون استدراجا ومكرا ولا طى الليالى والايام بالوصال للصيام وترك الشراب والطعام اذا لم يتمحض طاعة وبرا وسيأتى من كلام المؤلف رحمه الله تعالى لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها (العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان) عطية الخلق لك حرمان على التحقيق لما فيه من رؤيتك لغير الله ووقوفك مع حظوظك وشهواتك ومنع الله لك احسان لانه ألزمك الوقوف ببابه وعافاك من وجود حجابه وان شئت قلت العطاء من الخلق حرمان لما فيه من وجود محبتك لهم على ذلك وتقلد منتهم فى أخذ عطيتهم والمنع من الله احسان لانه حبيبك وكل ما يفعل الحبيب محبوب ولله در من قال

فلا ألبس النعما وغيرك ملبسى * ولا أقبل الدنيا وغيرك واهب

وفى وصية على رضى الله عنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما وقال بعض الحكماء حمل المنن أثقل من الصبر على العدم وقال آخر عز النزاهة أشرف من سرور الفائدة وقال رضى الله عنه (جل ربنا أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئه) جزاء المعاملة لا يختص بالدار الآخرة بل ربما أظهر الحق تعالى منه لبعض أوليائه فى الدنيا أنموذجا يحملهم على الاجتهاد فى الاعمال ويتحققون به وجود قبولها فى كل الاحوال وذلك لعظيم كرمه وعميم فضله جل وعلا *(كفى من جزائه اياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا) هذا بيان جزائهم المعجل وهو أنه

ه لالك فى الدنيا لما يترتب عليه من مزيد الزلفى وأيضا فانت عبد حقير لا تستحق خدمة ملك الملوك فكونه قربك لخدمته ورضيك أهلا لها نعمة عظيمة منه عليك ثم ذكر جزاء آخر معجلا بقوله (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم فى طاعته) أى فى حال طاعته من المواهب الالهية والالهامات اللدنية وحلاوة التملق بين يدى ملك الملوك قال بعضهم ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة (١٠٢) وهذه الحلاوة هى التى يعبر عنها أهل الطريق بالاحوال والمواجيد والاذواق (وما هو موردة عليهم) أى على قلوبهم (من وجود مؤانسته) أى الانس به بعد حصول العمل وانقضائه قال بعضهم الانس هو سرور القلب بشهود جمال الحبيب وهو حالة توجب انتعاش المحب وصفاء وقته ويخاف فيه غوائل الادلال (من عبده) تعالى (للشئ يرجوه منه) وهو الثواب (او ليدفع بطاعته ورود العقوبة) أى حصولها له فى الدار الآخرة وقوله (عنه) متعلق بيدفع (فما قام بحق أوصافه) بل هو قائم بحظ نفسه من جلب الثواب أو دفع العقاب بخلاف ما اذا عبده لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التى لا يشاركه فيها أحد من كان كذلك يستحق ان يخدم بالعبادة فانه حينئذ يكون قائما بحق أوصافه أى موفيا لها حقها فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان أودّ الاوداء الىّ من عبدنى لغير نوال لكن يعطى الربوبية حقها وفى الحديث لا يكن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجرة لم يعمل

عرفهم من عظمته وجلاله وكبريائه ما استحقروا معه أنفسهم أن يكونوا أهلا لان يكلفهم القيام بطاعته ويمدهم فيها بتيسيره ومعونته فسباهم حينئذ حبه واستولى عليهم قربه فانخنست اذ ذاك نفوسهم واضمحل وجودهم وذهب بهم الحب كل مذهب وهذا هو غاية الجزاء ونهاية العطاء عند العلماء العارفين الذين يمنعهم وجدانه عن التطلع الى غيره من الحظوظ الآجلة (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم فى طاعته وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته) هذا بيان آخر لما يكرمهم به من الجزاء المعجل وهو ان العاملين لربهم يفتح لهم من المعارف ويورد على قلوبهم من أنواع اللطائف ما يتنسمون منه روح الانس ويتنعمون به فى حضرة القدس وهذا من علامات وجود الرضوان الاكبر الذى يتلاشى دونه كل جزاء ويستحقر كل عطاء قال بعضهم يقول التملق للحبيب والمناجاة للقريب فى الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة ظهر لاهل الله تعالى فى الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روح لقلوبهم وقال بعض العلماء ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال أحمد بن أبى الحوارى رضى الله عنه دخلت على أبى سليمان الدارانى رضى الله عنه يوما وهو يبكى فقلت له وما يبكيك فقال يا أحمد ولم لا أبكى انه اذا جنّ الليل ونامت العيون وخلا كل حبيب بحبيبه وافترش أهل المحبة أقدامهم وجرت دموعهم على خدودهم وتقطرت فى محاريبهم أشرف الجليل سبحانه فنادى يا جبريل بعينى من تلذذ بكلامى واستراح الى ذكرى وانى لمطلع عليهم فى خلواتهم أسمع أنينهم وأرى بكاءهم فلم لا تنادى فيهم يا جبريل ما هذا البكاء هل رأيتم حبيبا يعذب أحبابه أم كيف يجمل بى ان آخذ قوما اذا جنهم الليل تملقوا الىّ فبى حلفت اذا وردوا على القيامة لاكشفن لهم عن وجهى الكريم حتى ينظروا الىّ وأنظر اليهم (من عبده لشئ يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه)

عمل العاملين لاجل حصول الجزاء أو فرارا من عقوبة المولى مدخول معلول ليس من شأن الحاذقين المحققين لان قيام العبد بحق أوصاف مولاه يقتضي أن لا يعمل لاجل حظه من جلب ثواب أو دفع عقاب لانه عبد يستحق عليه مولاه كل شئ ولا يستحق هو عليه شيأ وهذا من أعلى المحبة لله تعالى لان المحب مجتمع الهم بأمر محبوبه لا مراد له الا ما أراد فعلى العبد أن يعمل لربه عز وجل لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد صفاته التي لا يشارك فيها فان خالف هذا وعمل على طلب حظه لم يقم بحق صفات مولاه وكان ذلك نتيجة جهله وغفلته وعدم حبه لربه ومعرفته قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه ما طلعت شمس ولا غربت على أحد على وجه الارض الا وهم جهال بالله تعالى الا من يؤثر الله تعالى على نفسه وروحه ودنياه وآخرته وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه ان أود الاوداء الي من عبدني لغير نوال لكي يعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب بن منبه من الزبور ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو لنار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع أو كما قال عز وجل وفي أخبار عيسى عليه السلام اذا رأيت التقي مشغوفا في طلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كانهم الشنان البالية فقال من أنتم فقالوا نحن عباد الله تعالى فقال ولاي شئ تعبدتم قالوا خوفنا الله من ناره فخفنا منها فقال حق على الله أن يؤمنكم مما خفتم منه ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لاي شئ تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنان وما أعد فيها لاوليائه فنحن نرجوها فقال حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال ما أنتم قالوا المحبون لله عز وجل لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حبا له وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم فاقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر أنه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا أحببتم وقال للآخرين أنتم المقربون قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وممن روي عنه هذا القول وأقيم في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم أبو حازم المدني كان يقول اني لاستحي من ربي أن أعبده خوفا من العذاب فأكون مثل عبد السوء ان لم يخف لم يعمل وأستحي أن أعبده لاجل الثواب فأكون كالاجير السوء ان لم يعط أجر عمله لم يعمل ولكن أعبده محبة له قال الشيخ أبو طالب المكي وقد روينا معنى هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط الاجر لم يعمل وقال بعض اخوان معروف رضي الله عنه له أخبرني عنك يا أبا محفوظ أي شئ أهاجك على العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكرت الموت فقال وأي شئ الموت قلت فذكرت القبر قال

وأى شئ القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال وأى شئ هذا ان من ملك هذا كله بيده ان أحببته أنساك جميع هذا وان كان بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا قال أبو طالب وحدثونا عن على بن الموفق قال رأيت فى النوم كانى أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضهم الجنة ويرد آخرين قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت فى سرادقات العرش رجلا قد أشخص ببصره ينظر الى الله تعالى لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال هو معروف الكرخى عبد الله تعالى لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فقد أباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر ان الآخرين بشر بن الحرث وأحمد ابن حنبل رضى الله تعالى عنهم اقال أبو طالب المكى وروينا عن رابعة العدوية وكانت احدى المحبين وكان سفيان الثورى يجلس بين يديها ويقول علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول له نعم الرجل أنت لولا انك تحب الدنيا وكان يعترف لها ويسلم قولها وكان عالما زاهدا الا انه كان يؤثر كتب الحديث والاقبال على الناس وهى أبواب الدنيا وقال لها الثورى يوما لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدت الله خوفا من النار فأكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا للجنة فأكون كالاجير السوء ان أعطى عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا اليه والآثار والحكايات فى هذا المعنى كثيرة لا تنحصر فاذا عمل المريد ما ذكرناه كان عبدا لله حقا فان طلب منه الثواب أو استعاذ به من العقاب فانما يطلبه أو يستعيذ به اتباعا لوعده به وفرارا من دعوى رؤية حظه واتباعا لما أحبه منه وأذن له فيه من طلبه لفضله واحسانه وكرمه وامتنانه وهذا وما أشبهه هو المعنى بالحديث المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ما تقول فى الصلاة قال أتشهد ثم أقول اللهم انى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار اما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال حولها ندندن الا ان يكون رجاؤه لحصول ذلك وخوفه من فقده باعثا له على القيام بطاعته وملازمة عبادته فيكون عمله اذ ذاك مدخولا معلولا هذا هو مذهب العارفين والمحققين وعليه تنبنى قواعد التصوف كلها * (متى اعطاك أشهدك بره ومتى منعك أشهدك قهره فهو فى كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك) المطلوب من العباد أن يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والاسماء الحسنى

والاحسان واللطف والعطف وغير ذلك (ومتى منعك أشهدك قهره) أى صفاته القهرية أى التى تقتضى القهر والغلبة من الجبرية والكبرياء والعزة والاستغناء (فهو فى كل ذلك) أى فى كلتا الحالتين (متعرف اليك) أى مقبل عليك ومريد منك أن تعرفه فان الواحد منا اذا أراد أن يعرفه غيره فاما أن ينعم عليه واما أن يعاقبه فكل منهما سبب فى معرفة ذلك الغير له (ومقبل بوجود لطفه عليك) لان مشاهد تلك الصفات بره وقهره لطف عظيم منه سبحانه ونعمة منه عليك فينبغى لك ان تشكره عليها والحاصل ان المطلوب من العباد ان يعرفوا مولاهم بما هو عليه من الصفات العلية والاسماء الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم من النوازل ويورده عليهم من الاحكام سواء كان الحكم موافقا لطبعهم وهو الاعطاء

To: www.al-mostafa.com

اوبخالفاله وهو المنع فمن كان عارفا بربه ولم يستغرقه حظ نفسه لم يفرق بين العطاء والمنع لان كلا
منهما له طريق توصله الى معرفة صفات البرية من الجود ونحوه والقهرية وهذا من جملة فتح باب الفهم
في المنع كما مر (انما يؤلمك المنع) ايها المريد (لعدم فهمك عن الله فيه) أي في حال المنع اذا وفتح لك
باب الفهم حينئذ لتلذذت به فمن جملة الفهم في المنع ان تفهم انه يريد بذلك المنع ان يوقفك ببابه
ويعلقك به ويصيرك من جملة احبابه فانه اذا أحب عبدا احماه الدنيا ومن جملته ان تفهم انه سلك بك
مسلك المقربين كما ورد * (١٠٠) * عن الفضيل انه كان يقول الهي اجعتني واجعت عيالي وأعريتني
وأعريت عيالي
وانما تفعل هذا
بخواص عبادك
فبأي سبب
استوجبت منك
هذا أي من
اعمال البر
والخير ومن جملته
ان تفهم ان
الدنيا فانية
ولذاتها منقضية
فتفرح بما ادخر
لك في الآخرة
الى غير ذلك
مما يفتح الله به
على قلب المريد
الصادق فاذا فتح
عليه ذلك تلذذ
بالمنع فعاد المنع
عين العطاء
(ربما فتح لك باب
الطاعة وما فتح
لك باب القبول)
الاضافة فيهما
بيانية أو من
اضافة المشبه به
للمشبه (وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول) وذلك
أن الطاعة قد تقارنها آفات قادحة في الاخلاص فيها كالاعجاب بها والاعتماد عليها واحتقار من
لم يفعلها وذلك مانع من قبولها والذنب قد يقارنه الالتجاء الى الله والاعتذار اليه واحتقار نفسه وتعظيم

الحسنى ولا سبيل لهم الى معرفته الا بتعرفه لهم وتعرفه لهم انما يكون بما ينزله بهم
من النوازل ويورده عليهم من الاحكام ثم هو على قسمين ما وافق الهوى والطبع
ويسمى ذلك عطاء ومنحا وما خالفهما ويسمى منعا فبوجود العطاء تشهد صفاته
البرية من الجود والكرم والاحسان واللطف والعطف وغير ذلك وبوجود المنع
تشهد صفاته القهرية من الجبر والكبرياء والعزة والاستغناء فينبغي لك أيها العبد
أن لا تفرق بينهما ان أردت معرفة ربك ولم يستغرقك حب حظك اذا ذمعه لك
عطاء على التحقيق فهو في كلتا الحالتين منعم عليك ومقبل بوجود لطفه اليك وهذا
هو بيان ما تقدم من قوله متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء
والله أعلم قال سفيان الثوري رضي الله عنه أتيت أبا حبيب البدوي أسلم عليه ولم
أكن رأيته فقال لي أنت سفيان الثوري الذي يقال قال فقلت نعم فسأل الله عز
وجل بركة ما يقال قال فقال لي يا سفيان ما رأينا خيرا قط الا من ربنا قلت أجل قال
فبالنا نكره لقاء من لم نر خيرا قط الا منه ثم قال يا سفيان منع الله اياك عطاء منه
لك وذلك انه لم يمنعك من بخل ولا عدم وانما منعه نظر منه واختيار يا سفيان
ان فيك لانسا ومعك شغلا قال ثم أقبل على غنيمته وتركني * (انما يؤلمك المنع
لعدم فهمك عن الله فيه) اذا كان منع الله سبحانه وتعالى وعطاؤه نعمتين عظيمتين
كما ذكرناه الآن فينبغي أن يكون في كلتيهما قرة عين المريد فان تألم بأحدهما
وهو المنع وتلذذ بالآخر وهو العطاء فذلك لعدم فهمه وقصور علمه وانما الاكمل
والافضل له أن يألم بالعطاء ويلتذ بالمنع كما قال ابراهيم الخواص رضي الله عنه لا يصح
الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان احداهما الثقة بالله تعالى والاخرى الشكر
لله فيما زوى عنه مما ابتلى به غيره من الدنيا ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له
في المنع أفضل من نظره له في العطاء وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة
ما لا يجد للعطاء لا يعرفه غير ربه الذي خصه بمعرفته وأياديه فهو لا يرى سوى
مليكه ولا يملك الا ما كان من تمليكه وكل شيء له تابع وكل له خاضع اه * (ربما فتح لك
باب الطاعة وما فتح لك باب القبول وربما قضى عليك بالذنب فكان سببا في الوصول)

من لم يفعله فيكون ذلك سببا فى مغفرة الله له ووصوله اليه فينبغى أن لا ينظر العبد الى صور الاشياء بل الى حقائقها فيخاف ان كان مطيعا ويرجو ان كان عاصيا ثم أوضح المصنف معنى هذه الحكمة بقوله (معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا) ولاشك ان الذل والافتقار من أوصاف العبودية فالتحقق بهما مقتض للوصول الى حضرة الرب والعز والاستكبار من أوصاف الربوبية فالتحقق بهما مقتض للخذلان وعدم القبول قال أبو مدين قدس سره انكسار العاصى خير من صولة المطيع

ينبغى ان لا ينظر العبد الى صور الاشياء وليتنظر الى حقائقها فصور الطاعات لا تقتضى وجود القبول لها لما قد تضمنته من الآفات القادحة فى الاخلاص فيها وذلك مانع من وجود القبول لها ووجود صورة الذنب لا يقتضى الابعاد والطرد بل ربما يكون ذلك سببا فى وصوله الى ربه ووجوده فى حضرة قربه كما قيل رب ذنب أدخل صاحبه الجنة وقد جاء فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وذلك أنه يحبه عند عمله بالطاعة أن يعجب بها ويعتمد عليها ويتكبر بفعلها ويستصغر من لم يفعلها ويمقته عند وقوعه فى الذنب الملجأ الى الله تعالى فيه والاعتذار اليه منه واستصغار نفسه وتعظيم من لم يفعله * قال أبو حازم رضى الله عنه ان العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله له من سيئة أضر له منها وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها وما خلق الله له من حسنة أنفع له منها وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة تسره فيمنى بها ويرى أن له فضلا على غيره ولعل الله أن يحبطها ويحبط معها عملا كثيرا وان العبد ليعمل السيئة تسوءه حين يعملها ولعل الله أن يحدث له بها وجلا حتى يلقى الله تعالى وان خوفها فى جوفه لباق * ثم بين المؤلف رحمه الله هذا المعنى بقوله

* معصية أورثت ذلا وافتقارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا) الذل والافتقار من صفات العبودية والعز والاستكبار مناقضان لها لانهما من صفات الربوبية ولا خير فى الطاعات اذا لزم عنها شئ مما يناقض صفات العبودية لانها تحبطها وتبطلها كما لا مبالات بالمعصية اذا لزمتها صفات العبودية لانها أيضا تمحوها وتزيلها قال سيدى أبو مدين رضى الله عنه انكسار العاصى خير من صولة المطيع وكان سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه كثير الرجاء لعباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة. وكان يكرم الناس على قدر رتبتهم عند الله تعالى حتى انه ربما دخل عليه مطيع فلا يعبأ به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لان ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله ناظر لفعله وذلك العاصى دخل عليه بكثرة معاصيه وذلة مخالفته وقد تقدم مثل هذا عند قوله لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فمن هذا المعنى ما روى عن أبان بن عياش أنه قال خرجت يوما من عند أنس بن مالك رضى الله عنه بالبصرة فرأيت جنازة يحملها أربعة من الزنج ولم يكن معهم رجل آخر فقلت سبحان الله بسوق البصرة وجنازة مسلم لا يشيعها أحد فلا كونن خامسهم فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصلى قالوا الى تقدم فقلت أنتم أولى به فقالوا كلنا سواء فتقدمت فصليت عليه وقلت لهم ما القصة فقالوا اكترتنا تلك المرأة قال فقعدت حتى دفنوه فلما كان بعد ساعة انصرفت تلك المرأة وهى

تضحك

تضحك فدخل قلبي شيء فقلت لا يخبيك الا الصدق اخبرني ايش القصة فقالت ان هذا ابني ما ترك شيأ من المعاصي الا فعله فمرض منذ ثلاثة أيام فقال يا أماه اذا مت فلا تخبري بوفاتي جيراني فانهم لا يحضرون جنازتي ويشمتون بموتي واكتبي على خاتمي هذا الا اله الا الله محمد رسول الله واجعليه على كفني فلعل الله تعالى يرحمني به وضعي رجلك على خدي وقولي هذا جزاء من عصى الله فاذا دفنتيني فارفعي يديك الى الله تعالى وقولي اني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصى به فلما رفعت يدي الى السماء سمعت صوته بلسان فصيح انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم رحيم غير غضبان على فانما ضحكت من هذا ومن المعنى الآخر ما روى ان رجلا من بني اسرائيل أتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد فقال له العابد ارفع فوالله لا يغفر الله لك فأوحى الله عز وجل أيها المتألي علي بل أنت لا يغفر الله لك قال الحرث المحاسبي رضي الله عنه لانه انما تألى على الله عز وجل أن لا يغفر الله له لعظم قدر نفسه عنده وأن الاساءة اليه عند الله عز وجل عظيمة لا يغفرها الله تعالى لموضع عبادته وسجوده لانه عد نفسه عظيم القدر عند الله عز وجل فجمع بين عجب وكبر واغترار بالله عز وجل ومن المعنيين جميعا ما روى ان عيسى عليه الصلاة والسلام خرج ومعه صالح من صالحي بني اسرائيل فتبعهما رجل خاطئ مشهور بالفسق فيهم فقعد منتبذا عنهما منكسرا فدعا الله سبحانه وتعالى وقال اللهم اغفر لي ودعا هذا الصالح وقال اللهم لا تجمع بيني وبين هذا العاصي فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام اني قد استجبت دعاءهما جميعا رددت ذلك الصالح وغفرت لذلك المجرم * وروي عن الشعبي أيضا عن الخليل بن أيوب ان رجلا كان في بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر من بني اسرائيل يقال له عابد بني اسرائيل وعلى رأس العابد غمامة تظله فقال الخليع في نفسه أنا خليع بني اسرائيل وهذا عابد بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله عز وجل أن يرحمني به فجلس اليه فقال العابد في نفسه أنا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل يجلس الي فأنف منه وقال قم عني فأوحى الله عز وجل الى نبي ذلك الزمن مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع وأحبطت عمل العابد وفي حديث آخر فتحولت الغمامة على رأس الخليع قال الحرث المحاسبي وانما أراد الله عز وجل من عباده قلوبهم لتكون جوارحهم تبعا لقلوبهم فاذا تكبر العالم أو العابد وأنف وتواضع الجاهل أو العاصي وذل هيبة لله

(نعمتان ماخرج موجود عنهما) أى هما عامتان لكل موجود (ولا بد لكل مكون) أى موجود (منهما) أى هما لازمتان لكل موجود لا ينفك عنهما موجود من الموجودات (نعمة الايجاد ونعمة الامداد) الاضافة للبيان فيهما فكل موجود فى ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد ازالت عنه العدم السابق فصار موجودا ولولا ذلك لم يزل معدوما والمعدوم ليس بشئ ولما كان دوام وجوده يحتاج الى امداد الحق له يقتضى بقاء صورته وهيكله *(١٠٨)* أمده بجلب المنافع له ودفع المضار عنه فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ونعمة الامداد أزالت العدم اللاحق وأبدلته باستمرار الوجود فلولا نعمة الايجاد لم يخرج شئ من العدم الى الوجود ولم يزل معدوما ولولا نعمة الامداد لم يتم وجود لموجود ولم يصح بقاء موجود بل يختل فى أقرب مدة ويضمحل ولا فرق فى هذا بين المكونات العلوية والسفلية ثم ذكر جزئيا من جزئيات تلك

عز وجل ونزقا منه فهو أطوع لله عز وجل من العابد أو العالم بقلبه * نعمتان ماخرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد) نعمتان لازمتان لكل مكون موجود لانه فى ذاته معدوم متلاش فنعمة الايجاد أزالت العدم السابق ولولا ذلك لم يزل معدوما ونعمة الامداد ازالت العدم اللاحق ولولا ذلك لتلاشى وفنى * قال سيدى أبو مدين الحق تعالى مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الوجود فلو انقطعت المادة انهدم الوجود وهذا توطئة لما يريد بيانه من الفقر الذاتى للعبد * أنعم عليك أولا بالايجاد وثانيا بتوالى الامداد) هذا أحد جزئيات الكلية المتقدمة وهو وجودك ودوام وجودك ومما لا ينبغى أن يتغافل عنه من أنواع هذا الجنس نعمة ايجاد الايمان ومحبة الطاعة فى قلبك وامدادهما وكذلك كراهة الكفر والمعصية فان ذلك من النعم العظيمة التى لا مدخل للعبد فيها ولا له وسيلة اليها ولولا تولى الله تعالى له بتينك النعمتين فى اقمعين لتاه فى ظلمات الضلالات وغرق فى بحار الجهالات وقد نبه الله عز وجل على هذا المعنى فى كتابه الكريم فقال عز من قائل ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة * قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه ان من أفكر فى صنوف الضلال وكثرة طرق المحال وشدة تعاليط الناس فى البدع والاهواء وما يتشعب بكل قوم مختلفى النحل والآراء ثم أفكر فى ضعفه ونقصان عقله وكثرة تحيره فى الامور وشدة جهله وتناقض تدبيره فى أحواله وشدة حاجته الى الاستعانة بأشكاله فى أعماله ثم رأى خالص يقينه وقوة استبصاره فى دينه ونقاء وجه توحيده عن غبرة لشرك وصفاء عين عرفانه عن رهج الشك علم أن ذلك ليس من طاقته ولا بجهده وكده وسعيه وجده بل بفضل ربه وسابغ طوله قال الله تعالى ذكره وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة

الكلية فقال (أنعم عليك) أيها الانسان (أولا بالايجاد وثانيا بتوالى الامداد) فاداعلم العبد ان ابتداء وجوده من الله ودوام وجوده كذلك علم أن فاقته ذاتية وأنه لا غنى له عن مولاه لافتقاره بعد وجوده فى كل وقت الى الامداد ثم هذه الامدادات المتوالية عليه منها ما يكون قوتا لشبحه تقوم به بنيته كالاقوات ومنها ما يكون قوتا لمعناه وروحه كالايمان والعلوم والمعارف فان الانسان شيآن روح وجسد والامداد الاول عام للمؤمنين والكافرين كنعمة الايجاد والثانى خاص بالمؤمنين * ثم ذكر ماهو كالنتيجة لما تقدم بقوله

(فاقتك لك ذاتية) أى اذا ثبت أن نعمتى الايجاد والامداد لازمتان لك وانك فى ذاتك عدم لولاهما فالفاقة اذا ذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك لاحتياجك الى المولى فى ابتداء وجودك وفى ادامته عليك لكن هذا الاضطرار يخفى على غالب الناس ويغفلون عنه اذا دامت عليهم صحة أبدانهم وكثرة أموالهم فيغيبون حينئذ عن صفتهم الذاتية وعن مولاهم فيورد عليهم أسباب الاضطرار ليذكرهم ذلك كما قال (وورود الاسباب) أى أسباب الاضطرار وهى الامور القهرية من مرض وجوع وعطش وحر وبرد وغير ذلك (مذكرات لك بما) الباء زائدة أو بمعنى اللام (خفى عليك منها) أى الفاقة والاضطرار فاذا كنت فى غفلة *(١٠٩)* عن اضطرارك الذاتى وأورد عليك مرضا أو فقرا اضطررت اليه وظهرت لك صفتك الذاتية بعد أن كانت مغطاة عنك بالصحة والجدة فتقوم حينئذ بحق العبودية وتدعوه سبحانه برفع ذلك عنك قال بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الاعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته شقيقة ساعة واحدة أو الملية كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية وهذا حق غالب الناس والا فالعارفون لا يفارقهم مشاهدة فقرهم الذاتى كما سيأتى فى قوله العارف لا يزول اضطراره الخ فهؤلاء لا يحتاجون الى مذكر وانما يسلط الله عليهم هذه الاسباب القهرية لتظهر عليهم علامات الصدق فى العبودية اذ لا يزيدهم البلاء الا تعلقا به وطاعة له ورجوعا اليه وليكثر ثوابهم وتعظم منزلتهم عند الله تعالى بما يظهر عليهم من الرضا عن الله والتسليم اليه (والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) هذا متعلق بقوله فاقتك لك ذاتية أى ان الاضطرار لازم لوجودك وان كنت غنيا وجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضى والامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية فما يحصل للعبد من الصحة والغنى والقدرة حتى تصير الاشياء كأنها طوع يده لا يزيل الفاقة الذاتية لانه عاجز فى حقيقة حاله

وباطنة فهو الظاهر بنعمائه وآثار نعمه عليك متظاهرة والباطن بما لانه وزوائد كرمه لديك متواترة انتهى فعلى العبد أن يعرف قدر هذه النعمة ويتوكل على مولاه فى بقائها وحفظها عليه ولا يعتمد فى ذلك على عقله وعلمه (قال) بعض العارفين من نظر فى توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار وعن ذى النون المصرى رضى الله عنه ما هو قريب من هذا من كان فى توحيده ناظرا الى نفسه لم ينجه توحيده من النار حتى يكون نظره اليه فى توحيده اياه عز وجل فهذا هو شكر هذه النعمة العظيمة * قال الشيخ أبو طالب المكى بعد أن ذكر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله أحبوا الله لما أسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به أيضا فمن أفضل ما غذانا به نعمة الايمان به والمعرفة له وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه فى تصريف الاحوال اذ هو أصل الاعمال التى هى مكان النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا فى الذنوب ولو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب نياتنا فى الاعمال أى شئ كنا نصنع وعلى أى شئ كنا نعول وبأى شئ كنا نطمئن ونرجو فهذا من أعظم النعم ومعرفته هو شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان توجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان وأخاف على من توهم ذلك أن يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا انتهى كلام الشيخ أبى طالب رضى الله عنه وهو حسن فى هذا المعنى * فاقتك لك ذاتية وورود الاسباب مذكرات لك بما خفى عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) اذا ثبت أن

أن يزيل ذلك ويبدله بضده المقتضى للافتقار والاضطرار (خيرا وقاتك) أيها المريد الصادق (وقت تشهد فيه وجود فاقتك) بأن يزوى عنك الدنيا وشهواتها (وتردفيه الى وجود ذاتك) بكسر الذال أى فقرك وانما كانت هذه خير الاوقات لك * (١١٠) * لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك عنه بخلاف الوقت الذى تشهد فيه وجود غناك وعزك فان ذلك شر اوقاتك * حكى عن عطاء السلمى انه بقى سبعة أيام لم يذق شيأ من الطعام ولم يقدر على شئ فسر قلبه بذلك وقال يارب ان لم تطعمنى ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله ويتضرع اليه ويقول الهى بأى سبب وبأى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما عاملت به أولياءك وكذا وقع للفضيل بن عياض فقال فبأى عمل أستحق هذا منك حتى أداوم عليه الى غير ذلك مما وقع لاهل الله تعالى ولذا قال المصنف فيما سيأتى ورود الفاقات أعياد المريدين

نعمتى الايجاد والامداد لازمتان لذلك وأنت فى ذاتك عدم لولاهما فالفاقة الذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك ان كنت غنيا بوجود النعمتين المذكورتين فان ذلك أمر عرضى والامور الذاتية لا تزيلها الامور العرضية وانما أورد عليك الاسباب التى تضاد وجودك وبقاءه وجودك ليذكرك بذلك ما خفى عليك من وجود الفاقة الذاتية لك والاضطرار لازم لوجودك فتلازم مركزك وتقوم بحق عبوديتك ولا تجاوز حدك وطورك (قال) بعضهم انما حمل فرعون على قوله أنا ربكم الاعلى طول العافية والغنى لبث أربعمائة سنة لم يتصدع رأسه ولا حم جسمه ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة ساعة واحدة أو الميلة كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية * قال فى لطائف المنن الاضطرار تعطيه حقيقة العبد اذ هو ممكن وكل ممكن مضطر الى ممده ومدده وكما أن الحق سبحانه هو الغنى أبدا فالعبد مضطر اليه أبدا ولا يزايل العبد هذا الاضطرار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ولو دخل الجنة فهو محتاج الى الله تعالى فيها غير أنه غمس اضطراره فى المنة التى أفرغت عليه ملابسها وهذا هو حكم الحقائق اذ لا يختلف حكمها لا فى الغيب ولا فى الشهادة ولا فى الدنيا ولا فى الآخرة فالعلم صفته الكشف أى علم كان فى أى وقت كان والارادة صفتها التخصيص أى ارادة كانت فى أى وقت كان ومن اتسعت أنواره لم يتوقف اضطراره وقد عتب الله أقواما اضطروا اليه عند وجود أسباب ألجأتهم الى الاضطرار فلما زالت زال اضطرارهم قال سبحانه واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه الآية وقال واذا مس الانسان الضر دعانا وقال قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر الآيتين الى غير ذلك من الآيات الواردة فى هذا المعنى ولما لم تصل عقول العوام الى ما تعطيه حقائق وجوداتهم سلط الحق عليهم الاسباب المثيرة للاضطرار ليعرفوا قهر ربوبيته وعظمة الهيته انتهى * خيرا وقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك وتردفيه الى وجود ذاتك) انما كان هذا خير الاوقات لك لوجود حضورك فيها مع ربك وانقطاع نظرك عن الوسايط والاسباب الموجبة لبعدك وحجبك فهى لا محالة خير اوقاتك وهى مواسمك واعيادك حسبما يقوله المؤلف رحمه الله تعالى بعد هذا * حكى عن عطاء السلمى رضى الله عنه انه بقى سبعة أيام لم يذق شيأ من الطعام ولم يقدر على شئ فسر قلبه بذلك غاية السرور

(متى أوحشك من خلقه) أى ما عدا الله تعالى بان تشمئز منهم بقلبك وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا عن مولاك (فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به) فاذا فتح لك ذلك الباب وآنسك بالخطاب

صرت له وحده وغبت عن غيره كما وقع لابى يزيد قدس الله سره انه اطلع على أنواع من العجائب وكشف له عن المكونات العلا فقيل له وهل استحسنت منها شيأ فقال لم أر شيأ أستحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا (متى أطلق لسانك بالطلب) أى بان حل عنك عقدة الصمت التى أوجبها الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية الافتقار فاذا حل عنك هذه العقدة بأن أشهدك فقرك وفاقتك حتى دعوته كنت اذ ذاك داعيا بلسان الاضطرار (فاعلم انه يريد أن يعطيك) أى يحصل لك مطلوبك لصدق الوعد باجابة الدعاء من المضطر والله لا يخلف الميعاد ولقوله عليه الصلاة والسلام من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة أى اما بعين المطلوب أو بغيره عاجلا أو آجلا قال بعضهم هذا اذا كان الدعاء صادرا عن اختيار وقصد أما اذا جرى على لسانه من غير قصد فان الاجابة بعين المطلوب لا تكاد تتخلف

فقال يا رب ان لم تطعمنى ثلاثة أيام أخر لاصلين لك ألف ركعة وقيل ان فتحا الموصلى رضى الله عنه رجع ليلة الى بيته فلم يجد عشاء ولا سراجا ولا حطبا فأخذ يحمد الله تعالى ويتضرع اليه ويقول الهى لاى سبب وبأى وسيلة واستحقاق عاملتنى بما عاملت به أولياءك (وقال) بشر الحافى رضى الله عنه بلغنى أن بنت الفتح الموصلى عريت فقيل له ألا تطلب من يكسوها فقال لا أكسوها حتى يرى الله عريها وصبرى عليها قال فكان اذا كان ليالى الشتاء جمع عياله ومال بكسائه عليهم ثم قال اللهم أفقرتنى وأفقرت عيالى وجوعتنى وجوعت عيالى وأعريتنى وأعريت عيالى بأى وسيلة توسلت اليك وانما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك فهل أنا منهم حتى أفرح وقيل ان الفضيل بن عياض رضى الله عنه بكى فى ليلة قرة ثم قال الهى أجعتنى وأجعت عيالى وأعريتنى وأعريت عيالى واقعدتنى وأقعدت عيالى فى بيت ليس فيه مصباح وقد يما تفعل هذا بأوليائك وأهل طاعتك الهى فبأى عمل استحق هذا منك حتى أدوم لك عليه * وقيل للربيع بن خيثم رضى الله عنه قد غلا السعر فقال نحن أهون على الله من أن يجيعنا انما يجيع أولياءه * (متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانس به) فتح باب الانس بالله تعالى هو الاستيحاش من الناس ولذلك قيل الاستئناس بالناس من علامات الافلاس فاذا فتح لك هذا الباب استوحشت من الاغيار كلها بتحقق فى أنسك بربك ومعنى الوحشة منها ان تشمئز قلبك منهم وتنقبض عنهم بسرك ولا يكون للاشياء وقع عندك ولا تجد فيها مقنعا لك كما جاء عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه حين اطلع على أنواع من العجائب ووجه بسنى الرغائب وكشف له عن الملكوت الاعلى فقيل له هل استحسنت منها شيأ فقال لم أر شيأ أستحسنه فقيل له أنت عبد الله حقا فاذا كان العبد على هذا الوصف كان ذلك علامة على تحققه بمقام الانس ونزوله فى حضرة القدس وسيأتى هذا المعنى فى قوله فى مناجاته أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم * (متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم انه يريد أن يعطيك) اطلاق اللسان بالطلب هو أن يحل عنه عقدة الصمت الذى أوجبه الاستغناء بالاغيار وعدم رؤية الفاقة والافتقار فاذا حل عنه هذه العقدة بشهود فقره وفاقته وأطلق لسانه بالطلب كان اذ ذاك داعيا بلسان الاضطرار وكان مجاب الدعوة لصدق الوعد باجابة دعوة المضطر والله لا يخلف الميعاد وأنشدوا

(العارف لا يزول اضطراره) أي احتياجه بل هو دائم مستمر لشهوده قبضة الله الشاملة المحيطة ولمعرفته بنفسه وبما هو عليه من الفاقة وتحققه بذلك في كل نفس بخلاف غيره فإنه تارة يضطر فيدعو وتارة يدعو من غير اضطرار وذلك أن اضطرار العامة * (١١٢) * بمثيرات الأسباب لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فإذا زالت زال اضطرارهم فلو شهدوا قبضة الله الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم إلى الله تعالى دائم (ولا يكون مع غير الله قراره) أي لا يركن ولا يستند بقلبه لغير الله تعالى لوجود وحشته من الأشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم فكأنه يقول إن ما تقدم من الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب نعتان من نعوت العارفين * ثم قال (أنار الظواهر) أي المكونات من السموات والأرضين أي جعلها منيرة (بأنوار آثاره) أي آثار أوصافه أي بأنوار الكواكب من شمس وقمر ونجوم التي هي لأجل آثار لأوصافه من قدرة وإرادة وغيرهما فتلك الظواهر صارت مكشوفة لنا بأنوار الكواكب وحينئذ نرى المكونات ونأخذ منها ما ينفع ونحترز عما يضر (وأنار السرائر) جمع سريرة وهو باطن القلب كما مر (بأنوار أوصافه) أي بالعلوم العرفانية والأسرار الربانية الناشئة عن تجلي أوصافه على قلوب العارفين فتلك السرائر سرائر العارفين صارت مكشوفة لهم بأنوار العلوم والمعارف الناشئة عن أوصافه سبحانه أي تجليها على قلوبهم وحينئذ يشاهدون ما في سرائرهم من الأوصاف فيحترزون عما يضرهم

لو لم ترد نيل ما أرجوه من طلب * من فيض جودك ما علمتني الطلبا

وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أذن له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الرحمة وما يسأل الله شيئا أحب إليه من أن يسأل العفو والعافية في الدنيا والآخرة وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أعطي الدعاء لم يحرم الإجابة (قال) الشيخ أبو بكر الخفاف رضي الله عنه وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما فتح له باب الدعاء وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا أصب عليه البلاء صبا وسحه عليه سحا فإذا دعا قالت الملائكة صوت معروف وقال جبريل يا رب عبدك فلان اقض حاجته فيقول الله دعوا عبدي فإني أحب أن أسمع صوته فإذا قال يا رب قال الله تعالى لبيك عبدي وسعديك لا تدعوني بشيء إلا استجبت لك ولا تسألني شيئا إلا أعطيتك إما أن أعجل لك ما سألت وإما أن أدخر لك عندي أفضل منه وإما أن أدفع عنك به من البلاء ما هو أعظم من ذلك

(العارف لا يزول اضطراره ولا يكون مع غير الله قراره) معرفة العارفين هي معرفتهم بأنفسهم وبما هي عليه من الفاقة والافتقار إلى العزيز الجبار وبقدر ما يتحققون بذلك من أنفسهم تكون معرفتهم بالله عز وجل كما جاء في الخبر من عرف نفسه عرف ربه فلذلك كان العارف لا يفارقه الاضطرار * قال سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه في قوله تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه الولي لا يزال مضطرا قال الأستاذ تاج الدين بن عطاء الله قدس الله سره معنى كلام الشيخ هذا أن العامة اضطرارهم بمثيرات الأسباب فإذا زالت زال اضطرارهم وذلك لغلبة دائرة الحس على مشهدهم فلو شهدوا قبضة الله تعالى الشاملة المحيطة لعلموا أن اضطرارهم إلى الله تعالى دائم وإنما لم يكن له مع غير الله قرار لوجود وحشته من الأشياء ونفوره بقلبه عنها كما تقدم وكأنه رحمه الله قصد بهذا أن يعلمك أن ما تقدم له من الاستيحاش من الخلق وانطلاق اللسان بالطلب من الحق نعتان من نعوت العارفين * أنار الظواهر بأنوار آثاره وأنار السرائر بأنوار أوصافه

منها ويتصفون بما ينفعهم (لاجل ذلك) أي كون الظواهر نارت بأنوار آثاره والسرائر نارت بأنوار أوصافه فالانوار الاولى ناشئة عن الحادث والثانية عن القديم (أفلت) أي غابت وذهبت (أنوار الظواهر) أي الكواكب فيذهب نور الشمس في الليل ونور القمر والنجوم في النهار ونسبة ذلك النور الى الظواهر باعتبار كونه منوّر الها والافهو * (١١٣) * قائم بالكواكب (ولم تأفل) بضم الفاء أي تغب وتذهب (أنوار القلوب والسرائر) أي الانوار الناشئة عن مشاهدة الصفات القديمة التي لا تزول وما ينشأ عن القديم لا يزول وانما يطرأ عليه تغطيته بالاوصاف البشرية بالنسبة للعارفين ثم تزول وذلك النور ثابت في قلوبهم (ولذلك) أي لاجل أفول أنوار الظواهر وعدم أفول أنوار السرائر (قيل) أي قال الشاعر *(ان شمس النهار تغرب بالليل)* أي واذا غربت ذهب ضوءها *(وشمس القلوب ليست تغيب)* وهو بيت ملتوز نصفه الياء وقبله طلعت شمس من أحب بليل * فاستضاءت فما لها من غروب *

١٠ عبا ل ل

وفي هذا تنبيه على أن الامور الباقية هي التي ينبغي أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتني بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين

لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ولذلك قيل

ان شمس النهار تغرب بالليل * وشمس القلوب ليست تغيب)

أنوار الظواهر التي بها أنارها الحق تعالى هي الادراكات والاحساسات والحركات التي اتصف بها ظاهر العبد وأنوار السرائر التي بها أنارها الحق تعالى هي المعارف والعلوم ولطائف الادراكات والفهوم التي اشتمل عليها باطنه وسره فأنوار الظواهر متعلقة بأنوار الآثار الحادثات وأنوارها معانيها ولطائفها المستكنة فيها وأنوار السرائر متعلقة بأنوار الصفات الازليات ولاجل اختلاف المتعلقين في الحدوث والقدم والغنى والفقر والفناء والبقاء كان ما ذكره المؤلف رحمه الله من أفول أنوار ما تعلق بالحادث الفاني وعدم أفول أنوار ما تعلق بالقديم الباقي ثم أنشد المؤلف البيت المذكور مستشهدا به على ما ذكره ومعناه بين وقبله

طلعت شمس من أحب بليل * فاستضاءت فما لها من غروب

وفي هذا تنبيه على أن الامور الباقية هي التي ينبغي أن يغتبط بها ويفرح بحصولها ويعتني بتربيتها ومراعاة حالها بخلاف الامور الفانية الآفلة وحينئذ يكون العبد على ملة ابراهيم عليه السلام حيث قال لا أحب الآفلين ويروى ان رجلا سأل سهل بن عبد الله رضي الله عنه عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقال انما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم فقال سألتك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر فقال انما سألتك عن طعم الجسد فقال ما لك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخلت عليه علة فرده الى صانعه اما رأيت الصنعة اذا عيبت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وفي معناه أنشدوا

كمل حقيقتك التي لم تكمل * والجسم دعه في الحضيض الاسفل
أتكمل الفاني وتترك باقيا * هملا وأنت بأمره لم تحفل
فالجسم للنفس النفيسة آلة * ما لم تحصله بها لم تحصل
يفنى وتبقى دائما في غبطة * أو شقوة وندامة لا تنجلي
أعطيت جسمك خادما فخدمته * أتملك المفضول رق الافضل
شرك كثيف أنت في احباله * ما دام يمكنك الخلاص فعجل

من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ما باله يرضى بادنى منزل

(وقيل فى هذا المعنى أيضا)

ياخادم الجسم كم تشقى لخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها * فانت بالنفس لابالجسم انسان

لايخفف الم البلاء عليك علمك بأنه سبحانه هو المبلى لك فالذى واجهتك منه الاقدار هو الذى عودك حسن الاختيار) اذا علم العبد ان الله تعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر اليه فى كل مايورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغى له أن لا يكترث بذلك ولا يبالى فانه لم يتعود منه الاخير اله فليحسن به ظنه وليعتقد ان ذلك اختيار له وان فى ذلك مصالح خفية لايعلمها الا هو كما قال الله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم * قال أبو طالب المكى فى هذه الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له فى الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله تعالى واسوأ عاقبة * وفى معنى ذلك قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافى وباطنة البلايا لانها نعمة فى الآخرة فاذا كل مايصيب المؤمن فهو نعمة كائنا ما كان فلله الحمد على نعمه قال فى التنوير انما يقويهم على حمل اقداره شهود حسن اختياره وأنشد فيه لنفسه بقوله

وخفف عنى ما ألاقى من العنا * بأنك أنت المبتلى والمقدر
ومالامرئ عما قضى الله معدل * وليس له منه الذى يتخير

(وكان) الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه يقول جربت مرة وكنت فى صورة وحشة من ذلك فدخلت الحمام ففتح على قلبى بشئ من الرضا فكنت الثم كل واحدة من تلك القروح فخرجت ولم يبق منها أثر (وقال) الاستاذ أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه سمعت الاستاذ أبا على الدقاق يقول فى آخر عمره وقد اشتدت به العلة من امارات التأييد حفظ التوحيد فى أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لقوله مشيرا الى ما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة فى امضاء الاحكام قطعة قطعة وانت ساكن خامد وقال الجنيد رضى الله عنه كنت نائما عند سرى السقطى رضى الله عنه فنبهنى وقال لى ياجنيد رأيت كأنى قد وقفت بين يديه فقال لى ياسرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر وخلقت النار فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر عشر العشر فقلت للباقين معى لا الدنيا أردتم ولا

(ليخفف الم البلاء عليك علمك بانه سبحانه هو المبلى لك) أى استحضارك انه سبحانه هو المبلى دون غيره وأنه أعلم بمصالحك من نفسك فان ذلك سبب فى تسليك وتسليمك ووجود صبرك (فالذى) أى لان الذى (واجهتك منه الاقدار) أى الامور المقدرة عليك من المرض وذهاب المال والولد ونحوهما (هو الذى عودك حسن الاختيار) أى اختيار الامر الحسن الذى يلائمك فان من كانت له عليك نعمة من المخلوقين وجرت عادته أنه يحب تحيزلك على تقدير انه أساء اليك فى بعض الاحيان تتحمله لانه ربما كانت اساءته احسانا فى الباطن وكذلك العبد اذا علم أنه سبحانه وتعالى رحيم به ومتعطف عليه وناظر له فى كل مايورده عليه من أنواع البلايا والرزايا ينبغى له أن لا يبالى به فانه لم يتعود منه الاخيرا فيحسن ظنه به و يعتقد أن ذلك اختيار له وأن له فى ذلك الجنة مصالح لايعلمها الا هو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم قال أبو طالب المكى فى هذه

الآية فالعبد يكره العيلة والفقر والخمول والضر وهو خير له فى الآخرة وقد يحب الغنى والعافية والشهرة وهو شر له عند الله وأسوأ عاقبة له (من ظن انفكاكك لطفه عن قدره) أى عما قدره الله عليه من البلايا والمحن (فذلك لقصور نظره) * (١١٠) * اذ لو كمل نظره لوجد نفسه قد حصل له فى تلك البلايا

الجنة أخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم فماذا تريدون قالوا انك لتعلم ما نريد فقلت لهم انى أسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم مالا تقوم به الجبال الرواسى أتصبرون قالوا اذا كنت أنت للبلى فافعل ما شئت فهؤلاء عبادى حقا

(من ظن انفكاكك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره) قصور النظر فى عدم رؤية اللطف فى القدر انما هو من ضعف اليقين وقلة حسن الظن بالمقدر الحكيم ولو كمل نظر العبد وقوى بصره لرأى فى ذلك من الفوائد والمصالح مالا يحصى وما غاب عنه أكثر ولكان كما روى عن بعض الصالحين العارفين أنه قال لقد مرضت مرضة فأحببت أن لا تزول وكان عمران بن الحصين رضى الله عنه قد استسقى ببطنه فلبث ملقى على ظهره سطيحا ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد قد ثقب له على سرير من جريد وكان تحته ثقب لغائطه وبوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء بن الشخير فجعل يبكى لما رأى من حاله فقال له لم تبكى قال لانى أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا تبك فانى أحب ما أحبه الله تعالى الى ثم قال أحدثك بشئ لعل الله تعالى ينفعك به واكتم على حتى أموت ان الملائكة تزورنى فآنس بها وتسلم على فأسمع تسليمها * وقال بعضهم دخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فظننا ان تحته شيأ حتى كشف فقالت له امرأته أهلى فداؤك ما نطعمك وما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا ما أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ثم قال ما يسرنى أنى نقصت من هذا ثلاثة ظفرفهؤلاء شاهدوا فى بلاياه عطاياه وفى محنه مننه وفى عنفه لطفه فأوجب لهم ذلك من الرضا بما هم فيه والتنعم به والتلذذ ما حملهم على أن لا يحبوا زوال ذلك عنهم ولا نقصانه ووجوه الالطاف والمنن فى البلايا لا تحصى ولكن نذكر منها ههنا ما يزداد المريد به قوة وحسن ظن بربه عز وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فنقول البلايا التى يبتلى الله بها عباده مناقضة لارادتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أن ذلك رد له الى الله تعالى وملازمة بابه بصدق اللجأ والافتقار وهذا هو أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك من نفسه كل من نزلت به بلية أو اصابته رزية وفيها أيضا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها اذ بوجود ذلك يقع العبد فى الذنوب والمعاصى وتتأكد منه الرغبة فى الدنيا والحرص على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة أو عيلة أو ذلة أو فاقة أو قلة وفى الخبر عن الله تعالى

الطاف كثيرة منها اقباله على المولى بتلك البلية فان البلايا التى يبتلى الله بها عباده مناقضة لارادتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها وآلمها فهو محمود العاقبة من قبل أنه رد العبد الى الله ويلزمه بابه فيلتجئ اليه وهذا أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك فى نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية ومنها أن فى البلايا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان صفاتها التى توقع العبد فى الذنوب والمعاصى وتقوى رغبته فى الدنيا ومنها أن العبد يحصل له عندها غالبا

طاعة القلوب كالصبر والرضا والتوكل والزهد وحب لقاء الله تعالى وذرة من اعمال القلوب خير من امثال الجبال من اعمال الجوارح ومنها انه يحصل بها كفارة الذنوب والخطايا الى غير ذلك من الالطاف الالهية

الفقر سجني والمرض قيدي أحبس بذلك من أحببت من عبادي وفيها أيضا تحصل له طاعات القلوب وأعمالها وذرة منها خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وذلك مثل الصبر والرضا والزهد والتوكل وحب لقاء الله تعالى قيل لعبد الواحد بن زيد رضي الله عنه ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال فهل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصلاة والصيام قال نعم قال لولا أني أستحي منك لأخبرتك ان معاملتك له خمسين سنة مدخولة قال أبو طالب المكي رضي الله عنه أراد بذلك انه لم يرفعك بأعمالك الى مقامات المقربين فيوجدك مواجد العارفين فيكون مزيدك منه أعمال القلوب التي يستعمل بها كل محبوب مطلوب لان القناعة به حال الموقن والانس به مقام المحب والرضا وصف المتوكل أي انما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فمزيدك منه مزيد العموم من أعمال الجوارح وهذه اشارة الى ما قلناه من أفضلية أعمال القلوب على أعمال الجوارح فمن وفقه الله تعالى الى منازلة هذه المقامات وتوفية حقوقها في البلايا النازلة به فقد حصل على كنوز البر ذكر أبو ابراهيم اسحق بن ابراهيم التجيبي القرطبي المالكي رحمه الله في كتاب النصائح له ان عروة بن الزبير رضي الله عنه امتحن بقرحة في ساقه بلغت به الى نشر عظم ساقه في الموضع الصحيح منها فقال له الاطباء الا نسقيك مرقدا فلا تحس بما نصنع بك فقال لا ولكن شأنكم بها فنشرت الساق ثم حسموها بالنار فما حرك عضوا ولا أنكروا منه حتى مسته النار فما زاد على أن قال حسبي وأصيب حينئذ ابنه محمد وكان من أحب ولده اليه فلما رأى القدم بيد بعضهم قال اما ان الله تعالى يعلم اني لم أمش بها الى معصية قط ثم قال يا غلام اغسلها وكفنها وادفنها في مقبرة المسلمين ثم جعل يقول لئن أخذت لقد أبقيت ولئن ابتليت لقد عافيت ولئن أخذت لقد طالما أعطيت وذكر ابن قتيبة في عيون الاخبار له عن المدائني قال قدم رجل من عبس ضرير محطوم الوجه على الوليد فسأله عن سبب ضرره فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم على وجه الارض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل اذهب ما كان لي من مال وأهل وولد الا صبيا رضيعا وبعيرا صعبا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير لاحبسه فما جاوزت الا ورأس الولد في بطن الذئب قد أكله فتركته واتبعت البعير فاستدار فرمحني رمحة حطم بها وجهي وذهب عيني فأصبحت لا ذا مال ولا ذا اهل ولا ذا ولد ولا ذا بدن فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم ان في الناس من هو أعظم بلاء منه وروي عن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه أنه خرج مع بعض اخوانه الى ناحية من نواحي البصرة فالجأهم السير الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا فقالوا له يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت

من هذا الذي بك فرفع طرفه الى السماء وقال يا سيدي بأي ذنب سلطت هؤلاء على ليسخطوني عليك ويكرهونك الى سيدي لك العتبي من ذلك الذنب واستغفرك منه ولا أعود فيه أبدا قال ثم أعرض عنا بوجهه فانصرفنا وتركناه وروى عن بشر بن الحرث الحافي رضى الله عنه انه قال رأيت ببغداد ان رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه وهو مع ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى قال واذا هو صرع من جنة به قال فوضعت راسه في حجري وجعلت اسأل الله تعالى أن يكشف ما به وادعو فأفاق فسمع دعائى فقال من هذا الفضولى الذى يدخل بيني و بين ربي و يعترض عليه في نعمته علي ونحى رأسه من حجري قال بشر فعاهدت الله تعالى أن لا أعترض على عبد في نعمة أراها عليه من البلاء وقد روى في بعض الاخبار ان يونس وجبريل عليهما الصلاة والسلام التقيا فقال يونس لجبريل دلني على أعبد أهل الارض فأتى به على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه قال واذا هو يقول متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لى فيك الامل يا بر يا وصول فقال يونس يا جبريل انما سألتك أن تريني صوّاما قوّاما فقال ان هذا كان قبل البلاء هكذا وقد أمرت أن أسلبه بصره فأشار الى عينيه فسالتا فقال متعتني بهما حيث شئت وسلبتنيهما حيث شئت وأبقيت لى فيك الامل يا بر يا وصول فقال جبريل هلم تدعو وندعو معك أن يرد الله عليك يديك ورجليك وبصرك فتعود الى العبادة التى كنت فيها فقال ما أحب ذلك قال ولم قال اذا كانت محبته في هذا فمحبته أحب الى من ذلك قال يونس يا جبريل والله ما رأيت أحدا أعبد من هذا قال جبريل يا يونس ان هذا طريق ليس يوصل الى رضاه بشئ أفضل منه وفى الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضى اصطفاه وفيها أيضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله جزيل الهبات والعطايا ولا سبيل له الى ذلك الا بما يرد عليه من أنواع البلا بالان العبد قد يعجز عن القيام بوظائف الطاعات ويتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها غير حاصل له تكفير سيآته بها وان قدر عليها ولم يتكاسل عنها لم يأمن تخليصها من الشوائب وتسليمها من الآفات والمعايب وحينئذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به أمله فليحسن العبد ظنه بمولاه وليعلم ان ما اختاره له خير له مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للرجل الذى قال له أوصنى قال لا تتهم الله في شئ قضاه عليك وذكر مسلم رحمه الله من حديث صهيب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجبا لامر المؤمن ان أمره كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابه شر فشكر كان خيرا له وان أصابه ضر فصبر كان خيرا له وذكر البخارى ومسلم في صحيحيهما من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى رضى

الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه الا كفر الله به من سيآته وذكر أيضا من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حط الله تعالى عنه به سيآته كما تحت الشجرة أوراقها وذكر البخاري ومسلم أيضا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها الا كتبت له درجة ومحيت عنه بها خطيئة وذكر البخاري أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المريض اذا برئ وصح من مرضه كمثل البردة تقع من السماء في صفائها ولونها وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسده وماله لما يرجو بذلك من كفارة خطاياه وروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم أخبار كثيرة في الحمى والعمى وغير ذلك روى البزار من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وعليه حمى فوجد حرها من فوق اللحاف فقال ما أشدها عليك يا رسول الله قال انا كذلك يشدد علينا البلاء ليضاعف لنا الاجر قال يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال الانبياء ثم الصالحون ان كان أحدهم ليبتلى بالفقر حتى ما يجد الا عباءة يحويها وان كان أحدهم ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء وقيل في معنى قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أي من الآثام والذنوب بالحمى والامراض كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه للحمى اذهبي الى أهل قباء وقد روى في بعض الاخبار بدلا من أهل قباء الانصار ففيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى يوما شخصا أسود فقال من أنت فقالت أم ملدم آكل اللحم وأشرب الدم وحرى من فيح جهنم صورة الحمى فقال عليه السلام اذهبي الى الانصار فان لهم علينا حقوقا فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير أحدا من الانصار حضر الصلاة فطلبهم فقيل أحدتهم الحمى فقال قوموا بنا نعودهم وقال لهم الحمى طهارة وكفارة فقالوا يا رسول الله ادع الله لنا حتى يزيدنا منها وذكر مسلم رحمه الله من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال مالك يا أم السائب أو يا أم المسيب ترفرفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبي الحمى فانها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد وذكر البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل قال اذا ابتليت عبدي المؤمن بحبيبتيه

ثم

ثم صبر عوضته منهما الجنة يريد عينيه كذا قال في آخر الحديث من قول أحد الرواة والحبيبتان هما العينان وهما الكريمتان أيضا وروى ان أنس بن مالك وأبا طلال رضي الله عنهما كانا في بيت ثابت البناني فقال أذن يا أبا طلال متى فقدت بصرك قال وأنا صبي لا أعقل فقال الا أحدثك حديثا حدثنيه حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويه عن جبريل ويرويه جبريل عن ربه عز وجل قال يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه قال سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا قال جزاؤه الخلود في داري والنظر الى وجهي ومن طريق هلال بن سويد وهو أبو طلال المذكور أنه سمع أنسا رضي الله عنه يقول مر بنا ابن أم مكتوم فسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أحدثكم بما حدثني به جبريل عليه السلام عن هذا واضرابه الذين ذهبت أبصارهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني جبريل ان الله عز وجل يقول حق علي من أخذت كريمتيه ليس له جزاء الا الجنة وفي حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أصيب عبد بعد ذهاب دينه باشد من ذهاب بصره وما ذهب بصر عبد فصبر الا لقي الله ولا حساب عليه وذكر البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ان امرأة سوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني أصرع واني أتكشف فادع الله لي قال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله ان يعافيك قالت أصبر قالت فاني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها الى غير ذلك مما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب مما لا يحصى كثرة وفيها أيضا يحصل له تجديد التوبة وأداء الحقوق والتبعات والظلامات وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت اذ ذاك أبلغ من يذكر به فقد قيل الحمى بريد الموت وقد قيل في قوله تعالى أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون أي يختبرون بها وفي حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم قال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الآخر من يذكر ذنوبه فتحزنه وقد كان السلف رضي الله عنهم يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص من نفس أو مال ويقال لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما ان يراع بروعة أو يصاب بنكبة وكانوا يكرهون فقد ذلك في هذا العدد من غير أن يصابوا فيه بشيء وفيها أيضا يقع له خلف ما يفوته من الطاعات ونوافل العبادات فيكتب له في مرضه مثل ما كان يعمل من ذلك في صحته وذلك أبلغ له في الوصول الى غرضه لانه من اختيار الله تعالى له وهو خير مما اختاره لنفسه وفي الخبر يقول الله تعالى للملائكة اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمله في صحته فانه في وثاقي ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه

(لايخاف عليك) اذا كنت متلبسا بحال من الاحوال كطاعة أومعصية أونعمة أوبلية (ان تلتبس الطرق عليك) أى طرق العبودية التى توصلك الى ربك عند تلبسك بحال من تلك الاحوال لان الشريعة مبينة لذلك فان من نظر فى الكتاب والسنة وجد ما رشده فعبوديتك فى الطاعة أن تشهد منته بها عليك وفى المعصية الاستغفار والتوبة منها وفى النعمة الشكر عليها وفى البلية الصبر عليها (وانما يخاف عليك) فى هذه الاحوال (من غلبة الهوى عليك) حتى يعميك عن رؤية طريق قصدك عماذكر بأن تعجب بالطاعة وتصير فى المعصية وتستقل النعمة فلا تشكرها وتجزع فى البلية ويحتمل أن المعنى لايخاف عليك أيها المريد الصادق أن تلتبس عليك الطرق أى الاعمال الموصلة الى الله من صلاة وصيام وذكر أى يلتبس عليك *(١٢٠)* الاولى منها فتصير تعمل هذا تارة وهذا أخرى وتنتقل فى أنواع العبادات لكونك لاتعرف الاولى بها من غيره اذا لم تكن تحت تربية شيخ وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصدك عن سلوك أى طريق من تلك الطرق فترجع عن التوجه الى مولاك بل الذى يلزمك أن تستعمل طرق القربات وان لم تعرف الاولى منها حتى يجمعك الله على شيخ ناصح مربك ذلك وتكون تحت تربيته (سبحان من ستر سر الخصوصية) أى سراه والخصوصية وهى العلوم والمعارف والاسرار الالهية التى يعطيها الله لاوليائه و يفيضها على قلوبهم (بظهور البشرية) أى الاحوال التى تعرض للبشر والامور الدنيوية التى يتعاطاها الناس فان بعض الاولياء قد يكون حمارا أو خواصا أوحيا كا فلا يعرفه غالب الناس لستر خصوصيته بهذه الصنعة التى يتعاطاها ومخالطته للناس فى حال معاملته معهم وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الناس وهم الدعاة الى الله تعالى ليتكمل بهم غيرهم (وظهر) للعباد (بعظمة الربوبية) أى بربوبيته العظيمة (فى اظهار) آثار (العبودية) عليهم وهى الاحوال التى تطرأ على العبيد وتقتضى افتقارهم للرب كالمرض والفقر

وان توفيته توفيته الى رحمتى وفى الحديث الصحيح من حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض العبد أوسافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا الى غير ذلك من الالطاف التى لايعلمها وانما ذكرنا هذه المعانى ههنا لانها لائقة بكلام المؤلف رحمه الله وكأنها مفسرة له وأيضا فان العبد محتاج اليها غاية الاحتياج لانه فى حال نزول البلايا يتسخط ويجزع و يضطرب ايمانه و يتزلزل ايقانه فيحتاج الى مذكر يذكره بامثال هذه المعانى ليحصل له بذلك من الرضا وحسن الظن بالله تعالى والمحبة له ما يرجى له بذلك ان مات من فوره حسن الخاتمة وحب لقاء الله تعالى والاعمال بخواتيمها وهذا الغرض هو الذى أوجب لنا فى هذا الفصل الاكثار من الحكايات واظهار نسبة أكثر الاحاديث فيه الى رواتها الثقات لتطمئن قلوب أهل البلاء بذلك وتسلك الى الله واضحات تلك المسالك والله ولى التوفيق *(لايخاف عليك ان تلتبس الطرق عليك وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك) الطريق الى الله تعالى واضحة لائحة لان الحق تعالى هو الذى تولى ذلك وبه أنزل الكتب وأرسل الرسل ونصب عليه الادلة والبراهين فلا يخاف على العبد من التباسها عليه وانما يخاف من غلبة الهوى عليه حتى يعميه ذلك عن ربه قال أحمد بن خضرويه البلخى رضى الله عنه الطريق واضح والحق لائح والداعى قد أسمع فما التحير بعد هذا الا من العمى *(سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى اظهار العبودية) سر الخصوصية هو

حقيقة

فان العبد اذا قام به حال من تلك الاحوال التجأ الى الرب فى ازالته وظهر له عظمة ربوبيته أى ربوبيته العظيمة أى ان له ربا مالكا له يزيل عنه ما قام به ولولا ذلك لم يعرفه فعظمة الربوبية انما ظهرت للعباد من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر ولذا قال الشاذلى قدس سره العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير (لا تطالب ربك) أى تعترض عليه وتسىء الظن به (ب) سبب (تأخر مطلبك) *(١٢١)* أى ما طلبته منه باطنيا كان كالخصوصيات أو ظاهريا كالاغراض الدنيوية فاذا طلبت منه شيأ ولم يسرع لك الاجابة فلا تسىء به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما يشاء لا يسئل عما يفعل (ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) أى عدم وجوده حيث طلبت منه اسراع اجابتك ولا يخفى ما فى ذلك من سوء الادب وأيضا مطالبتك له بالاجابة دليل على انك دعوت لتجاب فى دعائك فيكون دعاؤك لغرض وهذا مما يقدح فى كمال

حقيقة المعرفة التى اختص بها أهل ولاية الله تعالى بحيث لا يبقى معها وجود لغير ولا كون وذلك لما جعله فيهم من التهيؤ والقابلية فمن لطيف حكمة الله تعالى أن ستر ذلك بما أظهره من البشرية التى من لوازمها وجود الغير والكون ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون كما قال فى لطائف المنن ولابد للشمس من سحاب وللسناء من نقاب ثم ان من حقيقة ظهور البشرية الاتصاف بصفة الافتقار والاحتياج وغير ذلك من أوصاف الحدوث وذلك هو حقيقة التعبد والتأله فظهر لنا من ذلك لزوم وجود اله معبود وهذه هى عظمة الربوبية التى ظهرت لنا من وراء حجاب العبودية ولولا ذلك لكان باطنا لا يظهر كما قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه العبودية جوهرة أظهرتها الربوبية فسبحان اللطيف الخبير ومن هو على كل شىء قدير والتسبيح الذى ذكره المؤلف رحمه الله ههنا فى غاية المناسبة لما ذكره من المعنى ﴿لا تطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك) اذ ادعوت ربك وسألت منه مطلبا من المطالب ولم تظهر لك الاجابة فحسن به ظنك ولا تطالبه بالوفاء بذلك فانه يفعل ما شاء لا يسئل عما يفعل ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فانها أهل للمطالبة وسوء أدبها من وجوه أحدها انك دعوت لتجاب فى دعائك فيحصل لك بذلك غرض وهذا مما يقدح فى كمال عبوديتك وسيأتى هذا المعنى عند قوله لا يكن طلبك سببا الى العطاء منه فيقل فهمك عنه وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بأحكام الربوبية والثانى اعتقادك انه لم يستجب لك اذ ظهر لك عدم الاجابة منه وليس من شرط الاجابة ان تظهر لك بل له ان يخفيها عنك لما فى ذلك من المصالح والاجابة اليه أمرها يجعلها ماشاء مما تعلمه أو تجهله وقد تقدم هذا المعنى عند قوله لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا ليأسك الى آخره والثالث وهو أشدها اعتراضك على ربك فى حكمه ومطالبتك له اذا تأخرت اجابته عليك ثم ذكر المؤلف

عبوديتك وأيضا اعتقادك انه لم يستجب لك اساءة أدب اذ ليس من شرط الاجابة أن تظهر لك بأن يجيبك بعين ما طلبت فى الحال بل له أن يخفيها عنك لما فى ذلك من المصالح فيجيبك بغير ما طلبت أو بعينه لكن يؤخر ذلك لمصلحة يعلمها ثم أشار الى كمال الادب الذى اذا قام به العبد حصل له غاية مقصوده وهو المعبر عنه بالاستقامة وبالصراط المستقيم فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فقال

(متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لامره) بأن وفقك للقيام بطاعته ويسرها لك (ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره) أى الرضا بما يجرى عليك من مولاك (فقد أعظم المنة عليك) حيث جمع لك بين عبودية الظاهر وعبودية الباطن فهذان الامران هما اللذان يلزمانك فى اقامة العبودية لربك لاغير فلماذا تتشوف وما الذى تلتمس بعد *(١٢٢)* حصولهما ان كنت عبدا حقيقيا وهل درجات أهل الكمال الا التقلب فى عبودية الظاهر وعبودية الباطن (ليس كل من ثبت تخصيصه) باظهار أمر خارق للعادة على يده كطى الارض والطيران فى الهواء والمشى على الماء (كمل تخليصه) من آفات النفوس وغوائلها وماتدعو اليه من الشهوات والمخالفات فكأنه يقول ليس كل مخصص بالآيات والكرامات مخلصا من الآفات بل قد يكون بعض من خصص بالكرامة لم تثبت له الاستقامة فالكرامة الحقيقية هى الاستقامة التى تفضلها ما تقدم بخلاف الكرامات التى هى خوارق العادات فانها قد تحصل على يد من لم يكن مستقيما استقامة تامة وكثيرا ما تظهر على أيدى المبتدئين ولا تظهر على أهل التمكين والكل من أهل الله تعالى فينبغى احترامهم وتعظيمهم لكن يعظم اهل الاستقامة أكثر من أهل الكرامة

رحمه الله تعالى الحالة التى يكون عليها العبد قائما بحق الادب وواصلا الى غاية الادب فقال (متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لامره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره فقد أعظم المنة عليك) هذان الامران هما اللذان يلزمانك فى اقامة العبودية لربك لاغير فمتى يسرهما الله تعالى لك وأقامك فى مراعات أحكامهما ووفقك لذلك فقد أعظم المنة عليك فلماذا تتشوف وما الذى تلتمس بعدهما ان كنت عبدا حقيقيا قال سيدى أبو الحسن رضى الله عنه صحبت أخا فى الله تعالى فى البادية واعتزلنا فى مغارة عسى أن نكون من أولياء الله تعالى وأن يفتح الله علينا بما فتح الله عليهم فأقمنا زمانا نقول لعل فى هذه الجمعة لعل فى هذا الشهر فلم يفتح الله علينا فنحن كذلك واذا بشيخ على باب المغارة يستأذن فاذنا له فدخل فسلم ووقف فقلنا له من أنت فقال عبد الملك فعلمنا انه من أولياء الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حالك يرددها كالمنكر علينا ثم قال كيف حال من يقول لنفسه فى هذه الجمعة أكون وليا فى هذا الشهر أكون وليا فلا ولاية ولا فلاح ولا دنيا ولا آخرة يا نفس ألا تعبدين الله تعالى كما أمرك مخلصة لوجهه كما أمرك قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انصرف عنا فانتبهنا لغلطنا وتيقظنا من أين دخل علينا وعلمنا ان الله تعالى رحمنا به فرجعت على نفسى باللوم والتوبة وقلت لها يا نفس من أنت وما علمك وما خطرك أنت لاشئ وتبنا واستغفرنا الله تعالى قال ففتح الله علينا بجوده وفضله (ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه) التخصيص ههنا هو أن يظهر الحق تعالى على بعض عباده أثرته وعنايته وتولية لطفه ورعايته فمنهم من يستمر له ذلك حتى يتحقق بالعرفان ويتخلص عن رؤية الاغيار والاكوان وهؤلاء هم خواص المقربين أهل العلم بالله والحب له ومنهم من يوقفه عن بلوغ ذروة الكمال ويربيه فى حاله بما يليق به من علوم وأعمال وهؤلاء عامة المقربين وخاصة أصحاب اليمين العباد الزهاد وأهل المجاهدة والاوراد وهؤلاء وان شاركوا الاولين فيما يتحفهم الحق تعالى من لطائف الكرامات وفيما يخصهم اياه من القيام بوظائف الطاعات والعبادات فلم يتخلصوا من رؤية نفوسهم ولم ينفكوا عن مراعاة حظوظهم بل هم ساكنون الى الاسباب مرتبطون بوجود

الحجاب

الحجاب وقد يختص الحق تعالى هؤلاء باظهار الكرامات على أيديهم وبسببهم تسكينا لنفوسهم وتثبيتا لليقين فى قلوبهم ويمنعها الاولين لانهم لا يحتاجون اليها لما هم فيه من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين كما قال صاحب كتاب عوارف المعارف وقد يكون من لا يكاشف بشئ من معانى القدر أفضل ممن يكاشف بها اذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة فالقدرة أثر القادر ومن أهل القرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر شيأ من القدرة ويروى القدرة تجلى له من سجف اجزاء عالم الحكمة وسئل الشبلى رضى الله عنه وقيل له ان أبا تراب ذكر انه جاع فى البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال عبد رفق به ولو بلغ الى محل التحقيق لكان كمن قال بيت عندربى فيطعمنى ويسقينى قال فى لطائف المنن واعلم ان الكرامات تارة تظهر للولى فى نفسه وتارة تظهر منه لغيره فان ظهرت للولى فى نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفرديته وأحديته وأن قدرته لا تتوقف على الاسباب وان العوائد هو حاكم عليها ليست هى حاكمة عليه وانما جعل العوائد والوسايط والاسباب حجب قدرته وسجب شمس أحديته فالواقف عندها مخذول والنافذ منها اليه من هو بالعناية موصول قال وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه فائدة الكرامة تعريف اليقين من الله تعالى بالعلم والقدرة والارادة والصفات الازلية مجتمع لا يفترق وأمر لا ينفك كأنها صفة واحدة قائمة بذات الواحد لا يستوى من تعرف الله اليه بنوره بمن تعرف الى الله بعقله ولاجل انها تثبيت لمن أظهرت له ربما وجدها أهل البدايات فى بداياتهم وفقدها أهل النهايات فى نهاياتهم اذ ما عليه أهل النهايات من الرسوخ فى اليقين والقوة والتمكين لا يحتاجون معه الى مثبت وهكذا كان السلف رضى الله عنهم لم يحوجهم الحق سبحانه وتعالى الى ظهور الكرامات الحسية لما أعطاهم من المعارف الوهبية والعلوم الاشهادية ولا يحتاج الجبل الى مرساة فالكرامة رافعة لزلزلة الشك فى المنة ومعرفة تفضل الله تعالى فيمن أظهرت عليه وشاهدة له بالاستقامة مع الله سبحانه وتعالى والناس فى الكرامات على ثلاثة أقسام قوم يجعلونها غاية الامر فان وجدوها عظموا من ظهرت عليه وان فقدوها لم يتوجهوا بالتعظيم اليه وقسم قالوا وما هى الكرامات انما هى خدع يخدع بها أهل الارادة ليقفوا بها على حدودهم حتى لا يلحقوا مقاما ليس هو لهم حتى قال أبو تراب النخشبى لابى العباس الرقى ما يقول أصحابك فى هذه الامور التى تكرم الله بها على عباده فقال ما رأيت أحدا الا وهو مؤمن بها فقال أبو تراب من لم يؤمن بها فقد كفر انما سألتك من طريق الاحوال فقال ما أعرف لهم قولا فقال أبو تراب بل قد زعم أصحابك انها خدع من الحق وليس الامر كذلك انما الخدع فى حال السكون اليها فأما من لم يفرح بها ولم يساكنها فتلك مرتبة الربانيين وكان هذا من أبى تراب

رضى الله عنه بعد أن عطش القوم وهم أصحابه فضرب بيده الارض فنبع الماء
فقال انى أريد أن أشربه فى قدح فضرب بيده الارض فناوله قدحا من زجاج
أبيض فشرب وسقانا قال أبو العباس الرقى ومازال القدح معنا الى مكة قال الشيخ
أبو الحسن والقول الفصل فى ذلك انه لا ينبغى أن تطلب أدبا مع الله تعالى ومن
ظهرت عليه عظم لانها شاهدة له بالاستقامة مع الله تعالى قال والقسم الثالث
وهو أن تظهر الكرامات فى الولى لغيره والمراد بذلك تعريف ذلك العبد الذى
شهدها بصحة طريق هذا الولى الذى ظهرت عليه الكرامة اما أن يكون جاحدا
فيرجع الى الاعتراف أو كافرا فيعود الى الايمان أو شاكا فى خصوصية هذا العبد
فأظهرت عليه ليعرفك الله بما فيه من ودائع الاحسان انتهى كلامه وقال أبو نصر
السراج سألت أبا الحسن بن سالم فقلت له ما معنى الكرامات وهم قد أكرموا حتى
تركوا الدنيا اختيارا وكيف أكرموا بان تجعل لهم الحجارة ذهبا فما وجه ذلك فقال
لا يعطيهم ذلك لقدرها ولكن يعطيهم ذلك حتى يحتجوا بذلك على نفوسهم عند
اضطرابها وجزعها من فوت الرزق الذى قسم الله لهم فيقولون الذى يقدر على
يصير لك الحجارة ذهبا كما هو ذا ينظر اليه قادر على أن يسوق اليك رزقك من حيث
لا تحتسبين فيحتجوا بذلك على تصحيح نفوسهم عند فوت الرزق ويقطعوا بذ[illegible]
هيج نفوسهم فيكون ذلك سببا لرياضة نفوسهم وتأديبا لها قال أبو نصر وقد حكى
لنا ابن سالم فى معنى ذلك حكاية عن سهل بن عبد الله رضى الله عنه أنه قال كان
رجل بالبصرة يقال له اسحق بن أحمد وكان من ابناء الدنيا فخرج من الدنيا أعنى
من جميع ماله وتاب وصحب سهلا فقال يوما لسهل يا أبا محمد ان نفسى هذه ليست
تترك الصياح والصراخ من خوف فوت القوت والقوام فقال له سهل خذ ذلك الحجر
وسل ربك أن يصيره لك طعاما تأكله فقال له ومن امامى فى ذلك حتى أفعل فقال
امامك ابراهيم عليه السلام حيث قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبى المعنى فى ذلك ان النفس لا تطمئن الا برؤية العين لان
من جبلتها الشك فقال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى حتى تطمئن نفسى فانى
مؤمن بذلك والنفس لا تطمئن الا برؤية العين قال فكذلك الاولياء يظهر الله لهم
الكرامات تأديبا لنفوسهم وتهذيبا لها وزيادة لهم انتهى كلام أبى نصر وقال بعض
العلماء ما رأيت هذه الكرامات الا على أيدى البله من الصادقين وكان رجل يصحب
سهل بن عبد الله رضى الله عنه فقال له يوما ربما أتوضأ للصلاة فيسيل الماء من بين يدى
قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل أما علمت أن الصبيان اذا بكوا أعطوا
خشخاشة ليشتغلوا بها وحكى جعفر الخالدى عن الجنيد رضى الله عنه قال جاءنى أبو
حفص النيسابورى مرة ومعه عبد الله الرباطى وجماعة وكان فيهم رجل أصلع قليل
الكلام فقال يوما لابى حفص قد كان فيمن مضى لهم الآيات الظاهرة يعنى بها

.لا يستحقر الورد) وهو الاعمال الصالحة التى تعمر بها الاوقات وتنكف بها الجوارح عن الوقوع في المكروهات بأن لا يعتني به ولا يواظب عليه (الاجهول) لما فيه من العبودية لله تعالى والحضور بين يديه والتنعم بذكره ولانه يورث تصفية الباطن وجلب الانوار وهي الواردات فالتشوف لها مع عدم الاعتناء بما يجلبها من الجهل والحمق * ثم ذكر أن له مزية على الوارد من وجهين أشار الى الاول بقوله (الوارد) وهو ما يرد على باطن العبد من المعارف الربانية واللطائف الروحانية وهي الانوار التى ينشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره (يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار) أي يفنى بفنائها (وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده) أي فينبغي للعبد أن يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لا يمكنه خلف ما فات منها والى الثاني بقوله (الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه) يعني ان الورد هو حق الله منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من طلبك حظك وقوفك معها وأتى المصنف بذلك ارشاد للمريدين الذين يتشوفون الى الواردات ويتركون الاوراد ويستحقرونها وذلك من الجهل بثمراتها ولذا لم يترك العارفون أورادهم مع تمكنهم في أحوالهم أكثر من المريدين

الكرامات وليس لك شئ من ذلك فقال له أبو حفص رضي الله عنه تعالى فجاء به الى سوق الحدادين الى كير عظيم فأحمى فيه حديدة عظيمة فادخل يده في الكير فأخذ الحديدة المحماة فأخرجها فبردت في يده فقال له يجزيك هذا فسئل بعضهم عن معنى اظهار ذلك من نفسه فقال كان مشرفا على حاله يخشى على حاله أن يتغير عليه ان لم يظهر له ذلك فخصه بذلك شفقة عليه وصيانة لحاله وزيادة لايمانه بل ربما يفرعنها العارفون ويخاف منها المحققون قال بعض السلف ألطف ما يخادع به الاولياء الكرامات والمعونات * وذكر عن أبي حفص أو غيره أنه كان جالسا وحوله أصحابه قال فنزل ظبي من الجبل فبرك عندهم قال فبكى أبو حفص فسئل عن بكائه فقال كنتم حولي فوقع في قلبي ان لو كان لي شاة لذبحت لكم فلما برك هذا الظبي عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سأل الله تعالى أن يجرى معه النيل فاجراه معه فبكيت وسألته الاقالة مما تمنيت وأطلقت الظبي ويحكى أن بعض الابدال قال لتلميذ من تلامذة الشيخ أبي مدين رضي الله عنه ما بالنا لا يعتاص علينا شئ وهو يعتاص عليه أقل الامور مع انا نتمنى مقامه وهو لا يتمنى مقامنا فبلغ ذلك الشيخ أبا مدين فقال قل له تركنا مرادنا لمراده وعن بعضهم أنه كان يسير في البادية فانتهى الى بئر فاذا الماء ارتفع الى رأس البئر فقال أنا أعلم انك قادر على هذا ولكن لا أطيقه فلو قيضت لي بعض الاعراب ليصفعني صفعات ويسقيني شربة ماء كان أسلم لي ثم اني لأعلم ان ذلك الرفق ليس من جهته قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه اذا رأيت الرجل يشير الى الآيات والكرامات فطريقه طريق الابدال واذا رأيته يشير الى الآلات والنعمات فطريقه طريق المحبة وهو أعلى من الذي قبله واذا رأيته يشير الى الذكر ويكون قلبه معلقا بالذكر الذي ذكر فطريقه طريق العارفين وهو أعلى درجة من جميع الاحوال * وقال أبو يزيد رضي الله عنه كنت في بدايتي يريني الحق تعالى الآيات والكرامات فلم التفت اليها فلما رآني كذلك جعل لي الى معرفته سبيلا (لا يستحقر الورد الا جهول الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتني به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك مما هو طلبك منه)

الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة أو باطنة والوارد هو الذى يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار فيتشرح بها صدره ويستنير بها قلبه وسره فالورد ما من العبد للحق تعالى من معاملة وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد أحق ما يعتنى به العبد ويراعيه من الوارد لوجهين أحدهما أن الورد مختص بهذه الدار لا يقع الا فيها فهو منقطع بانقطاعها وفان بفنائها فينبغى للعبد أن يستكثر من الاوراد قبل فواتها اذ لا يمكنه خلف ما فات منها والثانى ان الورد هو حق للحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه عليك أولى وأليق بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها فاذا ثبتت مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استحقاره من نهاية الجهل وكان مستحقره جهولا كما قال فى لطائف المنن واعلموا ان الله تعالى أودع أنوار الملكوت فى أصناف الطاعات فان من فاته من الطاعات صنف اواعوزه من الموافقة جنس فقد من النور بمقدار ذلك فلا تهملوا شيأ من الطاعات ولا تستغنوا عن الاوراد بالواردات ولا ترضوا لانفسكم بما رضى به المدعون من جرى الحقائق على السنتهم وفقد أنوارها من قلوبهم لان الحق بحكمته جعل الطاعة الجارية على العباد مستقر عة لباب الغيب فمن قام بالطاعة والمعاملة بشرط الادب لم يحتجب الغيب عنه وانما حجاب الغيوب وجود العيوب والتطهر من العيب يفتح لك باب الغيب ولا تكن ممن يطلب الله لنفسه ولا يطالب نفسه لله فذلك حال الجاهلين الذين لم يفهموا عن الله ولا واجههم المدد من الله والمؤمن ليس كذلك بل المؤمن من يطالب نفسه لربه ولا يطالب ربه لنفسه فان توقف عليه الوقت استبطأ أدبه ولا يستبطئ مطلبه ثم ذكر كلاما كثيرا وفى كلامه رحمه الله تعالى تنبيه على تأكد أمر الاوراد وعظم موقعها من الدين وأن مراعاتها من أحسن سمات العارفين وقد رؤى الجنيد رضى الله عنه وفى يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وكان يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة ثم يعود الى بيته ورؤى بعد وفاته فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وأبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا الا ركعات كنا نركعها فى السحر * وحكى أبو محمد الجريرى رضى الله عنه قال كنت عند الجنيد رضى الله عنه فى حال نزعه وكان يوم جمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختم فقلت فى هذه الحالة يا أبا القاسم فقال ومن أولى منى بذلك وحينئذ تطوى صحيفتى وقال أبو الحسن الدراج رضى الله تعالى عنه ذكر عند الجنيد أهل المعرفة بالله تعالى وما يراعونه من الاوراد والعبادات بعد ما لاطفهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضى الله عنه العبادة

على العارفين أحسن من التيجان على رؤس الملوك * وقال أبو بكر العطار حضرت الجنيد عند الموت فى جماعة من أصحابنا فرأيناه قاعدا يصلى ويثنى رجله اذا أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجليه فثقلت عليه حركتهما فمد رجليه فرآه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت وكانت رجلاه قد تورمتا فقال ماهذا يا أبا القاسم فقال هذه نعم الله الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريرى رضى الله عنه يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا محمد هذا وقت وجود منة الله الله أكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمة الله عليه ورضوانه * وقال الحصرى رضى الله عنه الناس يقولون الحصرى لا يقول بالنوافل وعلى أوراد من حال الشباب فتركت منها ركعة لعوتبت وقال محمد بن ثابت البنانى رضى الله عنهما لما حضرت أبى الوفاة جعلت ألقنه الشهادة فقال لى يا بنى دعنى فانى فى وردى السابع * قال أبو طالب المكى رضى الله عنه ومداومة الاوراد من أخلاق المؤمنين وطريق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان وفى خبر ان عائشة رضى الله عنها سئلت عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وفى لفظ آخر كان اذا عمل عملا أثبته وفى الخبر المشهور أحب الاعمال الى الله تعالى أدومها ان قل وجاء فى الاثر كلام تارة يروى عن الحسن بن على وتارة يروى عن الحسن البصرى ومرة عن عائشة رضى الله عنهم أجمعين وبعضهم يحكيه عن النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن فى مزيد فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له وقد يكون استمرار الورد من المكر والاستدراج للعبد ويكون مبدأ ذلك أن تلوح له خيالات وتظهر له صور كرامات توجب له استحسان حالته واختيار بطالته وفى ذلك رفض العبودية بالكلية وهو امارة لوجود الطرد والبعد والعياذ بالله وصاحب هذا عظيم الجهالة شديد العماية والضلالة وقد قال الجنيد رضى الله عنه لرجل ذكر المعرفة فقال الرجل أهل المعرفة بالله يصلون الى ترك الحركات من باب البر والتقرب الى الله تعالى فقال الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الاعمال وهذه عندى عظيمة والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا وان العارفين بالله أخذوا الاعمال عن الله واليه راجعون فيها ولو بقيت ألف عام لم أنقص من اعمال البر ذرة الا أن يحال بى دونها وأنه لا وحشة لى فى معرفتى وأقوى فى حالى * قال السهروردى رضى الله عنه فى كتاب عوارف المعارف فأما من تعرق بخيال أو قنع بحال ولم يحكم أساس خلوته بالاخلاص فيدخل الخلوة بالزور ويخرج بالغرور فيرفض العبادات ويستحقرها ويسلبه الله تعالى لذة المعاملة ويذهب عن قلبه

(وورود الامداد) من الله تعالى على عبده (بحسب الاستعداد) أي بحسب استعداد العبد بتطهير قلبه وملازمته لوروده ولذا قيل طهر قلبك من الاغيار تملأه بالمعارف والاسرار فالوارد تابع للورد كيفا وكما ودواما * فان كان الورد كاملا بأن برز من قلب صاف كان الوارد مثله أو ناقصا كان مثله وان كان كثيرا كان الوارد كثيرا والا فحسبه و يعتبر ذلك بمجموع العمر ولذا كان أحب العمل الى الله أدومه وان قل وان كان دائما كان الامداد دائما فالمواظبة على الورد من أهم المهم وهذا يصلح ان يكون وجها ثالثا لمزية الورد على الوارد (و) قوله (شروق الانوار على حسب صفاء الاسرار) تعليل لما قبله وايضاح له أي شروق أنوار اليقين والعرفان وهي الامدادات المذكورة على حسب صفاء الاسرار من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار * (١٢٨) * ولا يكون صفاؤها غالبا الا بملازمة

هيبة الشريعة و يفتضح في الدنيا والآخرة فيعلم الصادق أن المقصود من الخلوة التقرب الى الله تعالى بعمارة الاوقات وكف الجوارح عن المكروهات فيصلح لقوم من أرباب الخلوة مداومة الاوراد وتوزيعها على الاوقات و يصلح لقوم دوام المراقبة و يصلح لقوم ملازمة ذكر واحد و يصلح لقوم الانتقال من الذكر الى الاوراد ولقوم الانتقال من الاوراد الى الذكر انتهى ما يتعلق بغرضنا من كلام السهروردي رضي الله عنه وهو مناسب لما ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وليس من هذا المعنى ما روى عن أبي سليمان الداراني وأحمد بن عاصم الانطاكي رضي الله عنهما انهما قالا اذا صارت المعاملة الى القلوب استراحت الجوارح وان كان ظاهره موهما له فان أبا نصر السراج رضي الله عنه فسره بعد أن حكاه عن أبي سليمان الداراني فقال وهذا الذي قاله أبو سليمان يحتمل معنيين أحدهما انه أراد بذلك استراحة الجوارح من المجاهدات والمكابدات من الاعمال اذا اشتغل بحفظ قلبه ومراعاة سره من الخواطر والعوائق المذمومة التي تشغل عن ذكر الله تعالى قلبه ويحتمل أيضا انه أراد بذلك أن يتمكن من المجاهدات والاعمال والعبادات وتصير وطنه و يستلذ بها بقلبه ويجد حلاوتها و يسقط عنه التعب ووجود الآلام التي كان يجدها قبل ذلك انتهى كلام أبي نصر ومعناه صحيح والله أعلم وبه التوفيق ﴿وورود الامداد بحسب الاستعداد وشروق الانوار على حسب صفاء الاسرار﴾ ورود الموارد الامدادية من الله تعالى على قلب عبده بحسب القوة الاستعدادية المجبولة فيه وشروق الانوار اليقينية على حسب صفاء سره من كدر التعلق بالآثار والركون الى الاغيار ﴿الغافل اذا أصبح ينظر ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به﴾ أول خاطر يرد على العبد هو ميزان توحيده

لاوراد (الغافل) عن التوحيد وأن كل شئ بقضاء الله وقدره (اذا أصبح ينظر ماذا يفعل) أي ينسب افعاله الى نفسه فيقول ماذا أفعل في هذا اليوم مثلا (والعاقل) أي المستيقظ الذي لا يغفل عن التوحيد ولا يغيب عنه أن كل شئ بقضاء الله وقدره (ينظر ماذا يفعل الله به) أي ينسب افعاله كلها الى الله تعالى فيقول اذا أصبح ماذا يفعل الله بي في هذا اليوم مثلا فنظر الغافل لنفسه فرعا وكله الله اليها فلا تنجح مطالبه ونظر العاقل لربه فيكفيه فالغافل ما أهمه و ييسر له مطالبه فهذا ميزان يعرف به المريد حال نفسه فأول خاطر يرد عليه هو ميزان توحيده فلينظر اذا استقبله شغل فان عاد قلبه في أول وهلة الى حوله وقوته فهو منقطع عن الله وان عاد الى الله سبحانه فهو واصل اليه و يصح أن يكون معنى نظره الى ما يفعل الله به أن ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله تعالى فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف اقتضاه دوام ايمانه وصدق افتقاره

فالغافل اذا أصبح اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى نفسه فيقول ماذا أفعل اليوم فهو مشتغل بتدبر نفسه مصروف عن النظر الى مولاه وذلك لوجود غفلته عنه فهو حقيق بأن يكله الله تعالى الى نفسه فيتشتت عليه عقله و ينغص عليه مراده والعاقل اول خاطر يرد عليه نسبة الفعل الى الله تعالى فيقول ماذا يفعل الله بي فهو ناظر الى الله تعالى والى ما يرد عليه منه وذلك لوجود عقله ودوام يقظته فلا جرم ان يكفيه الله تعالى تعلقات الامال و يفرغه من جميع الاشغال و يرضيه و يقر عينه بما يقيمه فيه من اعمال أو يورده عليه من احوال وهذه سعادة عظيمة ومنة من الله تعالى لمن وليه من عباده جسيمة قال عمر بن عبد العزيز أصبحت ومالي سرور الافي مواقع القدر وقال أبو عثمان رضي الله تعالى عنه منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته ومن املح ما رأيت في هذا المعنى الذي ذكره المؤلف رحمه الله وما يجب أن يحذو على مثاله كل عالم متصوف ما ذكر الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الصقلي رضي الله تعالى عنه في كتابه صفة الاولياء ومراتب أحوال الاصفياء مسنده الى أيوب ابن بشر الطالقاني قال حدثنا رجل من أصحابنا قال رأيت رجلا في مرج الديباج ليس معه شئ فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فقلت يرحمك الله أين تريد قال ما ادرى قلت هل رأيت أحدا يريد مكانا لا يدري أين يذهب فقال نعم أنا واحد فقلت فأين تنوى قال الى مكة قلت تنوى مكة ولا تدرى أين تذهب قال نعم وذلك اني كم مرة أردت أن أذهب الى مكة فيردني الى طرسوس وكم مرة أردت طرسوس فيردني الى عبادان فيجيئني الى مكة ولا أدرى قلت فمن اين المعاش قال لا أدرى قلت اخبرني باسباب ذلك قال من حيث يريد يجيعني مرة ويشبعني مرة و يكرمني مرة و يهينني مرة ومرة يقول لي ما على وجه الارض ازهد منك ومرة يقول لي أنت لص ومرة ينومني على الفراش و يطعمني الطيب ويدهن رأسي و يكحل عيني ومرة يطردني الطرد العنيف ولا يئويني الا عند النواويس قلت يرحمك الله من يفعل ذلك بك قال الله عز وجل قال فألقاني في بحر قلت فسر لي يرحمك الله كيف هذا قال أنا رجل أسير نهاري فاينما جن بي الليل بت فربما أويني الليل الى قرية فاذا نظر الى أهلها قال بعضهم لبعض هذا لص لا تدعون هذا يأوى الليلة في هذه القرية فاذا صليت العشاء الآخرة يدخل المسجد رجل فيقول يا نائم فأقول لبيك فيقول لي بالعنف قم من ههنا ليس لك ههنا موضع فأقول له حبا وكرامة فأين أبيت الليلة فيقول خارج القرية عند النواويس فأقول نعم وكرامة لا يكون لي مأوى الا عند النواويس تلك الليلة فاذا أصبحت سرت فيأويني الليل الى قرية فاذا رآني أهلها قال بعضهم لبعض قد ورد عليكم الليلة رجل زاهد خير فاضل فيقول هذا عندي يبيت و يقول هذا

عندي بيت فاذا صليت العشاء الاخيرة فيقول رجل منهم قم بنا الى البيت فأقول نعم حبا وكرامة فأمضي معه الى المنزل فيأتيني بالطعام الطيب ويدهن رأسي ويكحل عيني ويأتيني بالفراش اللين فينومني عليه ولايدع شيأ من البر الافعله بي حتى أصبح فهذا حالي مع سيدي فقلت رحمك الله متى قدرلك أن تدخل بغداد فان منزلي في موضع كذا وكذا قال فأنا يوما قاعد واذا بانسان يدق الباب فخرجت فاذا أنا بصاحبي فسلمت عليه وأدخلته البيت فقلت له أي شئ صنع بك مولاك قال آخر ما فعل بي ضربني ضربا شديدا وقال لي يالص ثم اراني ظهره فاذا أثر الضرب عليه فقلت ايش القصة قال كان أجاعني جوعا شديدا فلما بلغت الابيار جئت الى مقثأة قد نبذ منها المدود والمر فقعدت مقعدا آكل منه فنظرني صاحب المقثأة فأقبل الي بعصا فجعل يضرب ظهري ويقول يالص ما أخرب مقثأتي غيرك منذ كم أرصدك حتى وقعت عليك واذا أنا بفارس قد أقبل مسرعا اليه فضربه بالسوط في رأسه وقال تعمد الى رجل زاهد فتضربه أو يقال لمثل هذا يالص قال فما كان بأسرع من أن كنت عنده لصا فصرت زاهدا كما حدثتك قال فأخذ بيدي صاحب المقثأة فذهب بي الى منزله فما أبقى من الكرامة شيأ واستحلني فخرجت من عنده وجئت اليك وقد يكون في معنى نظره الى ما يفعل الله به أن ينظر ما يرد على قلبه من الاشارة من قبله فيكون اقدامه واحجامه بوجود بصيرة وحسن توفيق وهذا ميزان شريف اقتضاه دوام التجائه وصدق افتقاره قال سيدي أبو مدين رضي الله تعالى عنه احرص من أن تصبح وتمسي الامفوضا مستسلما لعله أن ينظر اليك فيرحمك وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله فانظر اذا استقبلك شغل فان عاد قلبك في اول وهلة الى حولك وقوتك فانت المنقطع عنه فان عاد قلبك الى الله فانت الواصل الى الله وكل العالم في قبضته وتخصيص أهل الوصلة بأنهم في كنف ايوائه ولايكلهم الى غيره واعتبر هذا المعنى بعمرة الحديبية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صده المشركون فيها عن مكة ومنعوه من أن يتم بين أظهرهم نسكه رجع في الحال عن تلك العمرة ولم يتعرض لهم بما يحصل له به في الظاهر عزة أونصرة بعدما كان دعا اليه من بيعة الرضوان تحت الشجرة وما عزم عليه من مناجزة من حاده من الكفرة وعمل في ذلك على ما أظهره الله له من آياته العظام عند بروك ناقته لما أراد توجيهها الى البيت الحرام وقال حينئذ مظهرا لما قصده ومقررا لما اعتمده انما حبسها حابس الفيل لايدعوني اليوم قريش الى خصلة فيها صلة الرحم الا جبتهم اليها فكان كما قال صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم صالحهم على وضع الحرب فيما بينهم عشر سنين ليتقلبوا في الارض آمنين فلما استتب بينهم الصلح وأنزل الله تعالى سورة الفتح ظهرت الفوائد التي تضمنها

ذلك

(انما يستوحش العباد) وهم المتوجهون الى الله بطريق العمل (والزهاد) وهم المتوجهون له بطريق التوكل (من كل شئ) فكل من الطائفتين يفر من الخلق لكونهم قاطعين عن الله وذلك (لغيبتهم عن الله فى كل شئ) أى انهم محجوبون عن ربهم برؤية نفوسهم ومراعاة حظوظهم فيفرون من الاشياء ويستوحشون منها لانها موجودة فى نظرهم فيخافون منها أن تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم مقاصدهم لميلهم اليها وافتتانهم * (١٣١) * بها (فلو شهدوه فى كل شئ) كما شهده العارفون والمحبون (لم يستوحشوا من شئ) أى من أى شئ من الاشياء لرؤيتهم له حينئذ ظاهرا فى الاشياء كلها فيشغلهم ذلك عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها متلاشية فانية بهذا الاعتبار (أمرك) أيها العارف (فى هذه الدار بالنظر فى مكوناته) لتراه ظاهرا فيها بعين بصيرتك قال تعالى قل انظروا ماذا فى السموات الى غير ذلك من الآيات (وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته) لتراه بعين بصرك فرؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففى هذه الدار يرونه ظاهرا فى المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابها وتلك المكونات ولذا أمرهم بالنظر فيها وفى الدار الآخرة يرونه عيانا بأنوار ابصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف والرؤية فى الدنيا على الوجه المذكور خاصة العارفين وفى الآخرة عامة لجميع المؤمنين (علم منك انك لا تصبر عنه) أى عن مشاهدتك له كما هو شأن المحب فانه لا يصبر عن رؤية محبوبه لكن رؤيتك له فى هذه الدار من غير حجاب متعذرة (فاشهدك ما برز منه)

ذلك التدبير الحسن وقرت أعين الصحابة رضى الله تعالى عنهم بما أبرزه الله اليهم من الطاف ومنن وقد صح بالمعنى جميع ما قلناه فى الخبر ونقله الينا علماء الحديث والسير وليكن من دعاء صاحب هذا المقام ومناجاته ليوافق عقده قوله فى جميع تصرفاته اللهم انى أصبحت لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا ولا أستطيع أن آخذ الا ما أعطيتنى ولا أتقى الا ما وقيتنى اللهم وفقنى لما تحبه وترضاه من القول والعمل فى طاعتك انك ذو الفضل العظيم وليقل أيضا ما رأيته لسيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه اللهم ان الامر عندك وهو محجوب عنى ولا أعلم أمرا أختاره لنفسى فكن أنت المختار لى واجلنى فى أجل الامور عندك واحمدها عاقبة فى الدين والدنيا والآخرة انك على كل شئ قدير * انما يستوحش العباد والزهاد من كل شئ لغيبتهم عن الله فى كل شئ فلو شهدوه فى كل شئ لم يستوحشوا من شئ) العباد والزهاد فى حجبهم عن ربهم لنظرهم لنفوسهم ومراعاة حظوظهم فهم يفرون من الاشياء ويستوحشون منها لانها موجودة فى نظرهم والزهد فى المزهود شاهد له بالوجود كما قال سيدى أبو الحسن رضى الله تعالى عنه والله لقد عظمتها اذ زهدت فيها فهم يخافون منها أن تعوق عليهم اغراضهم وتفوتهم عن مقاصدهم بميلهم اليها وافتتانهم بها ولو كانوا من أهل العلم بالله والمحبة لله لرأوه ظاهرا فى الاشياء كلها ولكان لهم فى ذلك من قرة أعينهم ما يشغلهم عن رؤيتهم لنفوسهم فلا يكون لهم من الاشياء وحشة ولا يخشون منها فتنة لانها فانية متلاشية بهذا الاعتبار * أمرك فى هذه الدار بالنظر فى مكوناته وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته) رؤية العباد لربهم عز وجل على حسب تجليه لهم ففى هذه الدار يرونه ظاهرا فى المكونات بأنوار بصائرهم لما تجلى لهم من وراء حجابها ولذلك أمرهم بالنظر فيها وفى الدار الآخرة يرونه معاينة بأنوار أبصارهم من غير حجاب ولا مانع وهذا غاية الظهور والكشف * علم منك انك لا تصبر عنه فاشهدك ما برز منه) عدم الصبر عن الله تعالى من وجود الاحتظاء

من الآثار والاكوان أى اشهدك اياها لتراه فيها بعين بصيرتك وان كانت تلك الاكوان حاجبة لك عن رؤيتك له بعين بصرك فقد رأيته ولو من وراء حجاب وذلك كرامة من الله لك وعناية منه بك حيث لم يحجبك عنه فى الدنيا أيضا (لما علم الحق منك) أيها المريد (وجود الملل) أى السآمة من ثقل العمل المؤدية الى تركه (لوّن) أى نوع (لك الطاعات) رحمة بك وتسهيلا عليك لانك اذا سئمت من نوع منها انتقلت الى غيره ولو كانت من نوع واحد لسئمته النفس وتركته استثقالا لها بخلاف الانواع المتعددة فانها تستخفها وتستحليها لتنقلها من نوع الى نوع آخر وشأن النفس أن لا تدوم على حال واحد بل تنظر فى الاحوال ألا ترى ان الانسان اذا داوم على طعام واحد تسأمه نفسه كما وقع لبنى اسرائيل (وعلم ما فيك من وجود الشره) أى مجاوزا لحد فى التسارع الى العمل والحرص عليه فيؤدى بك الى أن لا تأتى به على وجه الكمال (فجرها) بالتخفيف أى منعها (عليك فى بعض الاوقات) فان الفرائض يمتنع فعلها فى غير أوقاتها المحدودة والنوافل يمتنع فعلها فى وقت الكراهة وفى بعض النسخ فجرها عليك * (١٣٢) * فى الاوقات بالتشديد أى جعل لكل طاعة وقتا مخصوصا ولم يجعلها دائمة فى جميع الاوقات لئلا يحصل منك شره فيحرك الى الترك والحاصل أن تلوين الطاعات لوجود الملل وتجريها فى الاوقات لوجود الشره نعمتان أنعم الله بهما على عبده فان الملل والشره آفتان عظيمتان فاطعتان للعمل والموجب للملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسأمها النفس وتستثقلها فاذا لونت عليها استحلتها واستخفتها والموجب للشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير بأن يقرأ القرآن مثلا ولا يتدبر فى معانيه ولا يحضر قلبه مع مولاه فى حال قراءته فلذلك عين لها أوقاتا تقع فيها وذلك هو معنى تجريها فى الاوقات وقوله (ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم) بنصب يكون بعد لام كى على انه تعليل لما قبله أى انما لوّن لك الطاعات حتى لا تمل وجرها عليك فى الاوقات حتى لا تشره لاجل أن يكون همك الخ فانهما اذا انتفيا أمكن توجيه الاهتمام الى حضور اقامة الصلاة لا الى مطلق وجودها وحصول صورتها بخلاف ما اذا وجدا فانه لا يكون معهما اتقان وفى بعض النسخ ليكن بالجزم فيكون كلاما مستأنفا واقامة الصلاة المراد هنا حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل فلا يختلج فيه سواه وقيل هى القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها لرؤية من يصلى له فتكون مستقبلا الى القبلة وقلبك مستقر فى حقائق الوصلة وخص الصلاة بالذكر دون سائر العبادات لان ذلك أكثر ما يقع فيها ثم أشار الى فوائد صلاة المقيم لا مطلق الصلاة بقوله

بمعرفته وهو حال شريف يقتضى دوام وجود المعية الاختصاصية والمعية الاختصاصية تقتضى دوام المشاهدة والحضور والمشاهدة الحقيقية غير متصورة فى هذه الدار لما هى عليه من الدناءة والنقص والفناء والذهاب فأكرم الله تعالى عبده لعلمه بعدم صبره عنه بان أشهده ما برز منه من الآثار والاكوان تسلية له بالاثر عن النظر فحصلت له حينئذ المعية الاختصاصية اللائقة بحاله حتى اذا أقعده فى مقعد الصدق وحصلت له هنديه الحق خلع عليه خلع التقريب والتكريم وواجهه بوجهه الكريم فحصلت له حينئذ المعية الحقيقية والمشاهدة السرمدية وماذلك على الله بعزيز

الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فجرها عليك فى بعض الاوقات ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فما كل مصل مقيم) تلوين الطاعات لوجود

الملل وتحجيرها فى الاوقات لوجود الشره نعمتان عظيمتان أنعم الله بهما على عبده فان الملل والشره ذمتان عظيمتان قاطعتان على العبد سبيل عبوديته والملل تكره بعوض للانسان من عمل يلحقه فيه مشقة فيصبر عليه و يتحمل التعب فيه حتى يضجر و يسأم فيترك ذلك العمل و يرفضه استثقالا له وهو شئ يتعرض للطبع بعد ايثاره للشئ ومحبته له والشره مجاوزة الحد فى التسارع الى العمل والحرص عليه والذى يوجب وجود الملل المداومة على نمط واحد من العبادات فتسامها النفس وتستثقلها فاذا لونت عليها استحلتها واستخفتها وقد قال بعض الشعراء

لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

والموجب لوجود الشره صلاحية الاوقات كلها لايقاع العبادات فيها مع شدة الحرص عليها وعند وجود الشره يقع النقص والتقصير فيها فلذلك عين لها أوقاتا توقع فيها وأوقاتا لا توقع فيها وذلك هو معنى تحجيرها فى الاوقات فان كان الملل والشره واقعين فى الصلاة لم يكن الآتى بها مقيما لها لوقوع التقصير منه فيها ولم يؤمر الا باقامة الصلاة لا بوجود صورة الصلاة قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه كل موضع ذكر فيه المصلون فى معرض المدح فانه انما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة أو بمعنى يرجع اليها قال الله سبحانه وتعالى الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة وقال الله تعالى رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى وقال عز وجل أقم الصلاة واقام الصلاة والمقيمى الصلاة ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فالاقامة أنه اذا صلى المؤمن صلاة فقبلت منه خلق الله من صلاته صورة فى ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة واقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا قال ابن عطاء الله رضى الله تعالى عنه اقامة الصلاة حفظ حدودها ظاهرا وباطنا مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج بسرك سواه وقال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله تعالى عنه هو القيام بأركانها وسننها ثم الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له فتحفظ عليه احكام الامر فيما يجرى عليه منه وهو عن ملاحظتها عو ونفوسهم منه مستقبلة الى القبلة وقلوبهم مستقرة فى حقائق الوصلة وتمثيل المؤلف رحمه الله تعالى بالصلاة دون سائر العبادات حسن لان ذلك أكثر ما يقع فيها وقد يكون ذلك استطراد الكلام على الصلاة حسبما يقوله باثر هذا *(الصلاة طهرة للقلوب من ادناس الذنوب) كما روى فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب يمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك أيبقى من

(الصلاة) الحقيقية (طهرة للقلوب) من مكدرها بالآثار وتلوثها باقذار الاغيار ومن الاوصاف المبعدة لها عن مشاهدة العزيز الجبار وفى بعض النسخ من ادناس الذنوب من اضافة المشبه به للمشبه والذنوب مختلفة باختلاف المقيمين لها

(واستفتاح) أى فتح أو طلب فتح (ابواب الغيوب) أى ما غاب عنك من المعارف والاسرار شبهها بكنز له باب مغلق عليه والابواب تخييل وهذا مترتب على ما قبله لان القلوب اذا طهرت رفع عنها الاستار فرأت ما غاب عنها من الاسرار (الصلاة محل المناجاة) أى مناجاة العبد لربه باظهار صفاته الجميلة من رحمته للعباد وتربيته للعالمين وملكه يوم الدين الى غير ذلك من الصفات ومناجاة الرب له بما يلقيه فى سره من العلوم الوهبية والاسرار العرفانية (ومعدن المصافاة) أى التودد أى مصافاة العبد لربه بتوجهه اليه بكليته واقباله عليه بعوالمه الظاهرة والباطنة حتى لا يختلج فى سره غيره ومصافاة الرب لعبده بأن يفنيه عن شهوده ويفيض عليه فضله وجوده وهذه أعلى المصافاة ودونها مراتب وعلى قدر اقبال العبد يكون اقبال الرب جل جلاله (تتسع فيها ميادين الاسرار) أى تتسع فيها القلوب الشبيهة بالميادين للفرسان أى تنشرح بتوارد الاسرار أى العلوم والمعارف عليها وتسابقها فيها تسابق الفرسان (وتشرق) أى تطلع (فيها شوارق الانوار) أى الانوار الشبيهة بالكواكب الشارقة وهو من عطف المسبب على السبب فان الانوار اذا أشرقت فى القلوب انشرحت لما يرد عليها من العلوم والمعارف وذلك من ثمرات المناجاة والمصافاة وجميع ما ذكر كالدليل لما قبله من أن المطلوب اقامة الصلاة لا وجودها

دونه شيأ * (واستفتاح ابواب الغيوب) لان القلوب اذا طهرت وتزكت رفع عنها الحجب والاستار فرأت ما غاب عنها من الاسرار * (الصلاة محل المناجاة) لان فيها يكون محل الثناء والدعاء والمناجاة مخاطبة الاسرار عند صفاء الاذكار للملك الجبار * (ومعدن المصافاة) وهى زوال الاكدار الكونية بينك وبين ربك حتى يصفو قلبك وسرك فيصفو لك حينئذ شهوده ويعود لك وجوده (تتسع فيها ميادين الاسرار) حتى تتكاثر عليك فى الظهور * (وتشرق فيها شوارق الانوار) فيكون قلبك نورا على نور وهذه العبارات الست معانيها متقاربة ولما كانت هذه الاحوال التى ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى من فوائد الصلاة وأن المقصود منها انما هو تحصيلها كان ذكر المؤلف لها كالدليل على ما قاله من أن المأمور به انما هو اقامة الصلاة لا وجود الصلاة فان الصلاة المعتبرة انما هى صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين التى لا تنتهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة أم العبادات وأساس الخيرات قال الله تعالى أقم الصلاة لذكرى فاخبر أن المراد من الصلاة الذكر وقد روى معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله ولذلك كانت قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتى الكلام عليه حيث تعرض المؤلف له وفى بعض الاخبار أن العبد اذا قام الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى السماء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وأن المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه وينادى مناد لو يعلم المناجى من يناجى ما انفتل وأن أبواب السماء تفتح للمصلى وأن الله تعالى يباهى ملائكته بصفوف المصلين وفى التوراة يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدى مصليا باكيا فأنا الله الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى وكانوا يرون أن تلك الرقة والبكاء وذلك الفتوح الذى يجده المصلى فى قلبه من دنو الرب من القلب وقال محمد بن على الترمذى رضى الله تعالى عنه دعا

(وجدان السلامة) من العقاب على ذلك العمل المدخول أي فيقول له الرب هذا العمل الذي عملته لا تستحق عليه مني جزاء بل يكفيك من الجزاء عليه سلامتك وعدم عقابك وهذا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل وبيان أن المنهل العذب الصافي أن يعبد العبد ربه لما هو عليه من عظمة الالوهية ونعوت الربوبية لا لما يعود عليه في دنياه أو أخراه وقد ذكر المصنف هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وأشار الى موضع منها أيضا بقوله (لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا) بل هو الفاعل له حقيقة وانما أنت محل لظهوره واذا كان الفاعل هو الله فكيف تطلب أنت الجزاء عليه أو يقال ان المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله وليس للعبد الا مجرد الكسب فكيف يطلب الجزاء على عمل ليس منسوبا اليه الا بطريق الكسب (يكفي من الجزاء لك

على العمل أن كان له قابلا) أي قبوله له والمراد به عدم مؤاخذتك عليه مع كونه مدخولا بقصدك به طلب الثواب (اذا أراد أن يظهر فضله عليك) أي تفضله عليك واحسانه لك (خلق) أي العمل فيك (ونسب اليك) أي نسبه اليك بأن قال فيك عند ملائكته انك مطيع ومتق ومجتهد وعامل أو نسبه اليك على ألسنة العباد بأن يطلق ألسنتهم بأنك مطيع ومتق الخ عظيم فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم لم ينسب لنفسه شيأ من محامد الصفات ومحاسن الاعمال لا حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والاعمال ومساويها فمقتضى الادب أنه يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف أنه من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله قدس الله سره اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له يا عبدي بل أنت أطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدي أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت واذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدي بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت واذا قال يا رب أنا ظلمت وأنا أسأت

وجدان السلامة) تقدم أن العمل لاجل حصول الجزاء مدخول معلول وحكينا هنالك من الآثار والحكايات عن العارفين وأرباب القلوب ما فيه مقنع وقد كرر المؤلف رحمه الله تعالى هذا المعنى في مواضع متفرقة من هذا الكتاب وما ذكره ههنا تقبيح لحال طالب الجزاء على العمل ومعنى ما ذكره أن العمل على هذا الوجه معرض للبطلان لانه اذا طالب ربه بالجزاء على عمله طالبه ربه بوجود الصدق فيه والصدق فيه الوفاء بحقه في العمل وأنى له توفية ذلك مع كونه طالبا للحظ من ربه فهو لا محالة مريب فيكفيه وجدان السلامة من غير مزيد عليها * قال الواسطي رضي الله تعالى عنه العبادات الى طلب العفو عنها أقرب منها الى طلب الاعواض عليها وقريب من هذا قول النصرابادي العبادات الى طلب العفو والصفح عن تقصيرها أقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها وقال خير النساج رضي الله تعالى عنه ميزان أعمالك ما يليق بأفعالك فاطلب ميزان فضله فانه أتم وأحسن قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * لا تطلب عوضا على عمل لست له فاعلا يكفي من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا) المنفرد بخلق أفعال العباد واختراعها هو الله عز وجل فكيف يطلب العبد الجزاء على عمل لا مدخل له فيه على الحقيقة ومعنى كون القبول جزاء قد تقدم * اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك) فضل الله تعالى

وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدى أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت اه (لانهاية لمذامك ان أرجعك اليك) أى وكلك الى نفسك لانها مجبولة على الشر فاذا خلى الله بينك و بينها أى لم يعنك عليها ولم يحكم ملك فيها غلبتك وتحكمت فيك فتوقعك فى أنواع القبائح حتى لا يبقى فى أعمالك ما يستحسن ولا فى أحوالك ما يحب وذلك من علامات الطرد والبعد عن الله (ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) بأن تولى عنايتك ونصرك على نفسك ولم يحكمها فيك فتصير أحوالك حسنة جميلة فلا تفرغ مدائحك ولا تنقضى محاسنك وذلك من علامات اصطفائه لك واجتبائه وقد علم أنه لا طريق للنجاة من النفس وغوائلها الا التعلق بالله والالتجاء اليه (كن بأوصاف ربوبيته متعلقا) لا متحققا اذ لا حظ للعبد فى شئ من أوصاف مولاه الا تعلقه به لا تحققه (وبأوصاف

عظيم . فاذا أراد أن يظهره عليك خلق لك الطاعة وجملك بها ونسبها اليك وقال لك يا عبدى أنت مطيع ومتق ومجتهد وعامل وسأثيبك على ذلك فاذا شهد العبد هذا الفضل العظيم واستولى عليه الخجل والحياء من سيده الكريم وانطلق لسانه فى هذه الحالة بالدعاء والسؤال وقال يا رب كما تفضلت على بخلق الطاعة لى وحليتنى بها ووصفتنى بصفات حميدة أنا خلى عنها فى الحقيقة ووعدتنى مع ذلك بجزيل الثواب والنجاة من العقاب فتقبل منى عملى وأنجز لى ما وعدتنى كان فى ذلك مصيبا والا فلا يحق للعبد أن لا ينسب الى نفسه شيأ من محامد الصفات ومحاسن الاعمال حقيقة ولا أدبا اذ لا أهلية فيه لذلك وأما مذام الصفات والاعمال ومساويهما فمقتضى الادب أن يضيف ذلك الى نفسه وأن يعترف بأن ذلك من ظلمه وجهله * قال سهل بن عبد الله رضى الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة وقال يا رب أنت بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله تعالى له ذلك وقال له يا عبدى بل أنت أطعت وأنت تقربت واذا نظر الى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله تعالى عنه وقال يا عبدى أنا وفقت وأنا أعنت وأنا سهلت واذا عمل سيئة وقال يا رب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت حكمت غضب المولى جلت قدرته عليه وقال له يا عبدى بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت واذا قال يا رب أنا ظلمت نفسى وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدى أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وحلمت وسترت (لانهاية لمذامك ان أرجعك اليك ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك) من أرجعه الحق الى نفسه ووكله الى عقله وخدمته فقد طرده عن بابه وأبعده عن جنابه وكانت أحواله مدخولة معلولة وأعماله مستقبحة مرذولة ومن آواه اليه وأظهر جوده عليه فقد اصطنعه لنفسه ورفعه الى حضرة قدسه وكانت أحواله حسنة جميلة وأعماله كلها ممدوحة مقبولة كما قيل

لما انتسبت الى جمالك تعرفت * ذاتى نصرت أنا والامن أنا

(كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا) التعلق بأوصاف

١٨ عبا ل عبوديتك متحققا) ومعنى التعلق بأوصاف الربوبية النظر اليها وملاحظتها أى ملاحظة كونها له فلا يصح لك أن تتصف بشئ منها ومعنى التحقق بأوصاف العبودية النظر اليها وملاحظتها أى ملاحظة كونها له فهى التى ينبغى أن يتصف بها العبد حقيقة لا بأوصاف الربوبية وما وجد فيه من أوصاف الربوبية فهو عارية عنده وليس هو له حقيقة فاذا لاحظ كون الغنى والقدرة والعزة والقوة ليست الا لمولى ولاحظ أن الذى يتصف به العبد حقيقة هو أضدادها وهى

الفقر والعجز والذل والضعف أمده الله تعالى بأوصافه فيكون غنيا بالله قادرا بالله عالما بالله عزيزا بالله قويا بالله كما سيأتى فى قوله تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه ثم علل ذلك بقوله (منعك أن تدعى ماليس لك) أى حرم عليك أن تدعى

شيأ ليس لك (مما) أعطى (للمخلوقين) من الاموال وسماه تعالى عدوانا وظلما (افيبيح لك) سبحانه (أن تدعى وصفه وهورب العالمين) أى فيكون ادعاؤك ذلك من أعظم الظلم وأشد العدوان فاذا ادعيت أنك غنى أوقادر أوعزيز أوقوى أوعالم كما يقع لبعض الناس كان ذلك من كبائر معاصى القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن أفحش الفواحش عند العارفين ووجود شئ من الشركة فى قلب العبد بادعاء شئ من أوصاف الربوبية لنفسه اعتقادا أوقولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه وفى الحديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما ألقيته فى النار وفى رواية قصمته ومعنى المنازعة الدعوى بالعبارة أوالاعتقاد واضافة هذين الوصفين له تعالى كناية عن شدة الاختصاص بهما

الربوبية أن تشهد وجودك ولوازم وجودك لاشئ من جميع ذلك لك ولا منك وانما هى عوارعندك فلا ترى وجودك الابوجوده ولابقاءك الاببقائه ولاعزتك الا بعزته ولاقدرتك الابقدرته ولاغناك الابغناه الى غير ذلك من الاوصاف ولايتم لك ذلك الابأن تحقق بأوصاف عبوديتك من عدمك وفقرك وذلك وعجزك والتعلق والتحقق المذكوران متلازمان بل هما شئ واحد لاتعدد فيهما على التحقيق

(منعك أن تدعى ماليس لك مما للمخلوقين أفيبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين) أورد هذا كالدليل على ماذكره آنفا من أنه لاحظ للعبد من صفات مولاه الا التعلق بها فقط وان ادعاء شئ منها من كبائر معاصى القلب ومن مشاركة المربوب للرب ومن مقتضى الغيرة التى اتصف بها وأعلمنا بشأنها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال لاأحد أغير من الله تعالى ومن غيرته أنه حرم الفواحش ماظهر منها ومابطن تحريم ذلك على العبد والتسجيل عليه باستحقاق الطرد والبعد ومن أفحش الفواحش عند العارفين وجود شئ من الشركة فى قلب العبد بادعاء شئ من أوصاف الربوبية لنفسه عقدا أوقولا لان ذلك منازعة له وتكبر عليه وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عزوجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدة منهما ألقيته فى النار ومعنى المنازعة الدعوى قولا وعبارة والاضمار فعلا واشارة ومعنى الغيرة فى حقه تعالى انه لايرضى بمشاركة غيره له فيما اختص به من صفات الربوبية وفيما هوحق له من الاعمال الدينية واذا كان الحق تعالى مانعا لك ومحرما عليك أن تدعى ماليس لك مما أعطى المخلوقين من الاموال ومسميا ذلك ظلما وعدوانا فكيف يبيح لك أن تدعى وصفه وهورب العالمين لاشريك له فى ذلك لا أنت ولا غيرك فهو اذا من أعظم الظلم وأشد العدوان عافانا الله من ذلك (قلت) وهذا المعنى الذى ضمنه المؤلف رحمه الله تعالى هذه المسئلة هو الغرض الاقصى الذى هو مرمى نظر الصوفية وكل ماصنفوه ودونوه وأمروا به ونهوا عنه من أفعال وأقوال وأحوال انما هى وسائل الى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف فشأنهم أبدا انما هو العمل على موت نفوسهم واسقاط حظوظها بالكلية كما قيل الصوفى دمه هدر وملكه مباح وليس ذلك هو المقصود لهم بالذات وانما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من انفراد الله تعالى عندهم بالوجود ولوازم الوجود انفرادا لايشاركونه فى شئ ما البتة

البتة كما ذكرنا آنفا وهذا هو كيمياء السعادة الذى أعوز أكثر الناس ولم يحظوا منه الا بالافلاس اذ بذلك يستحق المرء عبودية الله عز وجل الذى لا مقام للعبد أشرف منه كما قال الشاعر

ألست لى خلقتنى كنى شرفا * فاو راءك لى قصد ومطلوب

ولهذا المعنى كانت عندهم دقائق خطرات الحظوظ وخفيات هواجس الهوى وكل ما يقتضى بقاء حظ النفس وثبوتها من محبة المقامات وايثار الالطاف والكرامات ذنوبا عظيمة وأخلاقا ذميمة لئيمة قادحة فى صدق العبودية والاخلاص للربوبية يتوبون من جميع ذلك الى ربهم ويتعوذون به من شرهم ويخافون من مساكنته وملاحظته غاية البعد ونهاية المكر والطرد كما قيل

اذا قلت ما أذنبت قالت مجيبة * وجودك ذنب لا يقاس به ذنب

ذكر انه كان لبعض الملوك عبد يقدمه على أشكاله وأقرانه فشكا أهل اقليم عاملهم الى الملك فقال تخيروا من شئتم أوليه عليكم فاختاروا ذلك العبد لما رأوا ميل الملك اليه فقال الملك راجعوه فان اختار الولاية وليته عليكم فرغب الغلام فى الولاية فأمر بكتب المنشور وأمر باستقباله اذا وافى محل ولايته والمبالغة فى الطافه بأنواع المكرمات والمبار ودس من يرش عليه ماء ورد فيه سم ثم أمر من يقول اذا أشرف على الموت هذا جزاء من اختار الولاية على خدمة مولاه ففى هذا عبرة لاولى الابصار وتبصرة لارباب الاعتبار والى هذا المعنى الجليل المؤدى الى سواء السبيل تشير الحكاية المشهورة المروية عن أبى يزيد البسطامى رضى الله تعالى عنه حدث يحيى بن معاذ رضى الله تعالى عنه أنه رآه فى بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء الى طلوع الفجر مستوفزا على صدور قدميه رافعا أخمصيهما مع عقبيه عن الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر فأطال ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فأعطيتهم المشى على الماء والمشى فى الهواء فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم طى الارض فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فأعطيتهم عبدك خضرا فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء ثم التفت الى فرآنى فقال يحيى قلت نعم يا سيدى قال مذ متى أنت ههنا قلت منذ حين فسكت فقلت يا سيدى حدثنى بشئ فقال أحدثك بشئ يصلح لك أدخلنى فى الفلك الاسفل فدورنى فى الملكوت السفلى فأرانى الارضين وما تحتها الى الثرى ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوف بى فى السموات وأرانى ما فيها من الجنات الى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال سلنى أى شئ رأيت حتى أهبه لك

فقلت ياسيدي ما رأيت شيأ استحسنته فاسألك اياه فقال أنت عبدي حقا تعبدني لا لي صدقا لأفعلن بك ولأفعلن بك وذكر أشياء فقال يحيى بن معاذ رضي الله تعالى عنه فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت ياسيدي لم لم تسأله المعرفة به اذ قال لك سلني ماشئت قال فصاح بي صيحة وقال ويلك اسكت وتلك غيرة عليه مني لا أحب أن يعرفه سواه قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله تعالى عنه بعد أن ذكر هذه الحكاية فهذا حال عبد فان عن نفسه مأخوذ اذ كان ربه عزوجل له موجدا طال مقامه في المقامات فقصرت عن وصفه الصفات وحق له اذا نظر الى الحسن الذي حسنت المحاسن كلها عن حسنه وشانت الزينات جميعها بعد النظر الى زينته وشهد الجمال الذي تجمل الجمال والمتجملون بجماله أن لا يستحسن سواه وكيف يحب غير ما استحسن أو تزين في عينه الا اياه أم كيف يطلب غير ما أحب أو يصبر مع غير ما طلب بل كيف يهتم بغير ما طلب فهذا نعت عبد مطلوب بعين ما طلب ووصف شخص محبوب بعين ما أحب الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس انتهى وفي الاشارات عن الله سبحانه ياعبدي اعزل نفسك يعزل معها الملك والملكوت فتلحق الدارين بالملك وتلحق العلوم بالملكوت فتكون عندي من وراء ما أبدي فلا يستطيعك ما أبدي لانك عبدي واذا كنت عندي كنت عبدي حقا واذا كنت عبدي كان عليك نوري فلا يستطيعك ما أبدي وان أرسلته اليك لان نوري عليك وليس نوري عليها فاذا جاءك لم يطعك فأوذنك به فتأذن أنت له والعبارات عنهم في هذا المعنى خارجة عن الحصر وفيما رسمناه منها كفاية وانما ذكرنا هذه المعاني وان كانت في الظاهر اعلى من أن يتناولها كلام المؤلف رحمه الله تعالى لان مرجع أمره اليها اذا وقفنا في النظر وتصرفنا فيه بوجوه العبر فكان باطنه هو المقصود المعتبر وكلام الصوفية رضي الله عنهم كثيرا ما يجري هذا المجرى والله تعالى يجزيهم عنا خيرا ويمن علينا بالفهم عنهم وحسن القبول منهم ويفتح أسماعنا لاصغاء اليهم ويشرح صدورنا باستحسان ما يرد منهم أو يبدو عنهم بمنه وفضله * كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد) خرق العوائد بانكشاف عالم القدرة لا يكرم الحق تعالى به الا من خرق عوائد نفسه وفني عن ارادته وحظوظه فمن لم يصل الى هذه المقامات لا يطمع فيها وان ظهر له ما صورته صورة الكرامة فينبغي له أن يخاف عند ذلك من الاستدراج والمكر حيث لا يحب ذلك ولا يطلبه فان أحبه أو طلبه فهو دليل على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة ودل هذا الاحتمال لا يستقيم قال الشيخ أبو طالب المكي رضي الله عنه وجميع الانوار من الغيوب التي وراء الحجب والاستتار لا يظهر عليها الا المطلوب

(كيف تخرق لك) أيها المريد أي تطمع أن تخرق لك (العوائد) بان تظهر على يدك كرامات كطي الارض (وأنت لم تخرق من نفسك العوائد) أي ما اعتدته من الكبر والعجب والدعوى وغير ذلك فخرق العوائد بظهور شئ من عالم القدرة لا يكرم الله به الا من خرق عوائد نفسه وفني عن ارادته وحظوظه ومن لم يصل الى هذا المقام لا يطمع فيها فان ظهر له ما صورته كرامة فينبغي له أن يخاف من الاستدراج والمكر ولا يحب ذلك ولا يطلبه فان أحبه أو طلبه كان ذلك دليلا على بقائه مع ارادته وحظوظه وعاداته فكيف تخرق العوائد لمن هذه صفته على سبيل الكرامة

والمطلوب

والمطلوب لا يكون الا محجوبا وهو عن نفسه مسلوب فمتى بقيت عليه من نفسه بقية ونظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية فيسترها عليه رحمة له لانه لو كوشف بها لهلك في حيرة الهوى وغرق في بحار الدنيا ونفس حبه وعين طلبه اياها هو حجابه عنها واستتارها عنه حتى يكون كارها لظهورها كراهيته ظهور الخلق على معصيته وخائفا منها لخوفه على نفسه في تظاهرها عليه بهلكته فهنالك حين يبتلى بها ويختبر ليظهر كيف يعمل وكذا الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه قال من لم يكن كارها لظهور الآيات وخوارق العادات منه كراهية الخلق لظهور المعاصي فهو في حقه حجاب وسترها عليه رحمة فاذا من خرق عوائد نفسه لا يريد ظهور شئ من الآيات وخوارق العادات له بل تكون نفسه عنده أقل وأحقر من ذلك فاذا فني عن ارادته جملة فكان له تحقق في رؤية نفسه بعين الحقارة والذلة حصلت له أهلية ورود الالطاف ووجود الاسعاف وسلك الى مرتبة الصديقية المهيع الناهج وضرب مع أهل الارادة بالقدح الفالج قال الشيخ أبو العباس بن العريف أصبحت يوما مهموما فقلت للشيخ أبي القاسم بن رويبل حدثني بحكاية عسى الله أن يفرج ما بي فقال نعم وصف لي رجل ببعض السواحل يعرف بأبي الخير فقصدته فوجدته على ساحل البحر فسلمت عليه وجلست فلم يتكلم ولم أكلمه حتى اذا كان وقت الصلاة أقبل نفر من بعض الاودية متفرقون فاجتمعوا اليه وتقدمهم واحد منهم فصلى بهم ثم افترقوا ولم يكلم أحدا منهم أحدا وجلس الشيخ مكانه وجلست عنده حتى اذا كان وقت الصلاة حضر النفر فصلوا ثم انصرفوا حتى اذا كان وقت العصر اجتمعوا وصلوا ثم جلسوا بعد ذلك وتذاكروا سير الصالحين ومقامات العارفين والاولياء الى قريب الاصفرار ثم تفرقوا واجتمعوا للغرب ثم تفرقوا فجلست عندهم ثلاثة أيام وهم على ذلك ثم وقع في نفسي أن أسأله عن مسئلة أستفيدها فتقدمت اليه فقلت أيها الشيخ مسئلة أسأل عنها فقال قل فنظر الجماعة الي كالمنكرين فقمت فقلت أيها الشيخ متى يعلم المريد انه مريد قال فأعرض عني ولم يجبني فخفت أن أكون قد أغضبته فقمت عنه فلما كان في اليوم الثاني قلت لابد أن أسأله عن المسئلة وعزمت على ذلك فتقدمت اليه وقلت له أيها الشيخ متى يعلم المريد أنه مريد فأعرض عني كالاول ولم يجبني فقمت وعدت في الثالثة وسألته عن المسئلة بعينها فاجتمع وقال لا تقل هكذا أظنك تريد أن تسأل عن أول قدم يضعه المريد في الارادة فقلت نعم قال لي اذا اجتمع فيه أربع خصال أحدها أن تطوى له الارض وتكون عنده كقدم واحد وأن يمشي على الماء وأن يأكل من الكون متى أراد وأن لا ترد له دعوة وعند ذلك يضع أول قدمه في الارادة وأمامي ما علم المريد عندنا أنه مريد قط من حد

الارادة قال الشيخ أبو العباس بن العريف رضى الله عنه فصحت صيحة كادت نفسى تذهب معها ثم قلت له آستنا من الارادة يا أبا القاسم وتعجبت من علو همة هذا الشيخ انتهى واعلم انه أول ما يخرق له من العادة تسميته باسم المريد مع كونه مسلوب الارادة وما أحسن ما قال الشاعر

تكون مريدا ثم فيك ارادة * اذا لم ترد شيأ فأنت مريد

والتحقيق فى هذا أن من تمحضت ارادته لعبودية الله عز وجل بمراعاة حقوقه لاجل ما وجب عليه من ذلك لا يتوصل به الى نيل حظ ما هو الذى يسمى مريدا فلم يسم بذلك الا انه متصف بالارادة الحقيقية المتعلقة بأشرف المطالب ونهاية الآمال والمآرب وذلك أمر وجودى يصح أن يشتق منه اسم لمن قام به ذلك الامر الا انه سمى بذلك لاجل ما سلب عنه من الارادة المجازية المتعلقة بحظوظه لكن لما كان سلب احداهما يقتضى وجود الاخرى كاقتضاء الواجب صح لذلك الشاعر أن يطلق اسم الارادة على من سلبت منه ويعجزه عمن وجدت فيه رشاقة وملاحة ونعمة وبهذا تبين لك صحة كلام أبى يزيد رضى الله عنه واستقامته حيث قيل له ما تريد فقال أريد أن لا أريد وأنه ليس بمختل ولا متناقض كما توهم بعضهم (قال) فى التنوير واعلم أنه قد قال بعضهم ان أبا يزيد لما أراد أن لا يريد فقد أراد وهذا قول من لا معرفة عنده وذلك أن أبا يزيد رضى الله عنه انما أراد أن لا يريد لان الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم الارادة معه فهو لا يختار معه شيأ ولا يريده فهو فى ارادته أن لا يريد موافق لارادة الله له ولذلك قال الشيخ أبو الحسن فكل مختارات الشرع ومرتباته هو مختار لله ليس لك منه شئ فاسمع وأطع وهذا موضع الفقه الربانى والعلم اللدنى وهو أرض تنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله قال فأبان الشيخ بهذا الكلام أن كل مختار للشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبنى على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك فيظن أن الوظائف والارادات ورواتب السنن ارادتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لانه قد اختار فبين الشيخ ان كل مختارات الشرع ومرتباته ليس لك منه شئ وانما أنت مخاطب أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها لا عن تدبير الله تعالى ورسوله لك فافهم قال فقد علمت اذا ان أبا يزيد ما أراد أن لا يريد الا لان الله أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الارادة عن العبودية المقتضاة منه انتهى وقد طال بنا الكلام فى هذا المعنى حتى آل الى بعد المناسبة بينه وبين المسئلة المنبه عليها من الكتاب والحديث شجون يجر بعضه الى بعض لكن لما كان قصدنا فى هذا التنبيه استغنام ذكر الفوائد فى مواضعها وظنها التفرع مسائل هذا الفن الغريب أسماع من أراد الله تعالى توفيقه ممن بينه وبينه بعد المشرقين صح منا ذلك وكنا سائرين فيها على أوضح المسالك

وبالله

(ما الشأن وجود الطلب) أى الدعاء بلسان المقال أى ليس الشأن المعتبر عند المحققين أن تطلب حوائجك وحظوظك من مولاك دون غيره ظانا ان طلبك ذلك منه دون غيره يوفى بما يجب عليك فى الدعاء من الادب فان ذلك لا يوفى به (انما الشأن ان ترزق حسن الادب) أى انما الشأن المعتبر عند المحققين أن تطلب جميع مطالبك منه دون غيره لا لقصد نيل حظك ومرادك فقط بل ان تطلب ذلك منه اظهارا للعبودية وقياما بحقوق الربوبية فبذلك يحسن أدبك ويصح سؤالك وطلبك وذلك هو الوفاء على التحقيق بحق الادب فى الدعاء ويحتمل أن يراد بالطلب الطلب بالقلب وتوجهه لشئ من الاغراض أى ليس *(١٤٣)* الشأن ان تطلب شيأ من مولاك بقلبك مما لك فيه حظ سواء صاحبه طلب باللسان أولا بل الشأن أن ترزق حسن الادب وهو ترك الطلب اكتفاء بنظره اليك فالادب الحسن فى الدعاء على الوجه الاول ان يدعو اظهارا للعبودية وقياما بحق الربوبية لا لنيل حظ نفسه فقط وعلى الوجه الثانى ترك الدعاء والطلب اعتمادا على قسمته واكتفاء بمشيئته واشتغالا بذكره عن مسئلته (ما طلب لك) بالبناء للفاعل وهو (شئ مثل الاضطرار) أى ان أحسن الطالبين لك هو الاضطرار غشبه بشخص طالب والاضطرار اظهار غاية الفاقة فلا تتوهم من نفسك شيأ من الحول والقوة ولا ترى لها سببا من الاسباب تعتمد عليه أو تستند اليه وتكون بمنزلة الغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر لا ترى لغناك الا مولاك ولا ترجى النجاة من هلكتك الا منه ويحتمل بناء طلب للمفعول والنائب قوله شئ أى ان اضطرار العبد هو أقصى أوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شئ أجل منه وقوله (ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) من عطف اللازم على الملزوم لان الذلة والافتقار لازمان للمضطر وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف بهما واليه الاشارة بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم

وبالله تعالى التوفيق (ما الشأن وجود الطلب انما الشأن أن ترزق حسن الادب) اذا التزم العبد طلب حوائجه وحظوظه من مولاه ولم يطلب ذلك من غيره فلا يظنن انه وفى بما يجب عليه من حق الربوبية وليس ذلك بالشأن المعتبر عند المحققين وانما الشأن أن يتأدب العبد بين يدى مولاه أدبا حسنا بأن يفوض أمره اليه ويرضى بما قسم له ولا يطلب منه ما ليس له كما سيقول المؤلف رحمه الله بعد هذا و يطلب عبودية منه لا لقصد نيل حظه فبهذين الوجهين يحسن أدبه ويصح سؤاله وطلبه وذلك هو الوفاء على التحقيق (ما طلب لك شئ مثل الاضطرار ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار) اضطرار العبد هو أخص أوصاف عبوديته ولذلك لم يطلب من العبد شئ أجل منه قال أبو محمد عبد الله بن منازل رضى الله عنه العبودية الرجوع فى كل شئ الى الله عز وجل على حد الاضطرار وفيه أيضا خاصية اجابة الدعاء قال الله عز وجل أمّن يجيب المضطر اذا دعاه والاضطرار المطلوب منه أن لا يتوهم العبد من نفسه شيأ من الحول والقوة ولا يرى لنفسه سببا من الاسباب يعتمد عليه أو يستند اليه ويكون بمنزلة الغريق فى البحر أو الضال فى التيه القفر لا يرى لغياثه الا مولاه ولا يرجو نجاته من هلكته أحدا سواه وقال بعض العارفين المضطر الذى يقف بين يدى مولاه فيرفع يديه اليه بالمسئلة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيأ فيقول هب لى يا مولاى بلا شئ والذلة والافتقار أمران لازمان له وهما موجبان لاسراع مواهب الحق تعالى الى العبد المتصف

(لولا أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك) اى عيوب نفسك ومنها شهوة الوصول اليه (ومحو دعاويك) أى نسبة ما لا تستحقه اليك كالقوة والعزة والغنى والقدرة وفناء ذلك ومحوه بالرياضات والمجاهدات أى لا تعتقد انك لا تصل اليه الا بعد فناء ذلك برياضتك ومجاهدتك فان اعتقدت ذلك (لم تصل اليه أبدا) لان ذلك من الاوصاف الذاتية الجبلية التى لا ينفك عنها العبد وحينئذ فالوصول منه من الله عليك لا بكسبك كما أشار الى ذلك بقوله *(١٤٤)* (ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه) أى الى حضرة قربه (غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته) أى ستر عنك أوصافك وأظهر عليك أوصافه فأفناك عنك وأبقاك به أى غيب صفاتك الدنيئة باظهار صفاته العلية عليك والى ذلك الاشارة بقوله فى الحديث القدسى ولا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها (فوصلك اليه بما منه اليك) وهو اظهار صفاته عليك (لا بما منك اليه) من الاجتهاد فى الاعمال قال الشاذلى قدس سره لن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من تدبيراته أو اختيار من اختياراته فلو خلى لله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب صفات عبده ونعوته عنه وعند ذلك لا يكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره مولاه وأراده اهـ

بهما واليه الاشارة بقوله عز من قائل ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فذلتهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم كما قيل

واذا تذللت الرقاب تقربا * منها اليك فعزها فى ذلها

(وقيل)

حيث أسلمتنى الى الذال واللا * م تلقيتنى بعين وزاى

قال فى لطائف المنن والجالب للتوفيق وعلامة صدق الرجوع الى الله فى أول كل فعل وترك تحقيق الفقر والفاقة اليه والانغماس فى بحر الذلة والمسكنة بين يديه واستصحاب ذلك الى الفراغ من ذلك أبدا وقد قال الله سبحانه ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وقال تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين فلا تدخل جنة عملك وعلمك وما أعطيت من نور وفتح فتقول كما قال من خذل فأخبر الله عنه بقوله ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولكن ادخلها كما بين لك وقل كما رضى لك ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وافهم ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة وفى رواية أخرى كنز من كنوز تحت العرش فالترجمة ظاهر الكنز والمكنوز فيها صدق التبرى من الحول والقوة والرجوع الى حول الله تعالى وقوته *(لولا أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ومحو دعاويك لم تصل اليه أبدا ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ونعتك بنعته فوصلك اليه بما منه اليك لا بما منك اليه) الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب وشئ من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو لان ذلك طبعه وجبلته ولو لم يكن الا ارادته وعمله فى تحصيل هذا الغرض بنفسه فهما من جملة المساوى والدعاوى المحتاج الى محوها قال سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه لن يصل الولى الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول الى الله تعالى يعنى انقطاع أدب لا انقطاع ملل (وقال سيدى) أبو الحسن رضى الله عنه ولن يصل الولى الى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدبير من

تدبيراته أو اختيار من اختياراته فلو خلى الله تعالى عبده وذلك لم يصل اليه أبدا ولكن اذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ونعوته عنه ويكون ذلك علامة على محبته له كما أشار اليه بقوله في الحديث القدسي فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها وعند ذلك لا تكون له ارادة ولا اختيار الا ما اختاره له مولاه وأراده فيكون حينئذ واصلا الى الله بما من الله اليه من الفضل والكرم لا بما من العبد اليه من الاجتهاد والعمل فسبحان المتفضل على من شاء بما شاء وقال رضي الله عنه (لولا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول) العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وهذا لا محيص له عنه الا بما شاء ربه وقد يكشف حجابه فيرائي به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص الحقيقي والاخلاص شرط في قبول العمل كما تقدم (قال) يحيى بن معاذ رضي الله عنه مسكين ابن آدم جسم معيب وقلب معيب يريد أن يخرج من معيبين عمل بلا عيب فعمل العبد لما كان بهذه المثابة لم يكن فيه أهلية لوجود القبول لولا جميل ستر الله تعالى وعظيم حلمه وبره فليعتمد المريد على فضل الله تعالى وكرمه لا على اجتهاده وعمله قال الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه اذا طالبهم بالاخلاص تلاشت أعمالهم واذا تلاشت أعمالهم زاد فقرهم وفاقتهم فتبرؤا عن كل شئ ومن كل شئ لهم ومنهم

* (أنت الى حلمه اذا أطعته أحوج منك الى حلمه اذا عصيته) شرف العبد ورفعة قدره انما يكون بنظره الى ربه عز وجل واقباله عليه وسكونه اليه واعتماده عليه ودناءته وخسته وسقوطه من عين الله تعالى انما تكون بنظره الى نفسه واقباله على غيره واستناده الى سواه فالعبد عند عمله بالطاعة معرض لهذه الاخطار من نظره الى نفسه واستعظام عمله وعجبه بطاعته وسكونه الى معاملته وليته يسلم فيه من دقائق الرياء والتصنع بخلاف المعصية في جميع هذه الاشياء فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا أطاعه أحوج منه الى حلمه اذا عصاه وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء قل لعبادي الصديقين لا تغتروا فاني ان أقمت عليهم عدلي وقسطي أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي الخاطئين لا تيأسوا من رحمتي فاني لا يكبر علي ذنب أغفره ولهذا المعنى قال

* (لولا جميل ستره) أي ستره الجميل (لم يكن عمل أهلا للقبول) لان العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه وشهود حوله وقوته عليه وقد يكشف حجابه فيرائي به ويطلب حمد الناس له وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الاخلاص والاخلاص شرط في قبول العمل كما مر وحينئذ فيكون اعتماد المريد في وصوله على فضل الله وكرمه لا على اجتهاده ولو قال لولا فضله لكان أولى (أنت الى حلمه اذا أطعته احوج منك الى حلمه اذا عصيته) وذلك ان المطيع قد يعرض له عند طاعته أحوال كرؤية نفسه والاعجاب والتكبر وازدراء الغير واستحقاقه الجزاء الى غير ذلك من كبائر القلوب فيخاف عليه ان تنقلب طاعته معصية والعاصي ربما تحمله معصيته على الحذر والخوف من ربه وتوجب له الاستكانة والخضوع وشدة الافتقار اليه فلذلك كان العبد الى حلم الله اذا أطاعه احوج منه الى حلمه اذا عصاه وهذا زيادة تحذير

تن رؤيته استحقاق الوصول بالاعمال فان ذلك غلط وجهل (الستر على قسمين ستر عن المعصية) بأن يمنعه عنها ولا يهيئ له أسبابها (وستر فيها) أى مع فعلها بأن لا يظهرها للناس حال فعلها أو بعده (فالعامة) لعدم تحققهم بحقائق الايمان يغلب عليهم شهود الخلق و يتوقعون منهم حصول المنافع ودفع المضار فيراؤنهم ويتصنعون لهم و يتزينون و يطمعون فيهم و يتملقون بين أيديهم و يكرهون أن يطلعوا منهم على ما تسقط به منزلتهم من قلوبهم ولذا (يطلبون من الله تعالى الستر) أى ان يستر عليهم (فيها) أى فى المعصية أى فى حال كونهم عاملين لها ومستخفين بها ومحبين لها وانما طلبوا ذلك (خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق) اذا اطلعوا على حالهم *(١٤٦)* فيفوتهم ما كانوا يتوقعون

أبو يزيد رضى الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة ألف توبة ﴿ الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) العامة يغلب عليهم شهود الخلق والتصنع والتزين لهم ومحبة حمدهم وكراهية ذمهم فهم يعملون المعصية و يستخفون بها و يطلبون الستر من الله عليهم فيها أى فى حال كونهم عاملين بها لئلا يراهم الخلق فيسقطوا من أعينهم وفى أمثالهم قال الله عز وجل يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول قال الامام أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه فى هذه الآية الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون ان الحق مطلع عليهم أولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة روى عدى بن حاتم رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها ونظروا اليها واستنشقوا ريحها وما أعد الله لاهلها نودوا أن اصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها قال فيرجعون بحسرة ما رجع الاولون بمثلها فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تريناما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لاوليائك كان أهون علينا قال ذلك أردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤن الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى وركنتم الى الناس ولم تركنوا الى فاليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب وفى بعض الكتب المنزلة

منهم من حصول المنافع ودفع المضار وهؤلاء هم الذين يعتمدون على غير الله وهم أهل الشرك الخفى الذى يخرج صاحبه من حقائق الايمان وفى مثلهم قال الله تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم (والخاصة) لتحققهم بحقائق الايمان برآء من هذا الوصف الذميم لا يلتفتون الى الخلق مدحا ولا ذما ولا يتوقعون منهم نفعا ولا ضرا ولا يعتمدون عليهم ولا يسكنون اليهم ان وحالهم انما هو القناعة بنظر الله اليهم (يطلبون من الله الستر عنها) بأن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها نفوسهم و يعملونها وانما طلبوا ذلك (خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) بمخالفته والتعرض لسخطه وشتان ما بين هذين الحالين وهذا هو الغالب من حال الفريقين وقد تطلب العامة الستر فيها امتثالا لامر الله ورسوله بالستر لمن ابتلى بشئ منها ولا يكون عندهم استخفاف بها ولا محبة لها وتطلب الخاصة الستر فيما وقع منهم بأن لا يفضحهم بين خلقه ولا بين يديه لخجلهم من وقوع المعصية منهم ولاساءة الناس ظنهم بالمنسوبين الى الله اذا اطلعوا عليهم

(من أكرمك) أى أقبل عليك باعطاء أو محبة أو شكر (انما أكرم فيك جميل ستره) أى ستره الجميل عليك فلولا وجوده ما أقبلوا عليك ولا أحبوك ولا نظروا اليك بعين الرضا اذ لو اطلعوا على ما أنت عليه لاستقذروك ونفروا عنك وحينئذ (فالحمد) لا ينبغى أن يكون الا (لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) فلا تحمده *(١٤٧)* الا من حيث اجراء الخير على يديه لا من حيث انه المكرم والمعظم حقيقة اذ ليس ذلك الا الله فمن أقبل الناس عليه وأكرموه فقد يغلط فيضع الحمد والثناء فى غير موضعه فيكون من الظالمين وقد يغلط فيرى لنفسه وصفا محمودا يستحق به الاكرام فيكون من الجاهلين بأنفسهم الناظرين الى عملهم الغافلين عن منة الله عليهم فحذره المصنف من هاتين الغلطتين (ما صحبك) أى ليس الصاحب الحقيقى (الا من صحبك) أى أقبل عليك باحسانه (وهو بعيبك عليم) أى لم يمنعه من صحبته لك واقباله عليك ما يعلمه من تفاصيل عيوبك (وليس ذلك الا مولاك الكريم) وكذا من تخلق بأخلاقه من السادة الصوفية العارفين بالله تعالى اما الذى يصحبك مع جهله بها فليس بصاحب حقيقة لانه لا يثبت عند ظهورها له وان عزم على ذلك فليس فى مقدوره الصبر ٣

ان لم تعلموا انى أراكم فالخلل فى ايمانكم وان علمتم انى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين اليكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور هو الرجل تمر به المرأة فى القوم فيريهم انه يغض بصره عنها ويود انه يطلع على عورتها ويقدر عليها وقال فى رواية أخرى هو الرجل يكون فى القوم فتمر بهم المرأة فيريهم انه يغض بصره عنها فاذا رأى من القوم غفلة لحظ اليها ونظر فاذا خاف أن يفطنوا غض بصره عنها فقد اطلع الله عز وجل على قلبه انه يود لو نظر الى عورتها وهذا كله شأن المرائين الذين يستخفون بنظر الجبار ويهابون الناس أن يطلعوا عليهم فيما يرتكبونه من الاوزار والخاصة من أهل الايمان واليقين برآء من هذا الوصف الذميم لا التفات لهم الى الخلق مدحا ولا ذما وهمتهم مصروفة عن النظر اليهم والاعتماد عليهم فى نفع أو دفع ضر وحالهم انما هو القناعة بعلم الله تعالى ومراقبة نظره فهم يطلبون الستر من الله عنها فى أن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها أنفسهم فيعملون بها فيقعون فى مخالفة ربهم والتعرض لسخطه والسقوط من عينه وشتان ما بين الحالين والى هذا المعنى أشار سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى دعائه بقوله اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واحملنا على النجاة منها ومن التفكر فى طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكراهة لها والطعم لما هو بضدها ﴿من أكرمك انما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك﴾ العبد محل الآفات والعيوب وستر الله الجميل هو الذى يحبب الناس الى الناس فاذا أكرمك أحد فلا يذهبن ذلك بك الى أن ترى لنفسك وصفا محمودا تستحق به الاكرام فتكون جاهلا بنفسك ولا يحملنك ايثار رؤية اكرام الخلق لك لوجود جهلهم بحالك على أن تحمدهم عليه دون ربك الذى اضطرهم الى اكرامك وستر عنهم عيوبك وأظهر لهم محاسنك فتكون بذلك كافرا بنعمة ربك ظالما بوضع الحمد فى غير موضعه ﴿ما صحبك الا من صحبك وهو بعيبك عليم وليس ذلك الا مولاك الكريم خير من تصحب من يطلبك لا لشئ يعود منك اليه﴾ الصاحب على الحقيقة هو من بذل احسانه اليك وأسبغ نعمه عليك

٣ عليه وان صبر فلابد من تأثر يلحقه من ذلك (خير من تصحب من يطلبك) أي يريدك ويؤثرك على غيرك ويعتني بك (لا لشيء يعود منك اليه) أي وليس ذلك الامولاك أومن تخلق بأخلاقه اما من يصحبك لفائدة معه ونفعك له فليس بصاحب حقيقة لان قصده مجرد قضاء حوائجه منك فاذا زال غرضه فارقك (لو أشرق لك نور اليقين) أي العلم بالله وبما وعد به على لسان نبيه أي لو كثر واضاء ذلك النور في قلبك (لرأيت الآخرة) في تلك الحالة (أقرب اليك من) نفسها في حالة (أن ترحل اليها) أي في حال ارتحالك اليها وحلولك فيها (ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء) أي الفناء الشبيه بالكسفة بفتح الكاف أي الكسوف والتغير أو كسرها وهي القطعة من الشيء التي يغطى بها الاناء فلا تلتفت اليه النفس ولا تنظر ما فيه (عليها) وذلك ان نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ماهي عليه فاذا أشرق في قلب العبد رأى به الحق حقا والباطل باطلا * (١٤٨) * والآخرة حق والدنيا باطل فيبصر الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب اليه من أن يرتحل فيقبل عليها بالتهيؤ والاستعداد لها ويبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد أن كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهد فيها والتجافي عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزول حضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال صلى الله عليه عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل له يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعي نفسه فلا تأمره الا بخير ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا تكون له همة الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره في كل حين بحلول الاجل وفوات صلاح الامل

ولم يمنعه من ذلك ما علمه من عيوبك التي يكرهها منك وليس ذلك الامولاك وخير صاحب لك أيضا من اعتنى بك وآثرك وارادك من غير منفعة بها منك وليس ذلك أيضا الامولاك فاتخذه صاحبا ودع الناس جانبا (لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها) نور اليقين تتراءى به حقائق الامور على ماهي عليه فيحق به الحق ويبطل به الباطل والآخرة حق والدنيا باطل فاذا أشرق نور اليقين في قلب العبد أبصر به الآخرة التي كانت غائبة عنه حاضرة لديه حتى كأنها لم تزل فكانت أقرب اليه من أن يرحل اليها فحقق بذلك حقها عنده وأبصر الدنيا الحاضرة لديه قد انكسف نورها وأسرع اليها الفناء والذهاب فغابت عن نظره بعد ان كانت حاضرة فظهر له بطلانها حتى كأنها لم تكن فيوجب له هذا النظر اليقيني الزهادة في الدنيا والتجافي عن زهرتها والاقبال على الآخرة والتهيؤ لنزول حضرتها ووجدان العبد لهذا هو علامة انشراح صدره بذلك النور كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله أو كما قال صلى الله عليه وسلم وعند ذلك تموت شهواته وتذهب دواعي نفسه فلا تأمره بسوء ولا تطالبه بارتكاب منهي ولا يكون همه الا المسارعة الى الخيرات والمبادرة لاغتنام الساعات والاوقات وذلك لاستشعاره حلول الاجل وفوات صالح العمل والى هذا المعنى الاشارة بحديثي حارثة ومعاذ رضي الله عنهما ما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله

عليه وسلم يمشي اذا استقبله شاب من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة فقال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فقال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكاني بعرش ربي بارزا وكاني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكاني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها فقال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه قال يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي يوما في الخيل يا خيل الله اركبي فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد فبلغ أمه ذلك فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أخبرني عن ابني حارثة فان يك في الجنة فلن أبكي وان أجزع وان يك غير ذلك بكيت ما عشت في الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وروى أنس أيضا أن معاذ بن جبل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت بالله مؤمنا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول قال يا نبي الله ما أصبحت صباحا قط الا ظننت أن لا أمسي وما أمسيت مساء قط الا ظننت أن لا أصبح ولا خطوت خطوة قط الا ظننت أن لا أتبعها أخرى وكاني أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكاني أنظر الى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة قال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذان الرجلان الفاضلان حارثة بن سراقة ومعاذ بن جبل الانصاريان رضي الله تعالى عنهما لما أشرق عليهما نور اليقين وتمكن من قلوبهما أي تمكين صدر منهما ما صدر مما ذكر اه من فنون العبر وشاهدا أمر الدارين بمنزلة رأي العين فسلمت أعمالهما من العيوب والآفات وحفظا من الهفوات والسيئات وطهرت منهما الاسرار والقلوب وسارعا في كل أمر محبوب وطارت أرواحهما اشتياقا الى لقاء الواحد الفرد وطابت أنفسهما بالموت حتى صار عندهما أحلى من الشهد حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وكذلك غيرهما من الصحابة وكبار التابعين وأئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين

ولقد أجاب معبرا عن حالهم * فاسمع مقالا صادقا مقبولا
ان الألى ماتوا على دين الهدى * وجدوا المنية منهلا معسولا

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه ان حرام بن ملحان رضي الله عنه وهو خال أنس طعن يوم بئر معونة في رأسه فتلقى دمه بكفه ثم نضحه على رأسه ووجهه وقال فزت ورب الكعبة وكان جبار بن سلمى فيمن حضر بئر معونة مع عامر بن الطفيل ثم أسلم بعد ذلك فكان يقول مما دعاني الى الاسلام أني طعنت رجلا منهم فسمعته

يقول فزت والله قال فقلت في نفسي والله ما فاز أليس قتلته حتى سألت بعد ذلك عن قوله فقالوا الشهادة فقلت فاز لعمر الله المطعون هذا والله أعلم هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الامراء الثلاثة يوم مؤتة أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد عن غير امرة ففتح الله عليه أظنه قال صلى الله عليه وسلم والله ما يسرنا أنهم عندنا أو قال ما يسرهم أنهم عندنا وعيناه تذرفان دموعا فلله درهم لقد حازوا مرتبة شريفة ومنزلة عالية منيفة وتبا لامثالنا الذين عميت بصائرهم وأظلمت سرائرهم فغربت عنا شموس المعارف ووقعنا في أودية المهالك والمتالف وغرتنا بهذه الدار الغرارة افتتانه السحارة فتشبثت مخالبنا بشباكها وارتبكنا في مصايدها وأشراكها من غير شعور منا بحالها وتزوير محالها فكنا في قصدنا اليها وتعويلنا عليها بمنزلة ظمآن لاح له سراب حسبه ماء فلما جاءه لم يجد فيه هناء ولا غناء ثم مع هذا كله ننتسب الى الدين وندعي كمال المعرفة واليقين والدخول في بحار أولياء الله المتقين مع أن أحدنا لو خير بين حلول الحين أو البقاء في الدنيا معلقا باشفار العين لاختار البقاء فيها على هذه الحال مع كونه لا يحدث نفسه في طاعة بازدياد ولا عن معصية بانتقال وهذه كلها أخلاق يهودية لا تليق بمن ينتسب الى هذه الملة المحمدية قال الله عز وجل مخبرا عن حال اليهود وكاشفا لاسرارهم وهاتكا لاستارهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون فلو لم ينه العاقل عن محبة البقاء في هذه الدار ويأمره بايثار دار القرار الا تشبهه باليهود الناقضين للعهود المتهاونين باوامر المعبود لكان ذلك أبلغ ناه وآمر فضلا عما ورد في ذلك من مواعظ وزواجر نزع الله عن قلوبنا حجاب الغفلة والغرور وحمانا عن مشابهة كل ظلوم وكفور وحبب الينا لقاءه ورزقنا ما رزق أولياءه وأصفياءه وأحباءه بمنه وكرمه (ما حجبك عن الله وجود موجود معه ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) تقدم أن لا موجود سوى الله تعالى على التحقيق وان وجود ماسواه انما هو وهم مجرد فلا حاجب لك عن الله تعالى الا توهم وجود ماسواه لا غير والتوهمات باطلة فلا حاجب لك عن الله تعالى اذا وقد استوفى المؤلف رحمه الله تعالى ذكر جميع أنواع الاعتبارات في هذا المعنى قبل هذا قال في لطائف المنن وأشبه شيء بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم واذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر لان الشيء انما يشفع بمثله ويضم الى شكله كذلك أيضا من شهد ظلية الآثار لم تعقه عن الله تعالى فان ظلال الاشجار في

(ماحجبك) أيها المريد المحجوب (عن الله وجود موجود) من الاكوان الدنيوية والاخروية (معه) اذ لا وجود لما سواه على التحقيق (ولكن حجبك عنه توهم موجود معه) أي توهمك أن ما سواه له وجود مع أنه في ذاته عدم محض عند العارفين ووجوده كوجود ظلال الشجر على الماء فانها لا تمنع سير السفن فلا حاجب لك عن الله الا توهم وجود ماسواه لا غير وذلك كرجل بات في دكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هناك ظنه زئيرا أي صوت أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم يجد هناك أسدا وانما الريح انضغطت في تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد

(لولا ظهوره فى المكونات) أى تجليه عليها بالوجود (ما وقع عليها وجود ابصار) إى لم توجد واذا لم توجد فلا تبصر فوجودها انما هو بطريق العارية وظهور الحق فيها كظهور الشمس فى الكوة ذات الزجاج والا فهى فى ذاتها عدم محض لا وجود لها فى ذاتها كما تقدم غير مرة ويحتمل ان المعنى ان ظهور الحق تعالى لنا من وراء حجاب المكونات هو الذى أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا تجليه فى هذه المكونات بأن يتجلى التجلى الحقيقى الذى لا خفاء معه لاضمحلت وتلاشت ولم يقع عليها أبصار بدليل قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا والى ذلك أشار بقوله (لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) *(١٥١)* بل لم يكن هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء فى الحديث حجابه النور وفى رواية حجابه النار لو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه كل شئ ادركه بصره (أظهر كل شئ لانه الباطن) أى ان مقتضى اسمه الباطن ان لا يشاركه فى البطون شئ فلذا اظهر الاشياء كلها أى جعلها ظاهرة ولا باطن فيها غيره (وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) أى ان مقتضى اسمه الظاهر أن لا يشاركه فى الظهور شئ فلذا طوى وجود كل شئ أى لم يجعل لغيره وجودا من ذاته بل المكونات جميعها عدم محض ولا وجود لها الا من وجوده وحاصله ان من أسمائه تعالى الظاهر الباطن فاسمه الظاهر يقتضى بطون كل شئ حتى لا ظاهر معه فينطوى حينئذ وجود كل شئ واسمه الباطن يقتضى ظهور كل شئ حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شئ أى بوجوده فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار ولا وجود لغيره الا بطريق التبع عند أرباب البصائر بخلاف غيرهم من المحجوبين (أباح لك) أى أمرك الله تعالى (أن تنظر ما فى المكونات) وهو جمال الحق سبحانه أى ان تتصدى بنظرك القلبى حتى تشاهد أنه الموجود فى المكونات أى الظاهر فيها (وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات) بأن تحتجب بها عنه فلا تشاهده فيها ثم استدل على ذلك وبينه بقوله (قل انظروا ماذا فى السموات) فأتى بفى الظرفية المشعرة بأن الاعتبار بالمظروف دون الظرف قال فى لطائف المنن فانصب لك

الانهار لا تعوق السفن عن السير ومن ههنا يتبين لك أيضا أن الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله ولو كان بينك وبينه حجاب وجودى للزم ان يكون أقرب اليك منه ولا شئ أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب فما حجبك عن الله وجوده وجود معه وذلك كرجل بات فى مكان وأراد البراز فسمع صوت الرياح من كوة هناك فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البراز فلما أصبح لم ير هناك أسدا وانما هو الريح انضغط فى تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الاسد (لو ظهوره فى المكونات ما وقع عليها وجود أبصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذى أوجب ظهورها ووقوع الابصار عليها ولولا وجود حجابيتها لم يقع عليها أبصار ولتلاشت لوجود التجلى الحقيقى كما قال لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته بل لم يكن هناك بصر ولا ابصار ولا مبصر كما جاء فى الحديث حجابه النار وفى رواية النور ولو كشف عنها لاحرقت سبحات وجهه كل شئ أدركه بصره (أظهر كل شئ لانه الباطن وطوى وجود كل شئ لانه الظاهر) من أسمائه تعالى الظاهر والباطن فاسمه الظاهر يقتضى بطون كل شئ حتى لا ظاهر معه فينطوى حينئذ وجود كل شئ واسمه الباطن يقتضى ظهور كل شئ حتى لا باطن معه فيظهر اذ ذاك وجود كل شئ فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبار والحمد لله * (أباح لك أن تنظر ما فى المكونات وما أذن لك ان تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا فى السموات

الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها اه وأشار الى ذلك هنا بقوله قل انظروا ماذا فى السموات (فتح لك باب الافهام) أى نبهك وأيقظك لما هو المطلوب منك وهو مشاهدة ما فيها كما يفهم من الظرفية (ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام) فتحتجب بها عنه ولا تشاهده فيها فتصير مقصد مع انها وسيلة اذ ليست الا مرائى ومجالى يتجلى فيها الحق سبحانه لارباب الشهود ويستدل بها عليه أرباب الحجاب ثم ذكر حاصل ما تقدم بقوله (الاكوان) *(١٥٢)* من حيث ذاتها عدم محض وانما هى

(ثابتة باثباته) أى انما حصل لها وصف الثبوت والتحقق باثبات الله لها أى ظهوره فيها فالثبوت لها أمر عرضى ولا ثابت حقيقة الا هو ولذا قال (وممحوة بأحدية ذاته) أى من نظر الى أحدية ذاته لم يجد لا كوان ثبوتا وتحققا حينئذ وانما لها ثبوت فى النظر الى الواحدية لان الاحدية عند العارفين هى الذات البحت أى الخالصة عن الظهور فى المظاهر وهى الاكوان والواحدية هى الذات الظاهرة فى الاكوان

فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الاجرام) أمر الله تعالى بالنظر فى المكونات ليس لذاتها لان فى ذلك البعد عن الله تعالى بالنظر الى ما سواه ولم يجئ هذا وانما أمرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها اليه لوجود ظهوره فيها والاشارة الى هذا المعنى بنى فى قوله تعالى قل انظروا ماذا فى السموات والارض فالمعنى المقصود فى وجود الظرفية ومنها استفادوه وهو معنى قوله فتح لك باب الافهام فلو اسقطها وقال انظروا السموات لكان فيه دلالة على وجود الاجرام وهى اغيار له وفيها البعد عنه فكيف يدل على ذلك وهو لم يأذن فيه قال فى لطائف المنن فما نصبت لك الكائنات لتراها ولكن لترى فيها مولاها فمراد الحق منك أن تراها بعين من لا يراها تراها من حيث ظهوره فيها ولا تراها من حيث كونيتها قال ولنا فى هذا المعنى

ما أبينت لك العوالم الا * لتراها بعين من لا يراها
فارق عنها رقى من ليس يرضى * حالة دون أن يرى مولاها

*الاكوان ثابتة باثباته وممحوة بأحدية ذاته) الاكوان من ذاتها العدم المحض كما تقدم وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها أكوانا فالثبوت لها أمر عرضى والحق اللازم هو وجود احدية الله عز وجل والاحدية مبالغة فى الوحدة ولا تحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن أن يكون أشد ولا أكمل منها فمن مقتضى حقيقتها محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد اذ لو وجدت لم تكن احدية ولكان فى ذلك تعدد واثنينية كما قيل

رب وعبد ونفى ضد * قلت له ليس ذاك عندى
فقال ما عندكم فقلنا * وجود فقد وفقد وجدى
توحيد حق بترك حق * وليس حق سواى وحدى

وأنشدوا أيضا

فيكون للاكوان حينئذ ثبوت باعتبار ظهور الحق فيها ولذا يقولون بلسان الاشارة الاحدية بحر بلا موج والواحدية بحر مع موج فان الحق سبحانه عندهم كالبحر والاكوان كالامواج التى بحركها ذلك البحر فهى ليست عينه ولا غيره هذا هو توحيد العارفين وقد كرر المصنف الكلام عليه فى هذا الكتاب وأبرزه فى عبارات مختلفة محاولة على أن يحقق عندك الحق ويبطل عندك الباطل وقد أفرده بعضهم بالتأليف وتكلم على وحدة الوجود بما لا مزيد عليه

سرسرى من جناب القدس افنانى * لكن بذاك الفنا عنى قد احيانى
وردنى للبقا حتى اعبر عن * جمال حضرته لكل هيمانى
وطرت فى ملكوت من عجائبه * لم الق غير وجود ماله ثانى

وأنشد المؤلف رحمه الله تعالى لنفسه فى لطائف المنن يوصى رجلا من اخوانه اسمه حسن فقال

حسن بأن تدع الوجود بأسره * حسن فلا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بأنه * لا ترك الا للذى هو حاصل
ومتى شهدت سواه فاعلم أنه * من وهمك الادنى وقلبك ذاهل
حسب الاله شهوده لوجوده * والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشرت الى الصريح من الهدى * دلت عليه ان فهمت دلائل
وحديث كان وليس شئ غيره * يقضى به الآن اللبيب العاقل
لا غر وان لانسية مثبوتة * ليذم ذو ترك ويحمد فاعل

وقال رضى الله تعالى عنه ﴿ الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها) ذم العبد لنفسه واحتقارها لما يتحققه من عيوبها وآفاتها مطلوب منه لان ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها وشرورها فتصلح بسبب ذلك أعماله وتصدق أحواله والا فسدت عليه واعتلت لدخول الآفات عليها ولا يصدنه عن ذلك ثناء الناس عليه ومدحهم له لانه يعلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ثم انهم لما قاموا بحق ما يجب عليهم من المدح له وحسن الظن به فينبغى أيضا أن يقوم هو بحق ما يجب عليه من اتهام نفسه وسوء اعتقاده فيها قال بعضهم من فرح بمدح نفسه فقد أمكن الشيطان أن يدخل فى بطنه وقال آخر اذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب اليك من أن يقال بئس الرجل أنت فأنت والله بئس الرجل وقيل لبعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله فيهم فغضب وقال انى لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك تقرب الى بمقتك فأشهدك على مقته وقال آخر اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون قال الامام أبو حامد الغزالى رضى الله تعالى عنه وانما كرهوا المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم بحالهم عند الله يبغض اليهم مدح الخلائق لان الممدوح هو المقرب عند الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله تعالى الملقى فى النار مع الاشرار فهذا الممدوح ان كان عند الله تعالى من أهل النار فما

تلبسها بخلاف ما يظن الناس فيك ولذا قال على كرم الله وجهه اللهم اجعلنا خيرا مما يظنون ولا تؤاخذنا بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون ويؤخذ من قوله (فكن أنت الخ انه ليس مأمورا بتكذيب الناس ولا بالسعى فى تبديل ظنهم فيه وانما هو مأمور بعدم الاغترار وتقديم علمه على ظنهم نعم ان كان المادح كاذبا فى مدحه بارتكاب المبالغة والغلو تأكد تكذيبه وزجره وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين فمدحه حينئذ منهى عنه وكذا لو كان مدحه يورث عند الممدوح

٢٠ عبا ل غرة ويغلطه فى نفسه وعليه يحمل قوله
صلى الله عليه وسلم لمن مدح عنده رجلا قطعت عنق صاحبك وقال أياكم والمدح فانه الذبح

(المؤمن) الحقيقي (اذا مدح استحيا من الله ان يثني عليه بوصف لا يشهد من نفسه) أي لا يرى ذلك الوصف الذي مدح عليه من نفسه وانما يراه منة من الله عليه فلا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يثني عليه وانما يشهد ذلك من ربه فاذا أثنى الناس عليه وذكروا محاسنه استحيا من الله استحياء تعظيم واجلال أن يثني عليه بصفة ليست منه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله اليه وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي به ينال المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد (أجهل الناس) اي أشدهم جهلا (من ترك يقين ماعنده) أي اليقين الذي عنده وهو علمه بعيوب نفسه وتقصيره مع ربه (لظن ماعند الناس) أي لاجل الظن الذي عند الناس وهو ظنهم صلاح حاله حتى مدحوه وأثنوا عليه فاذا اغتر ذلك الممدوح واعتقد استحقاقه لما مدح به واغتر بشهادة الخلق فيه بذلك كان أجهل الناس لانه أعمى لعلمهم اليقين وقدم الظن عليه وقدم ماعند غيره على ماعند نفسه وقد شبه ذلك بعضهم بمن يهزأ بك ويقول لك ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وأنت ترضى بالسخرية بك وتفرح بذلك ولا شك ان العيوب التي يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه

أعظم جهله اذا فرح بمدح غيره وان كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح الا بفضل الله تعالى وثنائه عليه اذ ليس أمره بيد الخلق وهم ما علم ان الارزاق والآجال بيد الله تعالى قل التفاته الى مدح الخلق وذمهم وسقط من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه انتهى كلام أبي حامد رضي الله تعالى عنه

---

* المؤمن اذا مدح استحيا من الله تعالى أن يثني عليه بوصف لا يشهد من نفسه) المؤمن الحقيقي هو الذي لا يشهد من نفسه صفة محمودة يستحق بها أن يمدح أو يثنى عليه وانما يشهد ذلك من ربه عز وجل فاذا أثنى الناس عليه وذكر واحاسنه استحيا من الله تعالى استحياء تعظيم واجلال أن يثنى عليه بصفة ليست فيه فيزداد بذلك مقتا لنفسه واستحقارا لها ونفورا عنها وتقوى عنده رؤية احسان الله تعالى اليه وشهود فضله في اظهار المحاسن عليه وهذا هو الشكر الذي ينال به المزيد مع سلامته من السكون الى ثناء العبيد * أجهل الناس من ترك يقين ماعنده لظن ماعند الناس) الاغترار بمدح الناس وثنائهم غاية في الجهل والغباوة وذلك من علامات المقت لان المغتر بذلك ترك يقينه بنفسه لظن غيره به وهو على كل حال أعلم بنفسه وقد شبه الحرث المحاسبي رضي الله عنه الراضي بالمدح بالباطل بمن يهزأ به ويقال له ان العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة كرائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به قلت ولا شك أن الذنوب والعيوب التي يعلمها العبد من نفسه أنتن وأقذر من العذرة التي تخرج من جوفه ولا فرق بين الحالين الا انه في حال المدح يعلم ان المادح لم يشاركه في معرفة ذنوبه وعيوبه مشاركة ذلك المستهزئ للمستهزأ به في معرفة حال ما يخرج من جوفه فهو بجهله وغباوته قد رضي بأن يكون له في قلوب العباد الجاهلين بحاله قدر وجاه من غير مبالاته بسقوطه من عين ربه ومولاه الذي يعلم من حاله ما لا يعلمه هو ولا غيره من حيث رضي بالمدحة وفرح بها ولم يقابل ذلك بالاباء والكراهية هذا اذا كان المادح من أهل العلم والدين وأما ان كان جاهلا أو فاسقا فلا غباوة أعظم من الرضا بمدحهم والفرح به قال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه تزكية الاشرار هجنة بك وجهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان العامة يثنون عليك فأظهر الوحشة من ذلك وقال

(اذا أطلق الثناء) أى ألسنة الناس بالثناء (عليك ولست بأهل) اى والحال انك لست أهلا لما يثنون به عليك اما لعدم وجود ذلك فيك أو لكونك معيبا بالعيوب الاصلية والعارضة فلا تستحق ثناء عليك لولا فضل الله عليك وستره الجميل (فأثن عليه بما هو أهله) أى فالادب أن تثنى على سيدك بما هو أهله ليكون ذلك شكرا لنعمة ستره عليك واطلاق الالسن بمدحك مع عدم *(١٠٠)* أهليتك لذلك ولا تغتر بأقوال المادحين (الزهاد اذا مدحوا) أى مدحهم أحد من الناس (انقبضوا لشهودهم الثناء) صادرا (من الخلق وغيبتهم عن الرب وانما انقبضوا حينئذ خوف الاغترار بذلك الثناء فيفوتهم نصيبهم من ربهم (والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) فهم حاضرون مع ربهم لا يشاهدون معه غيره قائلون ألسنة الخلق أقلام الحق فاذا مدحوا شهدوا الثناء منه فانبسطوا لذلك وكان مزيدا فى حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم فلا يحصل عندهم اعجاب ولا اغترار وقيل وهذا محمل قوله صلى الله عليه وسلم اذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الايمان فى قلبه ولذا كان يمدح المصنف شيخه المرسى وهو ساكت ويقع عنده المدح موقعا عظيما وكذا وقع لغيره من العارفين وصاحب هذا المقام اذا ذمه أحد لا يجد فى نفسه عليه ولا يؤذيه لعدم شهوده الذم صادرا منه

لعلهم رأوا منى شيأ أعجبهم ولا خير فى شئ يسرهم ويعجبهم ويروى عن بعض الحكماء انه مدحه بعض العوام فبكى فقال له تلميذه أتبكى وقد مدحك فقال له انه لم يمدحنى حتى وافق بعض خلقه خلقه فلذلك بكيت فانظر هذا فقد نبهك هذا الحكيم على العلة فى ذلك ❊اذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فاثن عليه بما هو أهله) المؤمن هو الذى لا يرى نفسه أهلا لان يمدح أو يثنى عليه لان موجبات ذلك ليس لديه منها شئ كما تقدم فاذا أطلق الله تعالى ألسنة الناس بالثناء عليه ولا اهلية فيه لذلك فينبغى أن يعرف الحق لاهله فيستعمل نفسه بالثناء على الله تعالى بما هو أهله ليكون ذلك شكر النعمة اطلاق الالسنة بالثناء عليه من غير استحقاق لذلك ولا ثبوت أهلية ❊الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) تقدم ان الزهاد فى غيبة عن الله تعالى فهم لا يشاهدون الا الخلق فاذا مدحوا واثنى عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عند ذلك لانهم يخافون فوات نصيبهم من ربهم لاجل ما يتوقعون من الاغترار بذلك والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره فاذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيدا فى حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له فى ذلك فقال وما على من ذلك ولست أغلط فى نفسى بل لست فى البين والمجرى والمثنى هو الله عز وجل وقيل هذا المعنى فى الخبر المروى اذا مدح المؤمن فى وجهه ربا الايمان فى قلبه قال أبو طالب المكى رضى الله عنه وفيه طريق للعارفين بان يعلو الايمان العلى الى المولى الاعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه الى سيده الذى تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى وصفه ولا يعجب بنفسه انتهى قلت وللمؤلف رحمه الله قصائد فى مدح شيخه أبى العباس المرسى رضى الله عنه وكان ينشدها كثيرا بين يديه ويقع ذلك منه موقعا عظيما وكان يستعيد منه بعضها ويقول له فى بعضها أيدك الله بروح القدس نحو ما كان يقول رسول الله صلى الله عليه

(متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك) أى تطفلك على أهل الله ولست منهم بل أنت داخل معهم فى أمر لا تستحقه كما ان الطفيلى يدخل مع الاضياف فى ضيافتهم ولا يستحق الدخول معهم وهو منسوب لطفيل رجل من أهل الكوفة كان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها وكان يقال له طفيل الاعراس

(وعدم صدقك فى عبوديتك) لان القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف عدم صدقه فى عبوديته وأنه طفيلى بين أهل الله فى ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها بل الحاصل عنده مجرد دعوى نعم ان كان قبضه خوفا من عدم صبره ومقارمته للقهر الالهى فيحمل عنده بعض عذر وكان بسطه لعدم وقوفه فى ذلك ففيه اعتناء من الحق به حيث لم يوكله والاهتمام فى أمر يشوش عليه حاله ولم يكن دليلا على ما ذكر لان العارفين لابد من بقايا شئ من بشريتهم يتمكنون به من مخالطة الخلق ومن لوازم البشرية ذلك فالخطاب المذكور مع المريدين

وسلم الشاعره حسان بن ثابت مع أن حب المدح عندهم من الرذائل التى تشبه الفضائل وبهذا النظر والشهود الجمعى استقام لهم من مدحهم لانفسهم وثنائهم عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم وقد روى فى ذلك عن سيدى عبد القادر الجيلانى وسيدى أبى الحسن الشاذلى وسيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنهم وغيرهم غير شئ مع أن ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح وما ذلك الا لما ذكرناه ولا يتأول ما وقع لهم من ذلك بما تأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه الصلاة والسلام لنفسه وثناءه عليها بغاية الحفظ والعلم لعدم الحاجة اليه فى هذا المقام والله تعالى أعلم وعلامة الصادق فى حب المدح وان كان صاحب هذا المقام لا يحتاج الى علامة أن لا يكره ذم الناس له من حيث نسبة ذلك اليهم لانهم مصروفون فى قبضة القدرة فيسمع لهم ويصفح عنهم ولا يجد فى قلبه عليهم ولا يصل بشئ من الاذى اليهم كما قيل

رب رام لى بأحجار الاذى * لم أجد بدا من العطف عليه
فعسى يطلع الله على * فرح القوم فيدنينى اليه

* متى كنت اذا أعطيت بسطك العطاء واذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك فى عبوديتك) القبض عند المنع والبسط عند العطاء من علامات بقاء الحظ والعمل على نيله وهو مناقض للعبودية عند العارفين فمن وجد ذلك فليعرف به عدم صدقه فى عبوديته وانه طفيلى بين أهل الله تعالى فى ادعائه مقاماتهم وهو لم يؤهل لها والطفيلى هو الذى يأتى الولائم والضيافات فيدخل مع أهلها من غير دعوة وهو منسوب الى رجل من أهل الكوفة من بنى عبد الله بن غطفان كان يقال له طفيل الاعراس وطفيل العرائس وكان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها فشبه صاحب الكتاب هذا به قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رضى الله عنه أكثر الخلق مع الله تعالى فى أحوالهم وارادتهم على الظنون ما تحقق منهم له الا قليل الا تراه تعالى يقول وما يتبع أكثرهم الا ظنا فمن تحقق فى حاله مع الله تعالى غاب عن كل ما منه وله من الاحوال والاقوال والافعال نظرا الى ما اليه من رعاية الحق وحياطته وتوليه وكان للحق من حيث الحق له لا من حيث هو الحق ولكن أكثر العبيد يشيرون اليه بالمعرفة ويظهرون حالة المحبة فاذا ورد عليهم وارد بلاء أو خلاف مراد رجعت نفوسهم الى حد الاشفاق عليها

(اذا وقع منك ذنب) على حسب مقامك (فلا يكن سببا لياسك) أى يقتضى يأسك (من حصول الاستقامة) أى اعتدال أحوالك (مع ربك) بأن تعتقد بسبب صدور الذنب ان حصول الاستقامة لك مستحيل فيحملك ذلك على تعاطى غيره من الذنوب وهذا غلط لان الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الغلبة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه والعزم على فعله ثانيا فانه واجب عليك أن تتوب الى مولاك وترجع اليه ولا تيأس من رحمته (فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) ويقبل عليك المولى بعد ذلك بتوفيقه واحسانه ثم أشار الى ما يكون سببا فى الرجوع الى الله * (١٥٧) * عند صدور الذنب فقال (اذا أردت أن يفتح) الله (لك باب الرجاء) فيه (فاشهد) أى استحضر فى نفسك (ما) هو واصل (منه اليك) من جلب المنافع ودفع المضار من حين كونك فى بطن أمك الى الوقت الذى أنت فيه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الرجاء فيه وعدم اليأس من رحمته ولو مع الوقوع فى الذنب (واذا) غلب عليك الرجاء وخفت

والاهتمام بها ونسوا ما دعوا به وما أشاروا اليه ولو كانوا للحق من حيث الاستحقاق انسوا فى جنب ما أشاروا اليه جميع الموارد ساء ام سر لان من حصل فى ميدان الوصول لا يعترض عليه عارض خلافه واذهله حاله عما سواه وقال رضى الله عنه

* اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا لياسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الغلبة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك وانما يناقضها الاصرار عليه فاذا وقع من العبد ذنب فينبغى له أن يبادر الى التوبة منه ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامة مع ربه ويرى انه طرده وأبعده رؤية توجب له القنوط من رحمة الله تعالى واليأس من روح الله تعالى لانه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليه وقد وقع ذلك وفرغ منه * اذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك واذ أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه) الرجاء والخوف حالان عن مشاهدتين فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم والاسعاف والالطاف فسيغلب عليه حينئذ حال الرجاء ومن أراد أن يفتح له باب الخوف فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الادب بين يديه فسيغلب عليه حينئذ حال الخوف * ربما أفادك فى ليل القبض ما لم تستفده فى اشراق نهار البسط لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا) تقدم ان القبض يثمره

أن يوقعك ذلك فى مخالفاته و (أردت أن يفتح لك باب الخوف) ليكفك عن ذلك (فاشهد) أى استحضر فى نفسك (ما) هو واصل (منك اليه) من المخالفات والعصيان وسوء الادب بين يديه فاذا شهدت ذلك غلب عليك حال الخوف فتنكف عن مخالفته فالرجاء والخوف حالان ينشآن عن المشاهدتين المذكورتين وشبههما بشئ عليه باب مغلق استعارة بالكناية والباب تخييل والفتح ترشيح أو الاوضافة للبيان (ربما أفادك) أيها العارف (فى ليل القبض) أى القبض الشبيه بالليل بجامع السكون فى كل (ما لم تستفده) أى علوما ومعارف لم تستفدها (فى اشراق نهار البسط) أى البسط الشبيه بالنهار بجامع الانتشار فى كل لما تقدم ان من حصل عنده البسط تهيج نفسه الى اظهار ما عنده من المعارف وغيرها وربما كان ذلك سببا لحجبه بخلاف من حصل عنده القبض فان نفسه تنكسر وتذل فيكون ذلك سببا لافاضة الله الخير عليه ولذا كان العارفون يؤثرونه على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط وقد يحصل عندهم فيه جزع وعدم صبر على مقاومة

النهار الذي بخلاف البسط فينبغي للعبد أن يعرف قدر نعمة الله عليه في حال القبض كما يعرفها في حال البسط وان يكل كل ذلك الى ربه و يحسن ظنه به فانه لا يدري أيهما أقرب له نفعا كما قال تعالى (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا مطالع الانوار) أي مواضع طلوع وشروق الانوار المعنوية وهي نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس

التوحيد (القلوب والاسرار) أي قلوب العارفين وأسرارهم فهي كالسماء التي تشرق فيها الكواكب وتطلع فيها وتقدم ان تلك الانوار أشد اشراقا من أنوار الكواكب قال بعضهم لو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوار القلوب فان ذلك النور يطرأ عليه الكسوف والغروب وأنوار قلوب أهل الله لا كسوف لها ولا غروب اه قال الشاذلي قدس سره لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن (نور الطائع فمن لطف الله به لا اطلاع على أنوار العارفين فقد قال المرسي قدس سره لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته اه

العارفون على البسط لما فيه من عدم حظ النفس ووجود قدرتهم على الوفاء بآدابه دون البسط وقد ينفتح لهم فيه من أبواب المعارف ما لا ينفتح لهم في البسط فينبغي للعبد أن يعرف نعمة الله تعالى عليه في ليل القبض كما يعرفها في اشراق نهار البسط لما يعلم ان في الليل من المنافع ما ليس في النهار فليكل علم ذلك الى ربه وليحسن ظنه به فانه لا يدري أيهما أقرب اليه نفعا كما أشار اليه بالآية الكريمة وتشبيه القبض بالليل والبسط بالنهار مجاز بديع وقد تقدم نحوه في كلام الاستاذ سيدي أبي الحسن رضي الله عنه *(مطالع الانوار القلوب والاسرار) نجوم العلم وأقمار المعرفة وشموس التوحيد مطالعها ومواضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم وهذه هي الانوار الحقيقية من المطالع الروحانية بخلاف الانوار الحسية قال في لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار حتى لقد قال بعض العارفين اذا كان الله سبحانه وتعالى قد حرس السماء بالكواكب والشهب كي لا يسترق السمع منها فقلب المؤمن اولى بذلك يقول الله تعالى فيما حكيه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن فانظر رحمك الله هذا الامر الاكبر الذي أعطيه هذا القلب حتى صار لهذه الرتبة أهلا ولهذا قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والارض فما ظنك بنور المؤمن المطيع قال ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله عنه يقول لو كشف عن حقيقة الولي لعبد لان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته قال ولقد أخبرني بعض المريدين قال صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما بهر عقلي وذلك اني شهدت بدن الشيخ والانوار قد ملأته وانبثت الانوار من وجوده حتى اني لم أستطع النظر اليه قال فلو كشف الحق تعالى عن مشرقات أنوار قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب وأنوار قلوب أولياء الله تعالى لا كسوف لها ولا غروب كذلك قال قائلهم

ان شمس النهار تغرب بالليل * وشمس القلوب ليست تغيب

(نور مستودع فى القلوب) وهو نور اليقين المودع فى قلوب العارفين (مدده) أى يمتد و يتزايد ضياؤه (من النور الوارد من خزائن الغيوب) وهو نور الاوصاف الازلية فاذا تجلى الله عليهم بأوصافه تزايد ذلك النور الحاصل فى قلوبهم وذلك دليل على عناية الله بهم قال فى لطائف المنن واعلم ان الله سبحانه وتعالى اذا تولى وليا صان قلبه من الاغيار وحرسه بدوام الانوار اه ثم أشار الى أن النور المستودع فى القلب على قسمين بقوله (نور يكشف لك به عن آثاره) أى عن أحوال المكونات فتطلع على أحوال العباد وعلى ما فوق السماء *(١٠٩)* وما تحت الارض وهذا يسمى كشفا صوريا وهو ليس معتنى به عند المحققين (ونور يكشف لك به عن أوصافه) أى أوصاف جلاله وجماله وذلك النور لا يحصل الا من تجلى تلك الاوصاف عليه وهذا يسمى كشفا معنويا وهو المعتد به عندهم ولم يقل ونور يكشف لك به عن ذاته لان تجلى الذات البحت الخالية عن الصفات مختلف فيه عندهم فبعضهم نفاه وبعضهم أثبته ويسميه الشيخ محيي الدين بالبوارق لكونه يطرأ ويزول سريعا لان القدرة البشرية لا تطيق دوامه (ربما وقفت القلوب مع الانوار) أى فتحجب بها وتتعطل عن السير الى الله تعالى (كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار) أى بكثائف هى الاغيار أى الشهوات و للذات التى هى غير المولى سبحانه فالحجاب عن المولى قسمان نورانى وهو العلوم والمعارف اذا وقفت القلوب معها وركنت اليها وجعلتها غاية مقصدها وظلمانى وهو شهوات النفوس وعاداتها ووصفها بالكثافة لانها لا تزول الا بمعاناة ومشقة

(نور مستودع فى القلوب مدده من النور الوارد من خزائن الغيوب) نور اليقين المستودع فى القلوب يستمد و يتزايد ضياؤه من النور الوارد من خزائن الغيوب وهو نور الاوصاف الازلية كما ذكرناه عن الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه قبل هذا وقد تقدم من كلام المؤلف رحمه الله تعالى أنار الظواهر بأنوار آثاره أنار السرائر بأنوار أوصافه (نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه) النور المدرك بالحواس يكشف لك به عن آثاره وهى الاكوان المحدثة وليس لك الى ذلك كبير حاجة الا من حيث تستدل به على المؤثر والنور المستودع فى القلوب يكشف لك به عن أوصافه الازلية حتى تراها عيانا وفى هذا غاية بغيتك ربه شرف قدرك ومنزلتك اذ بذلك تحقق فى المعرفة وترتفع فى المشاهدة ولا تحتاج الى دليل يدلك وهذا فرقان ما بين النورين قال فى لطائف المنن نور الشمس تشهد به الآثار ونور اليقين تشهد به المؤثر قال ولنا فى هذا المعنى

هذه الشمس قابلتنا بنور * والشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور لكن * بهاتيك قد رأينا المنيرا

(ربما وقفت القلوب مع الانوار كما حجبت النفوس بكثائف الاغيار) القلوب نورانية فتحجب بوقوفها مع لطائف الاغيار النورانية من العلوم والمعارف والنفوس ظلمانية فتحجب بصحبتها الكثائف الاغيار الظلمانية من العادات والشهوات فالقلوب محجوبة بالانوار كما ان النفوس محجوبة بالظلمات والحق وراء ذلك كله قال أبو الحسن التسترى رحمة الله عليه فى قصيدته النونية

تقيدت للاوهام لما تداخلت * عليك ونور العقل أورثك السجنا
وهمت بأنوار فهمنا أصولها * ومنبعها من أين كان فها هنا
وقد تحجب الانوار للعبد مثل ما * تبعد من اظلام نفس حوت ضغنا

(ستر أنوار السرائر) أى أنوار قلوب أوليائه (بكثائف الظواهر) أى بالاحوال التى يتلبسون بها فى ظواهرهم و يتعاطونها من الصنائع وغيرها فان تلك الاحوال كثائف أى حاجبه لغيرهم عن الاطلاع على أنوار قلوبهم وانما ستر تلك الانوار مع أن الظهور التام لا ينبغى أن يكون الا لها لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم هذا فى قوله سبحان من ستر سر الخصوصية الخ لكن أعاد ذلك هنا لاجل التعليل المذكور وأيضا ستر ها رحمة من الله بالمؤمنين اذ لو ظهرت أسرار الولاية على أحد لا وجبت على من ظهرت له حقوقا لا يقدر على القيام بها فاذا قصر وقع فى المحذور

(ستر انوار السرائر بكثائف الظواهر اجلالا لها ان تبتذل بوجود الاظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار) أنوار السرائر انما خفيت عن العيان بما سترها به من كثائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغى أن يكون الا لها لانها رفيعة القدر جليلة الخطر فأجلها عن الابتذال لها بوجود اظهارها وصانها من أن ينادى عليها بلسان الاشتهار بين الاغيار فيكون ذلك نوعا من الاهانة بها وقد تقدم مثل هذا الستر فى قوله سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية

تم الجزء الاول من شرح ابن عباد على الحكم و يليه الجزء الثانى أوله سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه الا من حيث الدليل عليه

To: www.al-mostafa.com